

دار رقمنا الكتاب العربي ستوكهولم

شرح المنطقى

من ديوان عنتره

أحمد النجار

شرح المنتقى من ديوان عنتره

تأليف:
أحمد النجار

الكتاب: شرح المنتقى من ديوان عنتره

المؤلف: أحمد النجار

الطبعة الأولى ٢٠٢٠

ISBN: 978-91-89273-35-1

الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية: ٢٩-١٧-٠٩-١٠-٢٠٢٠

الناشر: رقمنا الكتاب العربي- ستوكهولم

السويد، فاسترا جوتالند

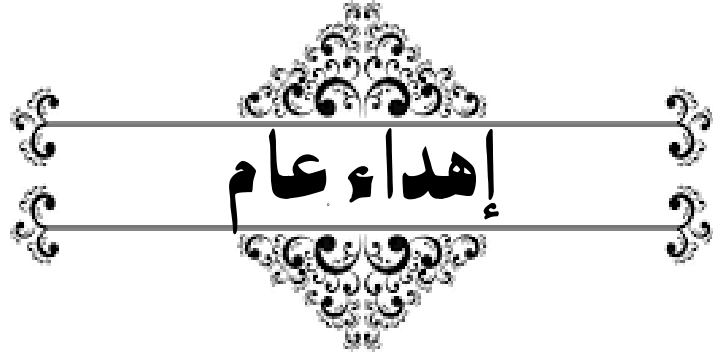
هاتف: ٠٠٤٦٧٩٠١٨٥٥١٨

البريد الإلكتروني: digitizethearabicbook@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة لدى دار رقمنا الكتاب العربي-ستوكهولم، و لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى.





إلى كل محب للأدب ومحب للشعر وامتدوق له

وكل طالب للعلم في مجال اللغة العربية

وكل عاشق للغة الضاد بما فيها من فنون

الجمال

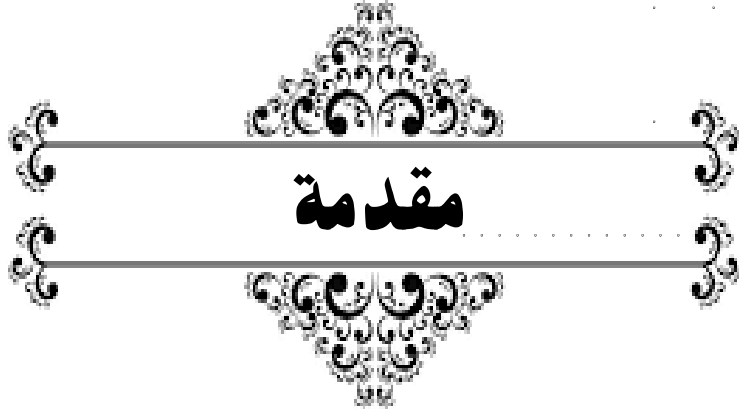
إهداء خاص

إلى (والديّ) من قاما بتربيّتي واعتنوا بتقديم الدعم لي وحرصاً دوماً على
الخير لي وإلى (حمّاي) ووالدي العزيز من أفنى عمره معلماً للغة الضاد
إلى شيخي وأبي الروحي ومن لست أملك رد أي جزء من أفضاله عليّ
سيدي وشيخي (مصطفى زغلول القادري)

إلى من اعتبرني ولده واعتبرته والدي واعتنى بي في أوائل سنّي دراستي
ومن علمني ولم يأل جهداً في تقديم النصّح والدعم لي أبي وشيخي
(الدكتور الأمير محفوظ أبو عيشة)

إلى صديقي وخليلي من عرفته وعهدته صادقاً طيب القلب مخلصاً لا
غل عنده ولا حسد

(عبدالرحمن سيد رشاد)



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد النبيين وخاتم المرسلين، سيدنا ومولانا مُحَمَّدٌ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

كان الناس حتى عهد قريب، يعنون بالأدب عناية شديدة، كانت متمثلة في نظم الأشعار، وكتابة المسرحيات والقصص القصيرة والروايات، وإقامة الصالونات الثقافية التي كان يحضرها كبار الكتاب والشعراء والمثقفين، لإبراز مواهبهم وما تجود به قرائحهم، وللنقض والمناقشة لمختلف الأعمال الأدبية .

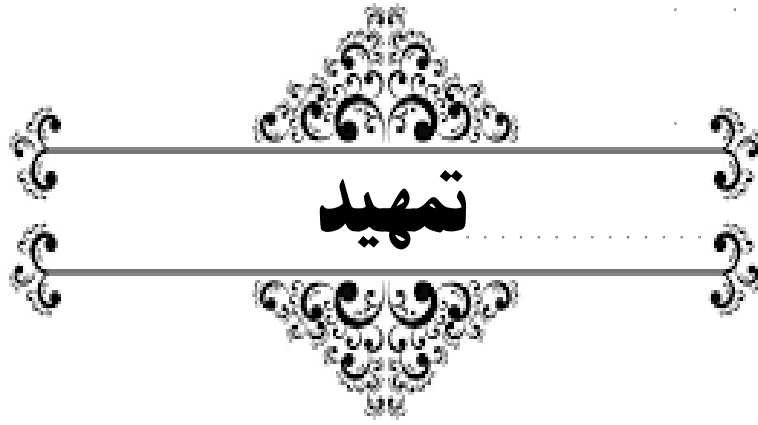
فكان أغلب العوام من الناس في ذلك الزمن يضاھون المثقفين في هذه الأيام، وكانوا يتمتعون بذوق أدبي عالي ومملكة نقدية جيدة نوعاً ما، نظراً

لكثرة ما عاصروه من رواج أدبي وفكري في ذلك العصر، أما الآن فلم تعد العناية بالنشاطات الأدبية مثل سابق عهدها، فأحسبت أن أقوم بمحاولة لإعادة الربط والصلة، بين الأدب والناس، وكانت اللبنة الأولى في هذه المحاولة، هذا الشرح لديوان الشاعر الكبير عنتر بن شداد العبسي، وقد بحثت كثيراً عن شروح سابقة لديوان عنتر، لأنه من البديهي أن يكون لديوان عبقرى مثله شراح كثيرون، فوجدت أن أئمة كبار قاموا بشرح هذا الديوان قبلي، إلا أنني لم أعر على الكثير من هذه الشروح.

وكل ما وجدته هو شرح للإمام اللُّغَوِي الكبير الخطيب التبريزي، إلا أنه كان شرحاً معجمياً، يوضح معنى اللفظ والمعنى الظاهري للقصيدة دون التعمق أو التعرض، لأي لون من ألوان الدراسة النقدية واستنباط ما في بطن الشاعر، والكشف عن مواضع البلاغة والجمال، التي احتوتها هذه القصائد وهذه الأبيات، وذلك في رأي لا يعيبه، لأن الناس في ذلك

الزمان كانوا قريبي عهد بالفصاحة والبلاغة، فلم تكن الشروح اللغوية بحاجة للتعمق أكثر من ذلك، وإلا عُدَّت إهانة لأهل ذلك الزمان.

أما الشرح الآخر، فكان شرحاً قامت به مكتبة القاهرة التجارية الكبرى، وكان على غرار شرح مولانا الخطيب وربما زاد عليه قليلاً، ومما لا شك فيه أنه قامت دراسات منفصلة، لبعض أشعار عنتره وربما لمعلقته، اشتملت على إبراز المعاني البيانية الرفيعة وهي متواجدة في مكثبات وأرشيقات الكليات والمعاهد المتخصصة في هذا المجال، وقد قمت بكتابة هذا الشرح بما وفقني الله إليه من فهم، وحرصت على أن يكون شرحاً سهل الألفاظ سريع الوصول للأفهام، وانتقيت أفضل النماذج في ديوان عنتره لذلك الشرح، راجياً الله - سبحانه - أن يكون شرحاً نافعاً مفيداً لمن يُطالعُ فيه، وقمت بتسميته (شرح المنتقى من ديوان عنتره).



عنتره بن شداد

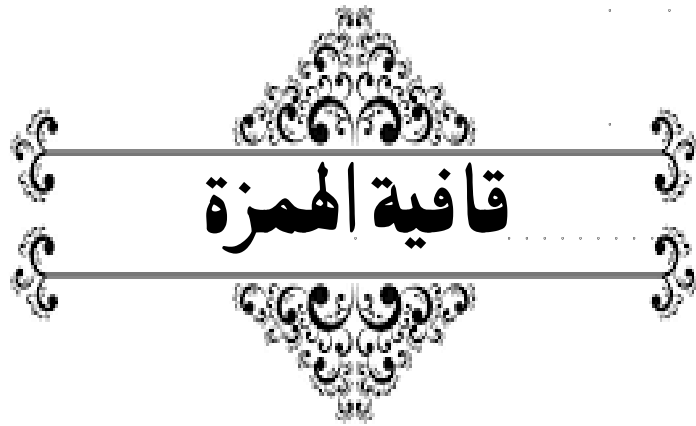
بطل الأبطال وعظيم الشعراء، ذلك الفارس الذي جابت أشعاره
وأمجاده الآفاق والأقطار، هو صاحب تلك الأسطورة التي قامت عليها
الكثير من الأعمال الأدبية والشعبية والدرامية، ومنها قصص عنتره التي
كانت تتلى عندنا هنا في الديار المصرية، كسير ملحمية مثل سيرة أبوزيد
الهلالي .

هو عنتره بن شداد بن معاوية بن زهل بن قراد العبسي، والده شداد بن
معاوية بن زهل من سادة بني عبس وأحد فرسانها المبرزين، في إحدى
غارات بني عبس قام بأسر جارية تسمى زبيبة، ويُذكر أنها كانت أميرةً
حبشية وكان في عادات العرب أن الجارية التي تلد لسيدها، تكون حرة

هي وولدها، فولدت له عنتره ولكن ساء شداد أن كان عنتره أسود اللون مثل أمه فأنف منه، فعاش عنتره عيشة العبيد يرعى الغنم ويحلب الإبل ويحمل المتاع، ولكنه اكتفى من هذه الحياة لأنه يعلم أنه سيد وابن سيد، فاعتزل قومه وصار يقضي جل وقته في المرعى، حتى أنه كان يبیت وحده هناك.

وفي إحدى الأيام أغارت سرية من قبيلة طيء على بني عبس، وكادوا أن يقضوا عليهم فهرع شداد إلى عنتره وطلب منه أن يقاتل، حيث كان عنتره معروفًا بقوته وشدته وبأسه في القتال والطعان، فقال عنتره مستهزئًا: العبد لا يجيد الكر والفر ولكن يجيد الحلب والصر، فقال له شداد كُزَّ وأنت حر ففرح عنتره بهذه البشرى وهرع لإغاثة قبيلته، وأسقط كثيرًا من فرسان طيء فتشجع فرسان بني عبس عند رؤيتهم له، وقاموا معه فهزموا فرسان طيء فولوا مدبرين، وعاد فرسان بني عبس ظافرين ونال عنتره حرته، ونسبه والده شداد لنفسه فصار يدعى عنتره بن شداد .

شارك عنتره مع قبيلته في حروب كثيرة منها داحس والغبراء، وكان يعشق ابنة عمه عبلة بنت مالك بن معاوية، فنكاد لا نجد قصيدة تخلوا من ذكر عبلة، ولكن عمه كان يأنف منه ويرفض تزويجها له، ولم تذكر المصادر التاريخية أن عنتره تزوج بعبلة، ورؤى عنه أنه تزوج بتسع نساء وأنجب منهن جميعاً، وعاش عنتره عمراً طويلاً مليئاً بالبطولات والمفاخر، إلى أن كانت منيته في إحدى غاراته حيث أُصيب بسهم مسموم مات على إثره، قبل البعثة وقبل ظهور الإسلام بسبعة أعوام، وخلف وراءه الكثير من الأشعار والبطولات والأمجاد، التي لا يزال العرب يحتفون بها إلى يوم الناس هذا، وقبل أن نشرع في شرح ديوانه، أحببت أن أذكر هذه النبذة البسيطة الموجزة من حياته .



قافية الهمزة

﴿ مَا زِلْتُ مُرْتَقِيًا ﴾

مَا زِلْتُ مُرْتَقِيًا إِلَى الْعُلْيَاءِ * حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى نُرَى الْجَوَازِءِ

فَهُنَاكَ لَا أَلْوِي عَلَى مَنْ لَأْمَنِي * خَوْفَ الْمَمَاتِ وَفُرْقَةَ الْأَحْيَاءِ

يتحدث عنتره عن نفسه ويوضح كم هي همته عالية، وكم هي صلابته وشدته في مواجهة الصعاب، فبالرغم من كل ما يواجهه من استهزاء الآخرين به ومعايرتهم له بلون جلده، وتسفيهم لطموحاته وأحلامه لا يزال ساعياً وراء تحقيق مأموله وغاياته، فيقول أنه لا يزال سائراً في طريق العزة وعلو الشأن، حتى يبلغ غايته مشياً سيره وعلو مكانته بوصوله للجوزاء، والجوزاء هو اسم لفلك من الأفلاك أو هو برج من الأبراج الفلكية، ولاعجب من معرفة عنتره لذلك، فعلم الفلك من العلوم التي مارسها العرب وتفوقوا فيها.

ولا يخفى على المتأمل كم في تشبيه عنتره من العبقرية، حيث شبه رغبته في الوصول إلى رفعة القدر وعلو الشأن، بأعلى مكانة يمكن ان يتصورها المرء وهي بين النجوم، وكم فيه من الإشارات التي تعبر عن مكنون

نفسه، ورغبته الشديدة والملحة في الترقى إلى معالي الأمور، ولا عجب فهذا هو المردود الطبيعي، لمن نشأ وتربى بين العبودية والسخرة، وهو يعلم أنه سيد وابن سيد، ثم يستطرد واصفاً حاله عند وصوله إلى هذه الدرجة العالية وهذه المكانة الرفيعة، بأنه صار لا يعبأ ولا يهتم بل لا يلتفت إلى لوم لائمه، أو سخرية ساخرٍ أو سفاهة سفيه، وفي وصفه لون من ألوان الأسف عليهم، فهو يعلل لسخريتهم وسفاهتهم بأن البعض يفعل ذلك بدافع من الغيرة والغضب الشديد من عنتره، وأنه رحمة بهم لا يرد عليهم، خوفاً من أن ينهي أعمارهم ويقضي عليهم ولا يسر عليه من ذلك.

فَلَاغْضِبَنَّ عَوَاذِلِي وَحَوَاسِدِي * وَلَاضْبِرَنَّ عَلَيَّ قَلْبِي وَجَوَائِي

وَلأَجْهَدَنَّ عَلَى اللِّقَاءِ لَكِي أَرَى * مَا أُرْتَجِيهِ أَوْ يَحِينُ قَضَائِي

ثم ها هو بعد أن التمس العذر للائميته ينقلب عليهم ويؤكد ما ينوي عليه، فيقول (لَاغْضِبَنَّ عَوَاذِلِي) و(العَذْل) هو اللوم، والمعنى أن عنتره يقسم ويؤكد أنه سيزيد من غضب لائميته وحاسديه بالمزيد من الترقى وعلو الشأن، وليحترقوا بنار حسدهم، ثم ها هو يوضح كم أن هذا

الطريق الذي يسلكه فيه الكثير من العنت والشطط، وأن هذا الطريق يستلزم التجلد والتصبر على ما يلاقى فيه، وبعد أن قام بتوضيح صعوبة السير في هذا الطريق يلزم نفسه التجلد والتصبر، فيقول أنه سيصبر على ال (القلى)، وهو البغض والحقد ولن يعبأ بمن يبغضه ويحقد عليه ويتمنى له السوء والشر، ويشبه حاله وما يترتب على كثرة المبغضين له من الوحدة والإنفراد بال (الجواء) وهو الواسع من الأودية، وهذا كان دوماً حال من يسعى للمجد وله طموحات تصل للنجوم .

ثم يعبر عنبرة مرة أخرى عن مدى صلابته وارتفاع همته، ورغبته الصادقة في الوصول إلى ما يرجوا ويبتغي، ويؤكد ذلك فترى في قوله (لَأَجْمَدَنَّ) مدى عزمه وإصراره وسعيه الدؤوب على ما يريد الوصول إليه، ويبين أن سعي المرء وراء أحلامه وآماله غاية تستحق الجهد والعناء في سبيل تحقيقها والوصول إليها، وإن لم يقدر على ذلك فيكفيه شرف المحاولة وذلك ظاهر جلي في قوله (أَوْ يَحِينُ قَضَائِي) .

وَلَأَحْمِيَنَّ النَّفْسَ عَنِ شَهَوَاتِهَا * حَتَّى أَرَى ذَا نَمَّةٍ وَوَفَاءٍ

مَنْ كَانَ يَجْحَدُنِي فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَا * مَا كُنْتُ أَكْتُمُهُ عَنِ الرَّقَبَاءِ

مَا سَأَنْتِي لُونِي وَإِسْمُ زَبِيْبَةٍ * إِنْ قَصَّرْتَ عَنِّ هِمَّتِي أَعْدَائِي

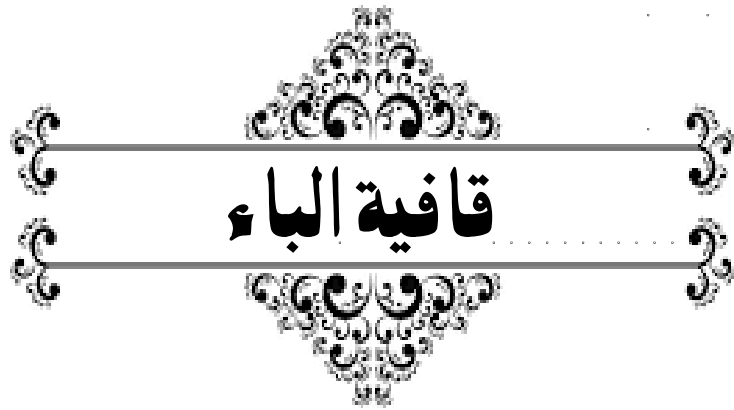
يظهر لنا في هذه الأبيات جانب طيب وخلق كبير من أخلاق العرب، وهو مجاهدة شهوات النفس وكبح جماحها وقد أقره الإسلام وحث عليه، ويظهر لنا لون آخر من ألوان الأخذ بالفضائل وكريم الأخلاق التي عهد عنتره أن يأخذ بها نفسه، ويؤكد أنه رجل صاحب ذمة مأمون الجانب، والوفاء فيه طبع متأصل وهذه هي سمات من يليق بهم وصف الرجال، ثم يعود عنتره ويصف حاله مع مبغضيه وحاسديه، ويقول أنهم قد أوضحوا منهجهم في أذيته عن طريق معايرته بلونه واسم والدته، وذلك معنى قوله (فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَا) وهو يقول أن ذلك أمر واضح جلي مسلم، به فلا حيلة له في لون جلده واسم والدته وأنه لم يكن لينكر ذلك، وذلك معنى قوله (مَا كُنْتُ أَكْتُمُهُ).

ثم يوضح لهم أنه قد خاب ظنهم وبطل زعمهم، بأنهم قد يؤذونه بأمر لا حيلة له فيها ولا اختيار، ويبين أنه إن كان بهذا اللون ووالدته بهذا الاسم، فهو رجل كريم الأخلاق ذو همة عالية فارس وشجاع، شديد

البأس في الحروب والطعان ويهزم أعدائه ويجندلهم، وإن لم يكن كذلك
فقد استحق أن يعاب بلون جلده ونسب أمه .

فَلَا يُنْزِلُ بِقِيَّتِ الْأَصْنَغَنِّ عَجَائِبًا * وَلَا يُكِمِّنُ بِلَاغَةِ الْفُصْحَاءِ

وفي ختام حديثه يقول عنتره: أنه إن أمهله الزمان وأسعفته الأيام،
ليكونن له من الأفعال التي يكون فيها من المجد وارتفاع الشأن وصعوبة
النيل ما يثير الحيرة والتعجب، ويكون له من الأشعار والأقوال ما يتغنى
به العرب ويحكونه في أمثالهم، ولا يستطيعه الكثير من أرباب الفصاحة
والبيان وقد كان له ذلك، والجدير بالذكر أن عنتره قال هذه الأبيات بما
تحتويه من بلاغة وحسن بيان وبراعة في التصوير وقد جادت بها قريحته
في أيام صباه فله دره ذلك الرجل .



قافية الباء

تُرى هذه الريح

تُرى هَذِهِ الرِّيحُ أَرْضُ الشَّرْبَةِ * أَمِ الْمِسْكِ هَبَّ مَعَ الرِّيحِ هَبَةٌ
وَمِنْ دَارِ عِبْلَةَ نَارٌ بَدَتْ * أَمِ الْبَرْقُ سَلَ مِنَ الْغَيْمِ عَضْبَةٌ

في هذه القصيدة يتكلم عنتره عن حالة الشوق التي تعتره لمن يهواها قلبه، ويحن إلى أن يمتع ناظريه برؤيتها بعد غياب ليس بالكثير لكنه على المحبين مديدٌ طويل، ويستخدم عنتره في هذه الأبيات أسلوباً يستخدمه أكثر الشعراء في ذلك العصر، وفي العصور التي نسجت القصائد على نفس المنوال، يسمى ال (التجريد) وهو: أن يجرد الشاعر من نفسه شخصاً أو أكثر ويخاطبه، فعنتره يصور لنا حاله وهو راكب جواده أثناء عودته من غيبته والريح تداعب وجهه، فيحن للمكان الذي كان يرى فيه محبوبته عبلة وهو (أَرْضُ الشَّرْبَةِ) المذكور في البيت الأول، فيخاطب نفسه ويقول: هل هذه الريح التي تداعب وجهي ريح أرض الشربة؟ ثم يعبر عن مكانة هذا المكان في قلبه، ويصف هذه الريح بأنها طيبة على نفسه وروحه، مشبهاً إياها بأفضل الروائح والعطور ألا وهو المسك .

وقد بلغ الشوق من عنثرة مبلغاً جعله كأنه يرى دار عبلة أمامه، ويتخيل النار التي توقد أمام المنازل عادة، ويصف لنا مدى أطيبة هذه النار عنده وكم هي شديدة الوقع والإحساس في نفسه، مشيها ذلك بوقع البرق ومستعيراً لوقع البرق صورة تخيلية لبرق سحب من الغيم سيفه، جاعلاً الغيم كالغمد لذلك السيف ويهوي به، واصفاً ذلك السيف بقوة القطع وذلك معنى قوله (عَضْبَهُ)، في تصوير بديع النسج والتركيب .

أَعْبَلَةٌ قَدْ زَادَ شَوْقِي وَمَا * أَرَى الدَّهْرَ يُدْنِي إِلَيَّ الأَحِبَّةَ

وَكَمْ جَهْدَ نَائِبَةٍ قَدْ لَقَيْتُ * لِأَجْلِكَ يَا بِنْتَ عَمِّي وَنُكْبَةَ

بعد الشعور بالحنين يتخلص عنثرة إلى المرحلة التي تمثل التطور الطبيعي لذلك الشعور، وهي مخاطبة من يحن إليها ويهاها قلبه فتراه يشكوا لمحبوبته عبلة، شدة ما ألمّ به من ألم الوحشة والشوق إلى لقيهاها والتمتع بالنظر إليها، ويصف لنا أنه سأم من ذلك البعد وذلك الفراق وذلك الشوق فمتى يتنهي كل ذلك، ومتى يكون اجتماع الأحبة؟ إلا أن الدهر يحول دون ذلك، فتري عنثرة يشكوا ذلك الدهر وينقم منه تفريقه وإبعاده عن محبوبته، في نبرة يغلب عليها السأم والتعب ونظرة

تقربما يفرضه عليه ذلك الواقع، فيا له من تعب ألمّ به ويا له من بؤس أحاط به يتحفه به ذلك الدهر، ولم يكتف ذلك الدهر بإتحاف عنتره بذلك الألم وذلك العناء ولكنه يزيد عنتره فوق عنته، فها هي المصائب تتوالي عليه وتُفرضُ عليه تحديات وصراعات شديدة الوقع شديدة الصعوبة، وذلك واضح في قوله (جَهْدَ نَائِبَةٍ) وقوله (وَنَكْبَهُ) ولكنه يصبر على ذلك، فيتحدى هذه الصعاب ويتجاوز تلك المصائب والصراعات، كُزِمَى لمحبوبته وابنة عمه عبلة .

فَلَوْ أَنَّ عَيْنَكَ يَوْمَ اللَّقَاءِ * تَرَى مَوْقِفِي زِدْتِ لِي فِي الْمَحَبَّةِ

وَأَفْرَحُ بِالسَّيْفِ تَحْتَ الْعُبَارِ * إِذَا مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَلْفَ ضَرْبَةٍ

نرى عنتره في هذه الأبيات يلفت نظر محبوبته إلى بطولته وفروسيته وقوته، التي لو أدركت مداها لآزادت له حبا وعشقا حيث أنها تصير أمانة على نفسها من أي غائلة، ما دامت في كنفه وتحت رعايته، ونرى فيها أن عنتره بعد ما قام بإظهار مدى تعنت الدهر معه يقول لمحبوبته أنه لا يعبأ بذلك، وإلا فكيف يكون بطلا صنديدا في المعارك والحروب ولا يصمد أمام تفريق الدهر بينه وبين محبوبته، ثم يدل عنتره على

مصداقية ما يقول عن طريق الإفصاح بما يشعر به أثناء مشاركته في المعارك والحروب، فالطبيعي لمن يكون في حرب لا يعلم أخرج منها ظافراً أم يلقي فيها مصرعه أن يكون قلقاً مضطرباً أو مشغولاً بالذهن، بالتخطيط والتدبير والتأهب لخوض هذه المعركة أو الحرب إلا أن عنتره ليس كذلك، فهو عندما يقوم بارتداء درعه وتقلد سيفه ورمحه واعتلاء فرسه واقتحام ميدان المعركة والقيام بجندلة الفرسان والأبطال، يتملكه شعور قوي بالفرح والرضا عند القيام بذلك، وكيف أن سيفه غطاه الغبار المثار من خيول الفرسان وهو يطيح بمن يلقاه أمامه، مصوراً ذلك في مشهد بديع مهيب يملأ النفس قوة ويشعلها حماساً .

وَتَشْهَدُ لِي الْخَيْلُ يَوْمَ الطَّعَانِ * بَأَنِّي أُفْرِقُهَا أَلْفَ سَرِبَةٍ

وَإِنْ كَانَ جِلْدِي يُرَى أَسْوَدًا * فَلِي فِي الْمَكَارِمِ عِزٌّ وَرُتْبَةٌ

لم يكتفِ عنتره بالإفصاح عن حقيقة مشاعره في المعارك والنزالات، كدليل على قوة بأسه وقدر فروسيته، فنراه كأنه يقول لحبيبتة إن لم يكن إخباري لك عن بلائي وقوتي كافياً فهناك الخيول التي روعتُها وفرقت جمعها، فاسألها إن كانت تنطق ولتخبرك هي عن قوتي وبلائي،

فبالرغم من كثرة الخيول الدالة على كثر الأعداء إلا أنهم أمام قوة عنتره وثباته في المعركة يمتلكهم الخوف والرعب، فنرى هذه الأعداد المهولة التي حُشدت لحربه يتفتت شملها ويتفرق جمعها خوفاً من الوقوف أمام عنتره، وذلك معنى قوله (أفرقها ألف سربه) والسرب: هو اسم لمجموعة من الحيوانات وتطلق على الطيور أو الحيوانات المجتمعة، والتي يتراوح عددها من الـ ٢٠ إلى الـ ٣٠، وبعد أن أثبت لمحبوبته مقدار قوته متحدثاً عن بطولته وعن بلائه، يقول أن الشرف والعزة لا يكون أبداً لمن جلده أبيض ومن عنده مال كثير، ولكن الشرف الحق يكون لمن عنده مكارم الأخلاق يتحلى ويتصف بها، فيقول: إنني يا ابنة عمي وإن كان لون جلدي يبدو أسوداً فإنني رجل كريم الطبع طيب الخلق، لا أتصف بأخلاق الأراذل وشرفي وعزتي في ذلك وذلك معنى قوله (في المكارم عز ورتبة) .

وَلَوْ صَلَّتِ الْعَرَبُ يَوْمَ الْوَعْيِ * لِأَبْطَالِهَا كُنْتُ لِلْعَرَبِ كَعْبَهُ

وَلَوْ أَنَّ لِلْمَوْتِ شَخْصاً يُرَى * لَرَوَّعْتُهُ وَلَأَكْثَرْتُ رُعْبَهُ

يُظهر لنا عنتره جانباً آخر من صفاته البطولية ومظهراً من مظاهر الفخر والاعتزاز بالنفس، فيقول أنه في أوقات الحروب وهي المقصودة بقوله

(يوم الوغى)، عندما يذهب العرب ويدعون لأبطالهم وفرسانهم كي ينتصروا على أعدائهم ويعودوا ظافرين و محملين بالغنائم والأسلاب، وهذه عادة العرب عند كل نائبة وطارئة من الأمور والاحداث أكون أنا أملاً من آماله، التي يُعَوِّلُونَ عليها في النصر على أعدائهم، كما الكعبة أملٌ لهم يدعون لأبطالهم ويتقربون لآلهتهم عندها، وذلك معنى قوله (كُنْتُ لِلْعَرَبِ كَعْبَهُ)، ثم يتابع وصف قوته وبطولته فيقول أن الموت ذلك الشبح الذي يملكهم الرعب منه عند ذكره، وبسببه يجبن الشجعان ويفر الأبطال، إن كانت له صورة يتمثل بها وشخصٌ يُرى لذهبت إليه وأدخلت الرعب إلى نفسه، وَلَرَوَّعْتُ قلبه ولا أعبأ به، وبالطبع هذا من قبيل المبالغة الغير محمودة من عنتره.

لغير العلاء

هذه القصيدة قالها عنتره متوعداً لعمارة وأخيه الربيع ابني زياد
العَبْسِيِّينَ .

لغير العلاء مني القلي والتجئ * ولولا العلاء ما كنت في العيش أرغب
ملكيت بسيفي فرصة ما استفادها * من الدهر مفتول الذراعين أغلب
لئن تك كفي ما تطاوع باعها * فلي في وراء الكف قلب مُذْرَبُ

إنَّ التَعَزُّزَ أمام من يتكبر عليك ويأنف من وجودك معه ويعتبرك أقلُّ
شأناً منه حقٌّ وواجب، وهذا هو ما فعله عنتره في هذه الأبيات فهو
يصف نفسه بصفات فيها لون بارز من الإعتزاز بالنفس أمام ابني زياد،
فيقول أن هذه الحياة في نظره لا تساوي كل هذا الجهد والتعب من
أجلها، وليس فيها شيء ذو قيمة يفني اللبيب عمره من أجل تحصيله إلا
المجد وعلو الشأن والكرامة، وغير ذلك لا يستحق من عنتره إلا التجنب
والإبتعاد، وأنه لولا طلبه لمعالى الأمور لما رغب في البقاء في هذه الدنيا
الوضيعة ، ويصف عنتره نفسه أمام من يتكبرون عليه ويرون أنه أقل

شأناً منهم، فيقول أنه بقوته وشجاعته بلغ من العزة والفخر وهو المقصود بقوله (فُرْصَةً)، ما لا يستطيع أن يبلغه كل بطل شديد قوي الذراع وهو معنى قوله (مَفْتُولُ الذِّرَاعَيْنِ)، يظن أنه ذو شأن والحقيقة أنه خلاف ذلك فهو ما نال من الكرامة شئ، ولعله يُعَرِّضُ بعمارة وأخيه وذلك معنى قوله (مَا اسْتَفَادَهَا)، ثم نراه يقول أن بلوغ المعالي هو غايته وهمه الشاغل والذي يسعى إليه ويمد إليه ذراعه، فإن لم تكن كفه تسجيب لباعه (والباع) هو: طول مد الذراعين، وذلك التصوير كناية عن جهده وسعيه إلى العلا والمعنى أنه إن لم تكن كفي ممدودة مع ذراعي، فإن لي قلباً من قوته وهمته حاداً كالسيف لا يجبن ولا يرجع وذلك هو معنى قوله (قَلْبٌ مَذْرَبٌ) .

وَالْحِلْمِ أَوْقَاتٌ وَلِلْجَهْلِ مِثْلُهَا * وَلَكِنَّ أَوْقَاتِي إِلَى الْحِلْمِ أَقْرَبُ
أُصُولٌ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِي وَأَرْتَقِي * وَيُعْجِمُ فِي الْقَائِلُونَ وَأَعْرَبُ
يَرُونَ احْتِمَالِي عِفَّةً فَيَرِيْبُهُمْ * تَوْفُرُ حُلْمِي أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضَبُ
تَجَافَيْتُ عَنِ طَبَعِ النَّوَامِ لِأَنَّنِي * أَرَى الْبُخْلَ يُشْنَأُ وَالْمَكَارِمُ تُطَلَّبُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجُودَ فِي النَّاسِ شَيْعَةٌ * تَقُومُ بِهَا الْأَحْرَارُ وَالطَّبَعُ يَغْلِبُ

يوصل عنتره وصف الأخلاق والشمائل التي يجب على الكريم من الرجال أن يتحلى بها كي يليق به وصف الرجال، وأغلب الظن كله تعريض بعمارة الزیادی الذي تجرد من كل صفات وشمائل الرجال، فيقول أن الإنسان بطبيعته تتفاوت مشاعره ما بين (الحلم) وهو لون من ألوان الصبر ويعلو عليه، وبين (الجهل) والمقصود به الغضب الذي يدفع المرء لأخلاق السفهاء والأراذل، وعنتره إنسان له نفس الطبيعة وتتأرجح مشاعره بين الحلم والغضب، إلا أن الناس تختلف قدرات التحمل عندهم فهناك من يملك نفسه فلا يجهل على من يسيئ إليه، وهناك من لا يملك نفسه فيغلب عليه غضبه وهناك من هو بين هذا وذاك، أما عنتره فهو رجل كريم تميل أخلاقه إلى الحلم، إلا أنه في بعض المواقف يغضب وهذا معنى قوله (إلى الحلم أقرب)، وفي هذا الوصف لون من ألوان الصدق مع النفس .

ثم يصف نفسه بالقوة التي يتحلى بها والتي لا يستطيعها أحد من أقرانه وبني جلدته من العرب، وأنه لو أراد أحد أن يصارعه أو يغالبه فإنه

يتفوق عليه ويغلبه فهو رجل شديد البأس، وبطبيعة الحال كل من هم مثل عنزة لديهم أعداء، إلا أنهم من قوته يجبنون حتى عن الجهر بمسبته والنيل منه بسئ الألفاظ والكلمات، فيكتفون بالتعريض به وذلك معنى قوله (ويعجم في القائلون) والعجم: هو الإيهام وعدم الوضوح، إلا أنه يجهر بعداوتهم ويرد عليهم بقوله وفعله بكل صراحة ووضوح، وذلك معنى قوله (وأعرب) فهو رجل شجاع لا يلجأ إلى الأساليب الملتوية التي يلجأ إليها الجبناء، ثم يلتفت لمن يجهرون بعداوته ويحقرون من شأنه ويستفزون بالأقوال والأفعال، سواء كانوا من قبيلته أو من سائر العرب، وهو يتصف بالحلم معهم بالرغم مما يصدر منهم من إساءةٍ وفحش وهو قادرٌ على الرد والعقاب، فتصيبهم الريبة والقلق لأنهم يعرفون قوته وغلظته وذلك معنى قوله (فيريبهم)، ولكن لا يعلمون أنه يفعل ذلك تجنباً لأخلاق الأراذل وتجملاً بأخلاق الكرام الأفاضل، ويتضح موقف عنزة من التحلم عليهم وعدم مؤاخذتهم بالرغم من جهالاتهم وسفاهتهم أكثر في البيتين التاليين، فيقول أنه ما فعل ذلك إلا تجافياً عن أخلاق وطباع اللئام لأن طبع اللئيم السفه والجهالة ودناءة النفس،

وغير ذلك فهذه الأخلاق دائماً مكروهة ولأن عنتره يعلم ذلك ترفع عنها، فيقول: (أرى الجهل يشنا) ويشنا هي تسهيل لـ يشناً والشناً: معناه الكره وفي مقابل ذلك مكارم الأخلاق تُحَمَّدُ وتُطَلَّبُ، ولأن عنتره يعلم أن من أفضل الأخلاق الجود والترفع عن الإساءة لمن أساء إليك، وأن هذا الخلق من شيم وطباع الرجال تحلى واتصف به لأنه رجل، ولأن الكرم فيه طبع متأصل وسجية وكل إنسان يتصرف بما طبع في نفسه، إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر وهذا معنى قوله (والطبع يغلب).

فَيَا ابْنَ زِيَادٍ لَا تَرْمِ لِي عِدَاوَةً * فَإِنَّ اللَّيَالِي فِي الْوَرَى تَتَقَلَّبُ
 وَيَا لِرِيَادٍ انزِعُوا الظُّلْمَ مِنْكُمْ * فَلَا الْمَاءَ مَوْرُودٌ وَلَا الْعَيْشُ طَيِّبٌ
 لَقَدْ كُنْتُمْ فِي آلِ عَبَسٍ كَوَاكِبًا * إِذَا غَابَ مِنْهَا كَوْكَبٌ لَاحَ كَوْكَبٌ
 خُسِفْتُمْ جَمِيعًا فِي بُرُوجِ هُبُوطِكُمْ * جَهَارًا كَمَا كُلُّ الْكَوَاكِبِ تُنَكَّبُ

تحذير ووعيد لعمارة الزيايدي والذي كان فيما يُروى يرغب بعبلة زوجة له، ولكنها كانت ترفضه وتريد عنتره ولذلك يقوم بمضايقته واستثارة غضبه، فيقول له عنتره لا ترم عداوتي يا ابن زياد ومعنى ترم: أي تتمنى وترغب، والمعنى لا تطمع يا عمارة في أن تعلوا وترتقي لدرجة أن تكون

عدواً لي، ولا تغتر بحلمي وتختبر صبري عليك فكما أن الليالي لا تبقى على حالها وتتغير كذلك صبري وحلمي عليك، ثم يقوم بتوجيه الخطاب لبني زياد بصفة عامة ويقول لهم كفاكم ضلالاً وكفاكم ظلماً، عودوا إلى رشدكم واقتلعوا جذور الظلم والبغي من بينكم، ولعله يقصد سيدهم عمارة وأطماعه وفساد أخلاقه، انزعوا جذور الظلم من بينكم فلا مأؤكم مورود أي مقصود ومرغوب، وأظنه يقصد بالماء قريهم ومودتهم ولا عيشكم بين الورى طيب، أي صار وجودكم بين الناس غير مرغوب فيه لظلمكم وبغيكم، ويستمر عنتره في تأنيبهم وعتابهم ويقوم بتذكيرهم بما كانوا عليه فيما مضى علَّهم يستحون ويعودون عمّا هم فيه من ضلال، ويقول لهم لقد كنتم فيما مضى من خيرة العرب وخيرة بطون بني عبس، كانت لكم مكانة عالية تُرى مثل الكواكب أي النجوم إذا غاب من هذه الكواكب أحدها يخلفه غيره، فكنتم نجوماً ترثون المجد كابرًا عن كابر، ولكن بسبب ظلمكم وضلالكم وحيادكم عن الطريق وجادة الصواب، فقدتم هذه المكانة التي كانت عالية مرتفعة كالنجوم، وكما أن

النجوم يأتي عليها الوقت وتخسف وتختفي أنتم صرتم كذلك لترديكم في
ضلالات بغيكم، فغاب مجدكم وأفل نجمكم .

سَلَا الْقَلْبُ

هذه القصيدة من أطرف القصائد في ديوان عنتره فقد قالها بعد ما أغضبتة عبلة وبالغت في مضايقتة.

سَلَا الْقَلْبُ عَمَّا كَانَ يَهْوَى وَيَطْلُبُ * وَأَصْبَحَ لَا يَشْكُوا وَلَا يَتَعَبُّ

صَحَا بَعْدَ سُكْرِ وَانْتَخَى بَعْدَ ذَلَّةٍ * وَقَلْبُ الَّذِي يَهْوَى الْعُلَى يَتَقَلَّبُ

(سَلَا الْقَلْبُ): وسَلَا من السلوى والسلوان الذي هو دواء الحزين، والمعنى أن عنتره يُشَبِّهُ حبه لعبلة بالمرض الذي لا يفارقه ولكنه الآن قد شُفِيَ من هذا المرض والتمى قلبه وانصرف عنه، وصار لا يشكوا فراق هذا الحب لعبلة ولم تعد نفسه تعتب عليه هجره لها، والآن صحا قلبه واستفاق مما كان فيه ومن غيبته وسكره الذي أغرقته فيه محبته، تلك المحبة التي سببت له الغفلة والمذلة لكنه الآن استوعب وأدرك خطأ ما كان فيه، وتعزز بعد ما كان يتذلل لعشقه وهواه، وذلك معنى قوله (وانتخى بعد ذلة) وعاد لرغبته الأساسية وهي طلب العُلا والمجد، ويعتذر عنتره عن غيبته بأن قلوب راغبي المجد والعظمة دائمة التقلب والتغير.

إلى كم أداري من تريد مذلتني * وأبذل جهدي في رضاها وتغضب

عبلة أيام الجمال قليلة * لها دولة معلومة ثم تذهب

إن من طبائع النساء الدلال على من يحبون من الرجال ولعل عبلة قد بالغت في التدلل على عنتره، وهو يصبر إلى أن فاض به الكيل ولم يعد يحتمل ويقول أن الإستمرار في السكوت على هذا التدلل مذلة كبيرة لرجل مثله، وأنه لا يرى فيما يفعله الكفاية لإرضاء عبلة وفوق ذلك تغضب وتتمنع وتأبى عليه نفسه التدلل أكثر من ذلك، ومن ثم يخاطب عبلة ويناديهما باسمها مصغراً وفي هذا إشارات الإشارة الأولى: أنه تعمد مناداة عبلة باسمها مصغراً، ليقول أنها ليست بهذا القدر وهذا المقام وتلك المكانة التي تعتقد أنها تحتلها في فؤاد عنتره، وهذا هو الراجح في رأيي، والإشارة الثانية: أنه أتى باسم عبلة مصغراً مراعاة للوزن والقافية وهذا رأي قوي إلا أنه مرجوح بسابقه، ويقول عنتره لعبلة مُنَدِّماً لها على ما تسببت به من الهجر والفرقة بعد ما كان بينهما من وُدٍ ومحبة وأيام جَمَلَتها تلك المشاعر المتبادلة، أن تلك الأيام قليلة لا تدوم فكما هو حال

دول السابقين وأيامهم تبقى إلى ما شاء الله ثم تذهب ويطويها النسيان يكون حال هذه الأيام التي كانت بيننا، ويوجد هنا سؤال يطرح نفسه وهو: كيف يصدر هذا القول من لسان عنتره بالرغم من المعاناة التي لحقت به جرّاء حُبّه لعبلة، وعندما غضب منها يقول ذلك؟ والجواب في رأي أن ذلك أمرٌ طبيعي، فعنتره بطبيعة حاله عزيز النفس لا يقبل الإساءة بكل ألوانها وإن كان يتغاضى عنها أحياناً، ولا أرى كلامه هذا إلا نتيجةً لغضبه فهو عندما يهدأ تعود إليه صبابته ومحبته ومشاعره الأولى تجاه عبلة، والتي تأصلت في داخله.

وَقَدْ قُلْتُ إِنِّي قَدْ سَلَوْتُ عَنِ الْهَوَى * وَمَنْ كَانَ مِثْلِي لَا يَقُولُ وَيَكْذِبُ

هَجَرْتُكَ فَاَمْضِي حَيْثُ شِئْتَ وَجَرِّبِي * مِنَ النَّاسِ غَيْرِي فَالْأَلْبِيبُ يُجَرِّبُ

لَقَدْ نَلَّ مِنْ أَمْسِي عَلَى رَبْعِ مَنْزِلٍ * يَنْوُحُ عَلَى رَسْمِ الدِّيَارِ وَيَنْدُبُ

وَقَدْ فَازَ مَنْ فِي الْحَرْبِ أَصْبَحَ جَانِلاً * يُطَاعِنُ قِرْنَاً وَالْغُبَارُ مُطْنِبُ

رُبَّمَا قَدْ سَاوَرَ عبلة بعض الشك من مدى صدق الذي يزعمه عنتره من أَنَّهُ تَخَلَّى عن محبتها وصار لا يعبأ بها، وقالت في نفسها إِنَّهُ غَاظِبٌ ولا بد أَنَّهُ سيعود عما يقول، ولأجل هذا الظن الذي قد يرد في خاطر عبلة نرى

عنتره يؤكد ما يقول ويزعم، وأنه من كان مثله من الرجال صاحب عزة
وقوة وشجاعة أبداً لا يكذب، لأنه لا يخاف من البوح بما هو حق وبما
هو كائن ويقول لها كما أنه سبق منك الهجر والتكبر، فإنني بالهجر أولى
فاذهبي وجربي صنوف الرجال واختبريهم، لعلك تجدين من ينيخ ركبه
لكي ويسلم زمام نفسه إليكي، ابحي وجربي فالليب أي صاحب العقل
والحكمة سيمته الإكشاف والتجربة، أما أنا فيكفيني ما كان من مزلة
الوقوف على ربوع المنازل وربع المنزل هو المكان الذي يقصده العاشقون
لمراقبة معشوقهم، يقول وكفى أيضا ما كان من نوحٍ على رسم الديار أي:
آثار الديار التي أخلاها ساكنوها، وكان دأب العاشقين الوقوف عند ديار
معشوقهم، التي لم تعد مسكونة ويتذكرون ما كان بينهم، فتأخذهم
عبراتهم ويبكون، ثم يقول عنتره أنّ من كان مثله شأنه أن يجول في
وسط الحروب والمعارك، وليس في تقفي آثار النساء والوقوف على ربوع
المنازل، وأن من كان شأنه أن يجول ويصول ويطاعن أي يحارب الأبطال
والفرسان وسط غبار الخيل وتحت مضارب السيوف والرماح، هو
بالتأكيد أعز وأكرم ممن أعمى العشق بصيرته وأذهب عقله وفطنته .

نَدِيمِي رَعَاكَ اللهُ قُمْ عَنِّي لِي عَلَيَّ * كُؤُوسِ الْمَنَايَا مِنْ دَمٍ حِينِ أَشْرَبُ

وَلَا تَسْقِنِي كَأْسَ الْمُدَامِ فَإِنَّهَا * يَضِلُّ بِهَا عَقْلُ الشُّجَاعِ وَيَذْهَبُ

مقارنة موجزة بين ما كان من حال عنتره وما يريد أن يكون من حاله أيام عشقه وغرامه وحاله في الحرب والكر والفر، يخاطب نديمه والنديم: هو الجليس والأنيس وهو أيضا من يحمل الخمر، ينادي عنتره نديمه ويقول له غن لي أي: شجعي واحتفي معي بكؤوس المنايا أي: مذاق الحروب ولذة القتال، ودع عنك كأس المدام والمدام هو: اسم من أسماء الخمر ويقصد بها هنا محبته التي سلبت عقله تماماً مثل الخمر، يقول دع عنك هذه الأمور فلا جدوى منها غير تغييب العقل وقلة الشأن، وبها يضل عقل الشجاع عن أهدافه ومآربه ويغيب .

﴿حَسَنَاتِي عِنْدَ الزَّمَانِ﴾

حَسَنَاتِي عِنْدَ الزَّمَانِ ذُنُوبٌ * وَفِعَالِي مَذَمَّةٌ وَعُيُوبٌ

وَنَصِيبِي مِنَ الْحَبِيبِ بَعَادٌ * وَلِغَيْرِي الذُّنُوبُ مِنْهُ نَصِيبٌ

كُلَّ يَوْمٍ يَبْرِي السَّقَامَ مُحِبٌّ * مِنْ حَبِيبٍ وَمَا لُسُقْمِي طَبِيبٌ

فَكَأَنَّ الزَّمَانَ يَهْوَى حَبِيبًا * وَكَأَنِّي عَلَى الزَّمَانِ رَقِيبٌ

يشكوا عنتره حاله ويعبر عن حُزنه بأبياتٍ تفيض بالأسى، فيقول:

حسنتي أي كل ما فعلته وحققته وكل مجد نلته كان من المفترض أن

يكون حسناتٍ لي عند الزمان، فتنصلح أحوالي وتُحمدُ خِصَالِي وأفعالي

ولكن العكس هو الواقع، فكل ما ينسب لي من عزٍ ومجدٍ هو بمثابة

الذنوب عند الزمان، فكان منه كل هذه البلايا والأحزان، ومن بلايا هذا

الزمان أن كان لعنتره نصيبٌ وفير وقدرٌ كبير من البعد والفراق عن

حبيبته عبلة، ومن ظلم الزمان لعنتره أن جعل لكل شخص وكل شئ

سواه نصيب من الدنو أي القرب من عبلة، ويُشَبِّهُ عنتره بُعد الحبيب

عن حبيبته بالمرض فكما أن التداوي فيه الشفاء من السقم أي المرض،

كذلك اللقاء بالحبيب فيه الدواء من داء البعد والفرق، إلا أن داء
عنتره من شدته وتعذر علاجه صار كأنه لا دواء له ولا خلاص منه وذلك
معنى (وَمَا لِسُقْيِي طَبِيبٌ)، ثُمَّ يُشَبَّهُ أَيْضاً حَالِ الزَّمَانِ مَعَهُ وَمَوْقِفِهِ مِنْهُ
بأن الزمان محب وأن عنتره يحول بينه وبين محبوبه، فصار الزمان يكن
له كل بغض وكل غضب وصارت جميع فعال عنتره الحميدة والكريمة
ومحامده، مثالب يستحق عليها العقاب والعناء، والله دره عنتره كيف أتى
بمثل هذه الصورة العبقريه لحاله وحال الزمان .

إِنَّ طَيْفَ الْخَيَالِ يَا عَبْلٌ يَشْفِي * وَيُدَاوِي مِنْهُ فُؤَادِي الْكَنْيَبُ

وَهَلَاكِي فِي الْحُبِّ أَهْوَنُ عِنْدِي * مِنْ حَيَاتِي إِذَا جَفَانِي الْحَبِيبُ

طيف الخيال: هو الصورة الذهنية التي تتكون وقت ذكر الشيء، وهو عند
عنتره ذكر الحبيب ومثول صورته في الذهن، ذلك الحبيب الذي أصاب
عنتره الإعياء والهوان بسبب ابتعاده عنه، فيقول: إن مجرد ذكر الحبيب
وتصوره مائلاً ظاهراً أمام عينيه يخفف عنه ما به شوق، ويرتاح قلبه
الذي أصابه الإكتئاب جرّاء هذا الابتعاد والفرق، وكما أن كل داءٍ
شديدٍ قد يموت منه صاحبه فإن داء عنتره وهو الحب قد يكون سبب

موته، وبما أن موته بسبب محبته فهو غير ساخط وغير حزين، بل هو راضٍ سعيدٌ بذلك الموت فهو على الأقل أهون بكثير من جفوة الحبيب: أي ابتعاده وانطفاء نار المحبة بداخله، فإنه إن كان الأمر كذلك ستكون حياته أشبه بعذاب لا خلاص منه.

يَا نَسِيمَ الْحِجَازِ لَوْلَاكَ تَطْفِي * نَارَ قَلْبِي أَذَابَ جِسْمِي اللَّهَيْبُ
لَكَ مِنِّي إِذَا تَنَفَّسْتُ حَرًّا * وَلِرِّيَاكَ مِنْ عُبَيْلَةَ طَيْبُ

ينتقل عنتره ليخاطب نسيم الحجاز حيث منزل عبلة ومكان إقامتها، ويوضح كيف أن هذا النسيم عزيز القدر عنده لأنه قادم من عند عبلة، وليس هذا فقط فهذا النسيم لولا تواجده لذاب جسم عنتره من نار ولهيب عشقه ومحبته، فهذا النسيم يطفى هذه النار قليلا لأنه من عند عبلة، وبلغ من عنتره الشوق أن صار نفسه الذي يخرج حاراً ولا يطفئه غير هذا النسيم الذي صار طيب الرائحة بعد أن اختلط بأنفاس عبلة، وهذا معنى قوله (وَلِرِّيَاكَ) أي ريحك .

وَلَقَدْ نَاحَ فِي الْعُصُونِ حَمَامٌ * فَشَجَانِي حَنِينُهُ وَالنَّحِيبُ
بَاتَ يَشْكُو فِرَاقَ الْإِفِّ بَعِيدٍ * وَيُنَادِي أَنَا الْوَحِيدُ الْغَرِيبُ

يَا حَمَامَ الْعُصُونِ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي * عَاشِقًا لَمْ يَرْقُكَ عُصْنُ رَطِيبِ
فَاتْرِكِ الْوَجْدَ وَالْهَوَى لِمَحِبِّ * قَلْبُهُ قَدْ أَذَابَهُ التَّعْذِيبُ
كُلَّ يَوْمٍ لَهُ عِتَابٌ مَعَ الدَّهْرِ * رِ وَأَمْرٌ يَحَارُ فِيهِ اللَّيْبُ
وَبَلَايَا مَا تَنْقُضِي وَرَزَايَا * مَا لَهَا مِنْ نِهَائِيَّةٍ وَخُطُوبُ

وما أن ينتهي عنتره من مخاطبة نسيم الحجاز حتى ينتقل بنا لمشهدٍ آخر، حيث رأي الحمام ينوح فوق الأغصان ليثير نواحه في نفس عنتره لوعته وغرامه، ويشعل في قلبه نار الاشتياق، وكان دأب شعراء العرب وعاداتهم أن يستعبروا في تصوير الشجو والأحزان بصورة الحمام الذي ينوح فوق الأغصان مثلما فعل عنتره، ويكمل حديثه مُعللاً ومُوضحاً سبب نوح ذلك الحمام وهو أنه يشكوا ما به من ألم الفراق الناتج عن ابتعاد إلفه، والإلف: هو الحبيب الذي تألفه النفس وتميل إليه، ومع هذه الشكوى ينطق لسان حاله وحال عنتره ويقول: أنا الوحيد الغريب، ونرى عنتره يعيب على الحمام موقفه وتخاذله وأنه اكتفى بالنواح على الأغصان دون السعي للقاء إلفه الذي يشكوا ابتعاده، ونراه يصفه بعدم الصدق في عشقه لتخاذله وضعفه ولو كان صادقاً في حبه لسعى للقاء

محبوبه، وذلك معنى قوله (لم يرقك غصن رطيب) ثم يقول له دع أمور
العشق لمن هو أهلُّ له، دعه لشخصٍ مثل عنتره قد ذاب قلبه من
عذاب الفراق والابتعاد، شخصٌ له في كل يوم وليله عتاب على الدهر
ذلك الدهر الذي يتفنن في التفريق بينه وبين من يعشقها قلبه وتسكن
إليها روحه، ولا يزال كل يوم يبليه بمصائب وصعاب يبدو أن لا نهاية لها،
وذلك معنى قوله (ما لها من نهاية وخطوب).

سَأَلِي يَا عُبَيْلَةَ عَنِّي خَبِيرًا * وَشَجَاعًا قَدْ شَيَّبَتْهُ الْحُرُوبُ
فَسَيُنْبِيكَ أَنْ فِي حَدِّ سَيْفِي * مَلَكُ الْمَوْتِ حَاضِرٌ لَا يَغِيبُ
وَسَنَانِي بِالذَّارِعِينَ خَبِيرٌ * فَاسْأَلِيهِ عَمَّا تَكُونُ الْقُلُوبُ
كَمْ شَجَاعِ دَنَا إِلَيَّ وَنَادَى * يَا لِقَوْمِي أَنَا الشَّجَاعُ الْمَهِيْبُ
مَا دَعَانِي إِلَّا مَضَى يَقْضِمُ الْأَرْ * ضَ وَقَدْ شُقَّتْ عَلَيْهِ الْجُيُوبُ

عودٌ للإفتخار والتعزز يخاطب عنتره محبوبته عبلة ويقول لها: إن شئتِ
أن تعرفي مدى قوتي وشجاعتي في الحروب، فدونك الأبطال والشجعان
اسألهم واستخبرهم عني، فسيخبروك بالخبر الصادق الذي لا شك فيه،
وذلك معنى قوله (فسينبيك) من النبأ: وهو الخبر الصادق اليقين،

سيخبرك أن من يلقاني في الحروب لا محالة هالكٌ وما ذلك إلا لأن ملك الموت حاضر عند حد سيفي الذي أقاتل به أعدائي وأهلكهم، ويوجد هنا سؤال: وهو أن عنتره كان من الجاهليين الذين لا يدينون بدين التوحيد، فكيف علم عنتره بمسألة ملك الموت ؟ وهذا الأمر له احتمالين، الإحتمال الأول: هو أن عنتره في حياته الطويلة ربما التقى ببعض أهل الكتاب وسمع منهم، وربما التقى ببعض العرب الذين يتعبدون بحنيفية سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهذا الاحتمال هو الراجح في رأيي، أما الاحتمال الثاني: فهو أن هذه القصيدة قد نالها شئ من التحريف، وهو ضعيف في رأيي حيث أنه لا مبرر لذلك ولا داعي له، وعندما نعود للقصيدة نجد عنتره يخبرنا ويقول لنا أن سنانه أي: رمحه خبيرٌ بالدارعين أي: المحاربين الذين يرتدون الدروع، صار رمحه خبير بالدارعين من كثرة ما لقيهم وقاتلهم، فلتسألني يا عبلة أحدهم وليخبرك كيف تكون قلوبهم عندما يقفون أمامي ويتلقون سيفي وسناني، من شدة ما يعترهم خوفٍ وقلق، فكم شجاعٍ دنا إلي أي: اقترب مني ليقاتلني وينادي قومه متافخراً بقوته وشجاعته، حتى جعلته جثة هامة يقضم

الأرض أي: بعضها بضمه، كنايةً عن الهيئة التي يكون عليها حال هزيمته أمام عنتره، وبعد أن كان قومه فرحين به متهللين بقوته وشجاعته، صاروا الآن ينوحون عليه وتشق النساء الجيوب.

وَلِسْمِرِ الْقَنَا إِلَيَّ اِنْتِسَابُ * وَجَوَادِي إِذَا دَعَانِي أُجِيبُ
يَضْحَكُ السَّيْفُ فِي يَدِي وَيَنَادِي * وَلَهُ فِي بَنَانِ غَيْرِي نَحِيبُ
وَهُوَ يَحْمِي مَعِيَ عَلَى كُلِّ قَرْنٍ * مِثْلَمَا لِلنَّسِيبِ يَحْمِي النَّسِيبُ
فَدَعُونِي مِنْ شُرْبِ كَأْسِ الْمُدَامِ * مِنْ جَوَارٍ لَهُنَّ ظَرْفٌ وَطِيبُ
وَدَعُونِي أَجْرٌ ذَيْلِ فَخَّارٍ * عِنْدَمَا تُخْجَلُ الْجَبَانَ الْعُيُوبُ

في ختام القصيدة يعدد عنتره مظاهر شجاعته ويظهر فضائل أخلاقه، فنراه يقول الأشياء تعرف بنسبها وأصلها، فكما أن بعض الخيول لها نسب وأصل تمتاز به عن البعض الآخر، السيوف كذلك تعرف جودتها وأصلها إذا ما كانت منسوبة لعنتره، وليس معنى ذلك أنه يصنع السيوف ولكن السيف الذي يمسكه بيده ويقا تل به، يكون له فخرٌ وفضلٌ على باقي السيوف وذلك معنى قوله (ولسمر القنا إلي انتساب)،

وعندما يكون السيف في يدي عنتره فإنه يضحك فرحاً ومسروراً بقوة
حامله وشجاعته، وينادي الأعداء متحدياً لهم متفاخراً باليد التي
تمسكه، وإذا ما كان في يد غيره يكون له بكاءً وانتحاباً حزناً وألماً لأنه
ليس في يدي عنتره، وعندما يكون في يدي عنتره تأخذه الحمية ويدفعه
الحماس للقتال والهجوم على كل قرن، أي: محارب قوي وكما أن
النسيب يتعصب لنسيبه ويغضب له يكون سيف عنتره، ويخاطب عنتره
أعداءه ويقول لهم فدعوني مما أنتم غارقون فيه من شرب كأس المدام،
أي: الخمر التي تقدمها لكم الجواري الحسان في مجالس لهوكم
وفسادكم، فلست كذلك ودعوني أجر ذيل الفخار علي كل جبان،
ينتقص قدري ويقلل من شأني وهو يملؤه الخجل مما ينسب إليه من
عيوب ووزائل.

أُعَاتِبُ دَهْرًا

أُعَاتِبُ دَهْرًا لَا يَلِينُ لِعَاتِبٍ * وَأَطْلُبُ أَمْنًا مِنْ صُرُوفِ النُّوَابِ

وَتُوَعِدُنِي الْأَيَّامُ وَعِدًّا تُعْرَبِي * وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ وَعْدٌ كَاذِبٌ

في هذه القصيدة يبث عنتره التي تملأ عقله وقلبه وتكاد تفتك بروحه، ولا متنفس له غير الشعر فنجده، قد ابتداء القصيدة بعبابه للدهر ذلك الدهر الذي لا يسأم ولا ينفك عن إيذاء عنتره، ولكنه بالرغم من كل هذا العتاب، لا يلين ولا يرق لعنتره الذي أنهكته صروف النوايب أي: صنوف وأشكال الصعاب والمعاناة، لدرجة أنه صار يطلب الأمن والأمان منها، وكما يعاتب عنتره ذلك الدهر يشكوا حال الأيام معه، وما كان منها من وعود وآمال أطمعته بها وهي في الحقيقة لا تزيد على أن تغريه بتلك الأحلام، فتستنفذ عمره وتهلكه وما ذلك إلا لأنها من جنود ذلك الدهر الذي يعادي عنتره، ولكن عنتره يعلم جيداً أنه ليس لتلك الأيام وعدٌ صادق وأن الزمان دوار، ولذا لا يغتر بتلك الوعود لأنه يعلم علم اليقين أنها وعود كاذبة.

خَدِمْتُ أَنَسًا وَاتَّخَذْتُ أَقْرَبًا * لِعَوْنِي وَلَكِنْ أَصْبَحُوا كَالْعَقَارِبِ

يُنَادُونَنِي فِي السَّلَامِ يَا ابْنَ زَبِيْبَةٍ * وَعِنْدَ صِدَامِ الْخَيْلِ يَا ابْنَ الْأَطَائِبِ

وَأَوْلَا الْهَوَى مَا ذَلَّ مِثْلِي لِمِثْلِهِمْ * وَلَا خَضَعْتُ أَسَدُ الْفَلَاحِ لِلثَّعَالِبِ

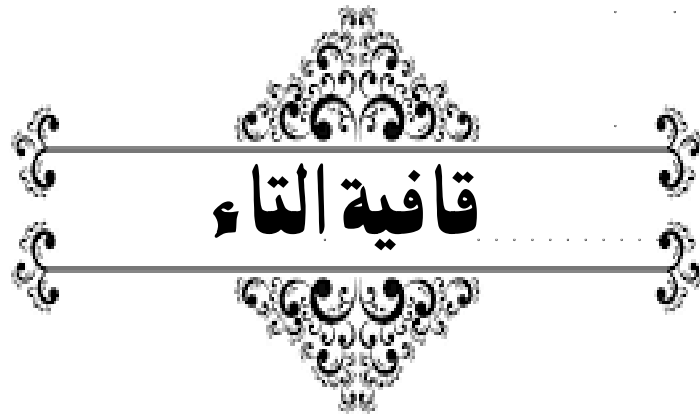
إن صاحب الغاية العظيمة والآمال البعيدة في أول سعيه وسيره لتحقيق هذه الآمال والغايات، في حاجةٍ للعون والمؤازرة من القريب والبعيد، وهذا ما فعله عنتره فكم أدى خدماتٍ جليلاً لمعارفه وكم أدنى إليه من أقاربه، كل هذا رجاء أن يكونوا معه وعزاً له إذا ماتطاول عليه سفيه، ولكن لم يكن إلا غير الجحود والنكران حتى من أقاربه الذين لا يُنتظر منهم ذلك، فكانوا كالعقارب كناية عن الغدر وذلك معنى قوله (أصبحوا كالعقارب)، ولم يكن الغدر فقط من صفاتهم بل النفاق من أبرز تلك الصفات، ذلك أن من مظاهر هذا النفاق إذا ما كانت الحرب واشتد القتال، وكانت الغلبة للأعداء يأتون إليه مهرولين راجين أن يعينهم ويقاتل معهم، وَيَتَمَلَّقُونَهُ بِأَطْيَبِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ، وإذا ما كانوا في حالة سلم يُعَيِّرُونَهُ بِسَوَادِ جِلْدِهِ وَيُنَادُونَهُ بِاسْمِ أُمِّهِ، فيا لهم من أقارب ويا لهم من أعوان اتخذهم عنتره، ثم نرى عنتره يعتذر لنفسه في المقام

الأول ثم لمن يلومه على اتخاذ مثل هؤلاء الأندال أعواناً له، فيقول أنه لولا الهوى ما تدلل إليهم ولا احتاج لأمثالهم، لكن ما الذي يقصده عنتره بقوله الهوى؟ أرى أنه يقصد رغبته وطموحاته وأحلامه وآماله التي كان يرجوا أن يعينوه على تحقيقها والوصول إليها، وربما كان يقصد حبه لابنة عمه التي كان دوماً يتودد لأبيها مالك بن معاوية بن قراد العبسي، رجاء أن يزوجه بها ولكنه ما زال يصبر على أن يحول بينه وبينها، ولولا كل ذلك ما ذلت أسد الصحاري وسباعها لمثل هؤلاء الثعالب .

فِيَا لَيْتَ أَنَّ الدَّهْرَ يُدْنِي أَحْبَبِي * إِلَيَّ كَمَا يُدْنِي إِلَيَّ مَصَائِبِي
وَلَيْتَ خَيَالاً مِنْكَ يَا عَبْلُ طَارِقاً * يَرَى فَيْضَ جَفْنِي بِالذَّمُوعِ السَّوَابِ
سِأَصْبِرُ حَتَّى تَطْرَحْنِي عَوَانِي * وَحَتَّى يَضِجَ الصَّبْرُ بَيْنَ جَوَانِبِي
مَقَامِكَ فِي جِوِ السَّمَاءِ مَكَانُهُ * وَبَاعِي قَصِيرٌ عَنِ نَوَالِ الْكَوَاكِبِ

استعطاف وحنين ومناجاة للمحبيب ومن ثم عتاب على الدهر، ذلك الدهر الذي ما يزال مستمراً في التفريق بين عنتره ومحبوته عبلة، كأن لاشاغل له إلا ذلك، وكما يباعد بين عنتره وبين أحبته يسعى للتقريب بينه وبين المصائب والمحن، فليته كان يقرب أحبة عنتره إليه مثل تقريبه

لنتلك المصائب والبلايا، وقد بلغ الحزن من عنثرة على فراق محبوبته، أن
صارت عيناه تبكيان حتى فاض البكاء أي زاد وكثر، فليت خيالك يا عبلة
يسموا بكِ فترينَ حالي وترثينَ لحزني وبكائي، ولكن اعلمي يا عبلة وليعلم
من يلومني في محبتي، أنني صأصبر وأجتهد في الصبر حتى يمل مني من
يلومونني، وحتى يتعب الصبر من صبري وذلك معنى قوله (تطرحني
عواذلي)، وقوله (يضج الصبر بين جوانبي)، وفي النهاية يختم عنثرة حديثه
مع عبلة موضحاً أنه لا عجب في صعوبة الوصول إليها، لأن من كانت
مثلها مقامها في جو السماء بين النجوم العاليات، وأن يا عبلة باعي أي:
ذراعي قصير عن الوصول لهذا المقام.



قافية التاء

﴿إِذَا قَنَعَ الْفَتَى بِذَمِيمِ عَيْشٍ﴾

قال عنتره هذه القصيدة مُتَوَعِّدًا وَمُحَذِّرًا لبني زبيد، الذين كانوا في حربٍ مع بني عبس.

إِذَا قَنَعَ الْفَتَى بِذَمِيمِ عَيْشٍ * وَكَانَ وَرَاءَ سَجْفٍ كَالْبَنَاتِ
وَلَمْ يَهْجُمِ عَلَى أُسْدِ الْمَنَايَا * وَلَمْ يَطْعَنْ صُدُورَ الصَّافِنَاتِ
وَلَمْ يَقْرِ الضُّيُوفَ إِذَا أَتَوْهُ * وَلَمْ يَرَوْ السُّيُوفَ مِنَ الْكُمَاةِ
وَلَمْ يَبْلُغِ بِضَرْبِ الْهَامِ مَجْدًا * وَلَمْ يَكُ صَابِرًا فِي النَّائِبَاتِ

يوضح عنتره في هذه الأبيات شمائل وأخلاق الرجال التي ينبغي أن يكونوا متصفين بها، والعيوب التي ينبغي عليهم تجنبها، ومن ضمن هذه الصفات عدم الرضا بالحياة التي هي مقرونةٌ بالذلِّ والقهر، وعدم الرضا بها والتمرد عليها، وألا يكون المرء راضياً بالتستر من وراء سجف، والسجف: هو الذي يُتَّخَذُ ستاراً وساتراً أي: لا يُصبحُ خاضِعاً ليس له من أمره شيء، كحال البنات والنساء، وليس من ضمن العيوب التخاذل والرضا بذيوم العيش فقط، وإنما التخاذل عن مواجهة الصعاب

والشدائد التي عَبَّرَ عنها عنتره بقوله (أسد المنايا)، واصِفاً مدى صعوبتها
وأنها من السبل التي نهايتها الموت والهلاك ولعله يقصد الحروب
والمعارك، وأيضاً لم يواجه الفرسان الذين يركبون الخيول الأصيلة وهي
المقصودة بقوله (الصفانات)، ثم يذكر جانباً آخر من المحامد والمكارم،
وهو أن يَقْرِي الضيوف أي: يكرمهم إذا نزلوا عنده ولا يقصر معهم في
طعام أو شراب أو مبيت، وهذه كانت عادة سائدة عند قبائل العرب،
(ولم يرو السيوف من الكمأة) أي: لم يشبع سيفه من لابسِي الدروع من
الفرسان، والمعنى أنه لا بد له من أن يقاتل المحاربين والفرسان الأعادي
الذين يريدون السوء له ولأهله وأرضه، ثم يبين عنتره أن الضرب
بالسيوف ليس كله خير، فهناك ضربٌ وقاتلٌ يُورثُ صاحبه مجداً وعزاً
وشرفاً إذا ما كان دفاعاً عن الأرض والأهل والنفس، وهناك ضربٌ
بالسيوف لا يُورثُ إلا ذُلًا ودناءةً إذا ما كان تَجَبُّراً على الضعفاء وسَلْباً
للحقوق، فيجبُ على المرء أن يكون ضربه بالسيف لغاية نبيلة تُورثُهُ
مجداً وعزاً وشرفاً، وأيضاً عليه أن يكون صابراً متجلداً في وجه
النائبات، أي: الشدائد والمصائب والمحن.

فَقُلْ لِلنَّاعِيَاتِ إِذَا بَكَتَهُ * أَلَا فَاقْصُرْنَ نَدْبَ النَّادِبَاتِ

وَلَا تَنْدُبْنَ إِلَّا لَيْثَ غَابٍ * شَجَاعاً فِي الْحُرُوبِ النَّائِرَاتِ

إذا لم يكن الرجل متحلياً بكل هذه السمائل والصفات ومتجنباً لكل هذه العيوب والنقائص، فلا خير منه لنفسه أو لقومه ولا يستحق أن تنعيه وتبكيه النادبات، وليقصرن الندب أي: ليكفرن ويتوقفن عن ندب مثل هذا الجبان، وإذا أرادت النادبات ندب أحدٍ فليندبن رجلاً ك ليث الغاب أي، أسد الغاب شجاعاً كريماً لا يجبن ولا يتراجع، مقدامٌ في الحروب الثائرة أي الطاحنة البالغة في القتال والطعان مبلغاً كبيراً.

دَعُونِي فِي الْقِتَالِ أُمَّتٍ عَزِيزاً * فَمَوْتُ الْعِزِّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي

لَعَمْرِي مَا لَفَخَارٍ بِكَسْبِ مَالٍ * وَلَا يُدْعَى الْغَنِيُّ مِنَ السُّرَاةِ

ومن ثم يقول عنتره دعوني من كل هؤلاء الذين لا شرف لهم ولا شجاعة لديهم، فأنا لست من أمثالهم، ودعوني أموت وأنا أقاتلُ عزيزاً غير ذليلٍ أو متخاذلٍ، فالموت لي في هذه الحالة أشرف لي وأعزُّ عندي من حياةٍ قد أكون فيها ذليلاً مُهاناً، ثم يُقسمُ عنتره ويقول أن الفخر للرجل ليس أبداً بكسب المال بغض النظر عن وسائل هذا الكسب، وليس الفخر بوفرة

الأموال والغنى ولكن الفخر الحق في الكرم وسماحة الأخلاق والطباع،
ولذلك فليس كل غني يكون من السُرّة أي: الكرام الأماجد أصحاب
الأخلاق العالية والشمائل الرفيعة.

سَتَذْكُرُنِي الْمَعَامِعُ كُلَّ وَقْتٍ * عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ

فَذَلِكَ الذِّكْرُ يَبْقَى لَيْسَ يَفْنَى * مَدَى الْأَيَّامِ فِي مَاضٍ وَأَتٍ

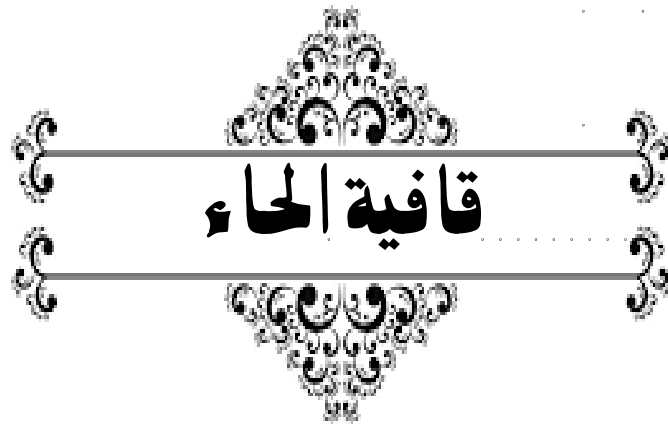
وليعلم الجميع أنني حتى وإن فنيْتُ وهَلَكْتُ ومضت على الأيام والليالي،
فسيظلُّ ذكري قائماً عند كل معركة وكل نائبة، وستكون حكايتي على
ألسن العرب طالما حييت وبعد أن أموت، وخير الذكر للمرء الذي تعرفه
الناس به، ذلك الذكر الذي يبقى ويبقى صاحبه وليس ذلك الذي يفنى
وينتهي كما انتهى سابقه، ولا يدوم الذكر الطيب إلا لشجاعٍ عظيم
الشأن فارساً مثل عنتره.

وَإِنِّي الْيَوْمَ أَحْمِي عِرْضَ قَوْمِي * وَأَنْصُرُ آلَ عَبَسَ عَلَى الْعِدَاةِ

وَأَخُذُ مَا لَنَا مِنْهُمْ بِحَرْبٍ * تَخِرُّ لَهَا مَثُونُ الرَّاسِيَاتِ

وَأَتْرِكُ كُلَّ نَائِحَةٍ تُنَادِي * عَلَيْهِمُ بِالْتَّفَرُّقِ وَالشَّتَاتِ

وفي الختام يقولُ عنترَةُ ولتعلّموا يا آل زبيدُ أني اليومُ مُدافعٌ عن قومي
وناصرهم وراذُّ كيدكم عليكم، وأنني اليومُ أحمي عِرْضَ قومي ومُدافعٌ
عنه وليس لكم طاقةٌ بحربي، واعلموا كذلكُ أني جئتُ لأُسترد ما
سلبتموه من آل عبسٍ ظلماً وعدواناً، ولا يكون ذلكُ إلا بحربٍ من شدتها
وقوتها تَخِرُّ من هولها تلكُ الجبالُ الراسياتُ الشامخاتُ، فما ظنكم بما
سَيَجِلُّ بِكُمْ من غضبي وبأسي، اعلموا يا آل زبيدُ أني لن أترككم إلا وأنا
مهلككم ومن ورائي نساءكم تنوح عليكم، وتبكي تفرقكم وشتاتكم .



قافية الحاء

﴿دهراً لا يلين لناصح﴾

أَعَاتِبُ دَهْرًا لَا يَلِينُ لِنَاصِحٍ * وَأُخْفِي الْجَوَى فِي الْقَلْبِ وَالذَّمْعُ فَاضِحِي

وَقَوْمِي مَعَ الْأَيَّامِ عَوْنٌ عَلَى دَمِي * وَقَدْ طَلَبُونِي بِالْقَنَا وَالصَّفَائِحِ

وَقَدْ أَبْعَدُونِي عَنِ حَبِيبِ أَحِبُّهُ * فَصِرْتُ فِي قَفْرِ عَنِ الْإِنْسِ نَازِحِ

أحوال العشاق دائماً ما تكون شديدة وصعبة ولا يعلم بها إلا الله، فالعاشق لا يهدأ له بال ولا تغمض له عين، يكون غريباً بين الناس ووحيداً وسط الجموع، يعتربه حزنٌ دائمٌ وقلقٌ لا يزول إذا ما كان بعيداً عن معشوقه يكون قلقه حيال اللقاء والوصال، وإذا ما كان معه يكون قلقه من التفرق والإبتعاد وهذا هو حال عنتره، فنراه في هذه القصيدة يبكي فرقته وابتعاده عن عبلة ويعاتب دهره كما هي العادة، ذلك الدهر الذي هو موسوم وموصوف بالقسوة والغلظة لدرجة أنه لم ينظر لدموع عين عنتره ولم يرق لحاله ولا يلين لناصح ناصح، وليس لعنتره إلا أن يكتم الجوى في قلبه والجوى هو: شدة العشق، ولكن ليس ينفعه ذلك لأن دموع حزنه وفراقه تفضح حاله وتفيض من عينيه رغماً عن

تماسكه وتجلده، ما أسوأ حال عنتره وما أشد تعاسته فليس الدهر وحده من يؤذيه ويبعده عن عبلة ويبتليه بأنواع المصائب والصعاب، بل صار معه قوم عنتره من بني عبس الذين صاروا عوناً للأيام ضد عنتره، وصاروا يطاردونه بالقنا والصفائح أي: الرماح والسيوف، ولعله يقصد ما كان من محاولات إبعاده وإهلاكه التي سعى إليها كل من عمه مالك وعمارة والربيع ابني زياد العبسين، قوم عنتره الذين كان من شرهم وإيذائهم لعنتره أن سعوا لإبعاده عن الحبيب الذي يهواه ويحن إليه ويبذل كل غال ونفيس طمعاً في وصاله، وقد نجحوا في ذلك فصار حال عنتره كأنه في قفر أي: مكان مهجور، مبتعداً عن الناس وعن شرورهم وفساد أنفسهم، لا فرق بينه وبين الأموات لأن حياته كانت في قربه من الحبيب.

وَقَدْ هَانَ عِنْدِي بَدَلُ نَفْسٍ عَزِيْزَةٍ * وَلَوْ فَارَقْتَنِي مَا بَكَتْهَا جَوَارِحِي
وَأَيْسَرُ مِنْ كَفِّي إِذَا مَا مَدَدْتُهَا * لِنَيْلِ عَطَاءٍ مَدُّ عُنُقِي لِذَابِحِ

قيمة الحياة عند كل شخص تكمن فيما يطمح أن يكون عليه وأن يصل إليه، فإذا ما فشل في ذلك لأي سبب كان لم تعد للحياة أي قيمة تذكر،

فيكون بذل النفس والروح أهون ما يكون على الشخص وذلك حال عنتره، فقيمة الحياة في نظره كانت متمثلة في شيئين الشئ الأول: هو عشقه ومحبه لابنة عمه عبلة، والشئ الثاني: هو رغبته في إثبات نفسه وتفوقه على كل من يحقر شأنه ويقلل قيمته، ومن ثم فبعد أن تم إبعاده عن محبوبته كان ذلك ضرباً له في قيمته فلم يُجعل له أي اعتبار، وتم التفريق بينه وبين عبلة فصار بذل النفس أمراً هيناً، لدرجة أنه لو فارقت روحه لم تبكي عليها بقية جوارحه أي: أعضاء جسده، ومن تجلّد عنتره في هذه القصيدة وصبره أنه يصف لنا خلقاً كريماً ألزم به نفسه وهو التعفف، فهو رجل عزيز النفس دائماً ما يكون صاحب اليد العليا، وإذا ما ضاقت به الدنيا فهو رجلٌ عفيفٌ لا يمد يده لعطاءٍ من أحد، بل أكرم لنفسه وأيسر عنده أن يمد عنقه للذبح على مد يده لمنة يُتفضّل عليه بها.

فِيَارِبِّ لَا تَجْعَلْ حَيَاتِي مَنَمَةً * وَلَا مَوْتِي بَيْنَ النِّسَاءِ النَّوَائِحِ
وَلَكِنْ قَتِيلاً يَدْرُجُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ * وَتَشْرَبُ غَرِيَانُ الْفَلَا مِنْ جَوَانِحِي

وبعد كل ما صار وما حدث صارت غاية عنتره وأمنيته أن يعيش ما تبقى له من حياته كريماً عفيفاً غير متدنس برذيلة أو فساد نفس، وقد كان من قناعات العرب بصفة عامة والمحاربين منهم بصفة خاصة أمثال عنتره، أن موت الرجل في غير ساحات الحروب والقتال فيه ذل له وإهانة، ولذلك كان يقال "مات حتف أنفه" أي: على سريره دون قتال وطعان، ولأن عنتره محارب فتأبى عليه نفسه أن يموت إلا محارباً ومقاتلاً، وليس في فراشه تنوح حوله النساء، والعجيب أنه كان له ذلك فعنتره مات مقاتلاً شامخاً على ظهر جواده، ويقول أنه يفضل أن تكون نهاية حياته وختام أجله قتيلاً في ساحات الحروب، تحوم حوله الطيور وتنقره غربان الجثث فهذا هو الموت الذي يكون مشرفاً ويكون به عزٌّ وكرامةٌ للمحارب، والمتأمل في ختام قصيدة عنتره يشعر بروح اليأس التي اعترت عنتره نتيجة لما ألمَّ به من أحزان وآلام.

﴿الطبأ السوانع﴾

قال عنتره هذه القصيدة في إغارته على بني ضبة وتميم.

طَرِبْتَ وَهَاجَتِكَ الطَّبَاءُ السَّوَانِحُ * غَدَاةَ غَدَتِ مِنْهَا سَنِيحٌ وَبَارِحُ

تَغَالَتْ بِي الْأَشْوَاقُ حَتَّى كَأَنَّهَا * بَزْنَدَيْنِ فِي جَوْفِي مَنِ الْوَجْدِ قَادِحُ

وَقَدْ كُنْتُ تُخْفِي حُبَّ سَمْرَاءَ حِقْبَةً * فُبُحَّ عَنْكَ مِنْهَا بِالذِّي أَنْتَ بَائِحُ

لَعَفْرِي لَقَدْ أَعَذَّرْتُ لَوْ تَعَذَّرِي نِي * وَخَشَنْتُ صَدْرًا غَيْبُهُ لَكَ نَاصِحُ

كان التفاؤل والتشاؤم من العادات المجتمعية المنتشرة بشكل كبير في جزيرة العرب، فكان من مظاهر التفاؤل أنه إذا خرج أحدهم للصيد يراقب ما يمر بجانبه من طير وحيوان فإذا كان هذا الذي يمر من على يمينه يكون ذلك مبعثاً للتفاؤل ويسمى هذا المار بالسانح، وإذا كان الذي يمر من على يساره يكون ذلك مبعثاً للتشاؤم ويسمى ذلك بالبارح، وعنتره الآن سائر في جيش ليغير على بني ضبة وتميم وقد مر من على يمينه ويمين الجيش بعض الطبأ فكانت سوانح، وكان ذلك مبعثاً للتفاؤل وتبشيراً بالنصر لعنتره ومن معه، والبعض الآخر من تلك الطبأ مرت من

على يساره ويسار الجيش فكانت بوارح وكان ذلك مبعثاً للتشاؤم ونذيراً
بالحزيمة، فيقول في مطلع القصيدة طربت أي: صرت في حالة من
التناغم والسلام الداخلي، عندما كانت الأطباء السوانح وهاجتك أي:
جعلتك منفِعاً ومضطرباً، نفس تلك الأطباء عندما كان بعضها بوارح،
والذي يكون في حال حربٍ وغربة يشتاق لأهله ووطنه وأحابيه وما بالك
بعاشق واله مثل عنتره، كيف يكون حاله لقد زادت أشواقه وتعالته
وتغالت أي: صارت مبالغاً فيها، حتى كأن في داخل جوفه زندين: أي
عودين قد اشتعلت ناراً من شدة الوجد أي شدة العشق، ثم يعاتب
نفسه معاتبه لينة ويقول لقد مكثت زمناً طويلاً تخفي في قلبك ما به من
عشق ومحبة لتلك السمراء، -ويقصد بها عبلة- ألا يكفيك هذا الخفاء
والكتمان؟ ألا تنظر إلى ما سببه من احتراق وألم، فبح بمحبتك ولا
تخفيها وليكن ما يكون، ومن ثم ينتقل من مخاطبة نفسه إلى مخاطبة
السمراء معتذراً لها، أنه قد أعدّر في كتمانها أي: بالغ وتمادى -والعرب
تقول أعذر في الشيء أي: بالغ فيه- ويتمنى لو تعذره عبلة، أي تلتمس له
العذر في كتمانها للمحبة ويقرب بأنه تحامل على نفسه وخشن صدره أي:

عنفه كي لا يبوح بما يخفيه ذلك الصدر، الذي غيَّبهُ أي: المختفي فيه
عشقٌ وولهُ للسمرَاءِ عبلة.

أَعَانِلْ كَمَ مِنْ يَوْمِ حَرْبِ شَهْدَتُهُ * لَهُ مَنْظَرٌ بَادِي النَّوَاجِدِ كَالِحِ
فَلَمْ أَرِ حَيًّا صَابِرُوا مِثْلَ صَبْرِنَا * وَلَا كَافِحُوا مِثْلَ الَّذِينَ نُكَافِحُ

والآن ينتقل عنتره ليخاطب عداله أي: حاسديه ومن يلومونه على كل
كبيرة وصغيرة، وكأنه يقول لهم من أنتم أو ما أنتم أتعرفون كم حرباً
شهدتُها وحاربت فيها ولقيت الموت فيها آلاف المرات، وأنت متكئون على
أسرتكم في لهوكم ومجونكم، تلك الأيام التي شبهها عنتره بوحش بادي
النواجز، أي: ظاهر الأسنان والأنياب كالح أي: متجهم وحاجبه معقد كل
هذا كناية عن مدى وحشية الحروب وصعوبة أيامها، ومن ثم يقول
عنتره أنه لم يرقوماً أو أناساً صابروا أي بالغوا في الصبر والتحمل مثله
ومثل قومه، ولم يرقوماً كافحوا عدواً في الحرب مثل الذي كافحه عنتره
هو وقومه وواجهوه، وفي هذا تعزُّزٌ وافختارٌ من عنتره بنفسه وبقومه.

إِذَا شِئْتُ لَأَقَانِي كَمِي مَدَجِّجٌ * عَلَى أَعْوَجِيٍّ بِالطِّعَانِ مُسَامِحٌ
نُزَاحِفٌ رَحْفَاءٌ أَوْ نُلَاقِي كَتِيْبَةٌ * تُطَاعِنَا أَوْ يَدْعُرُ السَّرْحَ صَائِحٌ

فَلَمَّا التَّقِينَا بِالْجِفَارِ تَضَعُوعُوا * وَرُدَّتْ عَلَيَّ أَعْقَابُهُنَّ الْمَسَالِحُ

ويواصل عنتره وصف قوته وشجاعته في الحرب، فيقول أنه لو شاء يقاتل كمياً أي: فارساً شجاعاً مدججاً أي: محملاً بالأسلحة، من سيف ورمح وقوس وخنجر... الخ، مما يستخدم عادة في القتال عند العرب، ومن صفات ذلك الفارس أنه يكون على ظهر أعوجي: وهو نسب أصيل لنوع من الأحصنة، وذلك الفارس يقاتل ويطعن ويجود بالطعنات كرمياً على من يقاتلهم، ومع كل هذه القوة وهذه الصفات فهو هالكٌ أمام عنتره، ويصف عنتره حاله وحال قومه في الحرب، فيقول أنهم من شجاعتهم يزحفون أي: يسارعون وينهضون لقتال العدو، فيما أن ينهض إليهم ويقاتلهم أو يكونون كمثل السرح أي: الإبل التي تسعى، أو قطع الأنعام التي تفر وتتفرق إذا ما صاح فيها صائح، ثم يكمل لنا عنتره وصف هذه الملحمة فيقول: أنه عندما التقوا بجيش العدو عند الجفار: وهو مكان به ماء لبني ضبة وتميم، تضعع جيش العدو أي: تفرق وتشتت خوفاً من عنتره وقومه، كما أن المسالِح -وهي الأماكن التي تُتخذُ

لوضع الأسلحة والجنود في مقدمة الجيش - ردت على أعقابها، أي تركت
أماكنها وهربت مع الذين هربوا.

وَسَارَتْ رِجَالٌ نَحْوَ أُخْرَى عَلَيْهِمُ الـ * حَدِيدٌ كَمَا تَمْشِي الْجَمَالُ الدَّوَالِحُ

إِذَا مَا مَشَوْا فِي السَّابِغَاتِ حَسِبَتْهُمْ * سَيْوِلًا وَقَدْ جَاشَتْ بِهِنَّ الْأَبَاطِحُ

فَأُشْرِعَ رَايَاتٌ وَتَحْتَ ظِلَالِهَا * مِنَ الْقَوْمِ أَنْبَاءُ الْحُرُوبِ الْمَرَاجِحُ

وكما هو حال الحرب تكون دائما ما بين كَرٍّ وَفَرٍّ إلى أن ينتصر أحد
الفريقين، كذلك حال الحرب التي يخوضها عنتره، فهو يصف لنا مشهد
العودة إلى الإشتباك بين الجيشين، وكل رجل يحمل معه أسلحته ودرعه،
فكانوا مثل الجمال الدوالح: وهي الجمال التي تكون محملة بالبضائع،
ويصف عنتره ذلك المشهد المهييب الذي يسير الرجال فيه متجملين
بالسابغات، أي: الدروع الكاملة فكانوا كأنهم أمواجٌ وسيول جادت بها
الأباطح أي: الأماكن المرتفعة من الأرض، وذلك كنايةً عن تسارع مشيهم
واضطرابهم مثل الأمواج التي تأتي من المرتفعات، وكل جيش يكون له
الرايات الخاصة به، وعند الصدام والإشتباك ترى رايات كثيرة مرتفعة
ومن أسفلها رجالٌ كُثُرٌ يتقاتلون ويتطاحنون، ويصفهم عنتره بأبناء

الحروب ذلك أن الذي جمعهم تحت ظله وكنفه هو الحرب، فصاروا كأنهم إخوة والحرب أهمهم وذلك وصف معروف عند العرب.

وَدُرْنَا كَمَا دَارَتْ عَلَى قُطْبِهَا الرَّحَى * وَدَارَتْ عَلَى هَامِ الرِّجَالِ الصَّفَانِحُ
بِهَاجِرَةٍ حَتَّى تَغِيْبَ نُورُهَا * وَأَقْبَلَ لَيْلٌ يَقْبِضُ الطَّرْفَ سَائِحُ
تَدَاعَى بَنُو عَبْسٍ بِكُلِّ مُهَنْدٍ * حُسَامٍ يُزِيلُ الْهَامَ وَالصَّفَّ جَانِحُ
وَكُلُّ رُدَيْنِيٍّ كَأَنَّ سِنَانَهُ * شِهَابٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَاضِحُ

مشهد آخر يصفه لنا عنتره يخلد لنا به انتصار بني عبس في هذه الحرب، فيقول أنه وقومه داروا على أعدائهم وأهلكوهم، وكما أن الرحي -وهي الآلة التي تتخذ لطحن القمح- تدور وتطحن ما تحتها، كذلك سيوفنا دارت على رؤوس أعدائنا وتهلكهم، وكان كل ذلك القتال بهاجرة أي، منتصف النهار، واستمر هذا القتال إلى أن غاب نور الصباح، وأقبلت ظلمة الليل تنشر أطرافها حتى عمت كل الأرجاء، أما بنو عبس فقد تداعوا أي: أسرعوا بكل مهندٍ حسامٍ أي: سيفٍ يزيلون هوام الرجال أي رؤوسهم، والصف جانح: أي متحمسٌ ومنفعلٌ ومقبلٌ دونما رجعة أو تردد، وكما أن السيوف كانت تدور على الهامات كذلك الرديني وهو رمح

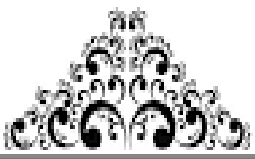
منسوب لامرأة تسمى ردينة، كانت مشهورة بصنع الرماح فقد كثرت
الرماح وهي تسقط لتهلك الاعداء وشبهها عنتره بالشهب، لتوقدها ولمعانها
في ظلمة الليل.

فَخَلُّوا نَا عُوذَ النَّسَاءِ وَجَبُّوا * عَبَادِيَدَ مِنْهُم مُسْتَقِيمٌ وَجَامِحُ
وَكُلُّ كَعُوبٍ خَدَلَةَ السَّاقِ فِخْمَةً * لَهَا مَنَّبَتٌ فِي آلِ ضَبَّةِ طَامِحُ


وبعد كل هذه المعارك وهذه المشاهد لم يعد لبني ضبة وتميم طاقة
لحرب بني عبس، فجببوا أي: لاذ الرجال بالفرار والهرب وتركوا ورائهم
عوذ النساء: أي النساء الضعيفات، وكانوا عبايد: أي هاربين منهم من
هرب باستقامة واطزان، ومنهم من هرب في جموح أي: في ذعرٍ وقلقٍ
واضطراب، كما تركوا ورائهم كل كعوبٍ خدلة الساق -وصف للنساء
الغنيات- لها منصب وشأن في آل ضبة، وهربوا فيا لهم من رجال ليس
لهم من الرجولة شيء.

تَرَكْنَا ضَرَاراً بَيْنَ عَانٍ مُكَبَّلٍ * وَبَيْنَ قَتِيلٍ غَابَ عَنْهُ النَّوَائِحُ
وَعَمْرًا وَحَيَانًا تَرَكْنَا بِقْفَرَةٍ * تَعُوذُهُمَا فِيهَا الضَّبَاعُ الْكَوَالِحُ
يَجْرُزْنَ هَامًا فَلَقَّتْهَا رِمَاخُنَا * تُزِيلُ مِنْهُنَّ اللَّحَى وَالْمَسَائِحُ

وفي الختام يصف لنا عنتره نصر بني عبس على ضبة وتميم، فيقول أنهم تركوا ضَرَاراً بن عمرو الضبي، سيدهم وقبيلته ما بين عانٍ أي: أسيرٍ وقتيلٍ ليس له من يبكي عليه ويرثي له، وممن تركوا عمراً وحيّاناً من بني ضبة، تركوهم بقفرةٍ أي: مكانٍ مهجورٍ لا حياة فيه، وليس هناك من يعودهم فيه إلا الضباع والوحوش ليتغذوا على أجسادهم ويجروا رؤوساً قد حطمتها رماح بني عبس، ويزيلون منهم لحاهم والمسايح أي: مقدمة شعر رؤوسهم .



قافية الدال



﴿إذا جعد الجميل﴾

تُظهرُ لنا هذه القصيدة جانباً كبيراً من شخصية عنتره فقد قالها بدافع الغيرة، ذلك أنه قد تواعد مع عمه مالك بن معاوية بن قراد على أن يخطب له ابنته عبلة، ولكنه أخلف وعده وخطبها لعمارة بن زياد العبسي .

إِذَا جَعَدَ الْجَمِيلُ بَنُو قِرَادٍ * وَجَازَى بِالْقَبِيحِ بَنُو زِيَادٍ

فَهُمْ سَادَاتُ عَبْسٍ أَيْنَ حَلُّوا * كَمَا زَعَمُوا وَفَرَسَانِ الْبِلَادِ

إن هذا الموقف من مالك بن معاوية عم عنتره وخُلفه للوعد كان دافعا لأن يغضب عنتره، خاصةً أن هذه الحادثة حصلت بعد هجوم فرسان من بني طيء على نساء عبس وما نجدهم إلا عنتره، أهكذا يكون رد الجميل من بني قراد؟ أهكذا يكون جزاء المعروف؟ عتابٌ يعاتبهم به عنتره، وبالرغم من جحود بني قراد العبسي والفعل القبيح الصادر من بني زياد العبسي بتجاوزهم عنتره وعدم وضع أي اعتبارٍ له ولاتفاقه مع

عمه، إلا أنهم ما زالوا قوم عنتره وعشيرته ونسبه فما هم إلا ساداتٌ في أي مكان حلُّوا وفي أي مصرٍ نزلوا، وهم فرسان لا يشق لهم غبار وهذه أصالةٌ من عنتره وكرم أصلٍ وطيبُ نسب.

وَلَا عَيْبٌ عَلَيَّ وَلَا مَلَامٌ * إِذَا أَصْلَحْتُ حَالِي بِالْفَسَادِ

فَإِنَّ النَّارَ تَضْرُمُ فِي جَمَادٍ * إِذَا مَا الصَّخْرُ كَرَّ عَلَى الزَّنَادِ

وَيُرْجَى الْوَصْلُ بَعْدَ الْهَجْرِ * حِينًا كَمَا يُرْجَى الدُّنُو مِنَ الْبِعَادِ

ولكن ليس لأنهم قوم عنتره ولأنهم أهله ونسبه يكون لهم الحق بإذلاله والتقليل من شأنه، وما داموا قد أخلفوا معه الاتفاق وخانوا معه العهد فليس على عنتره حرجٌ ولا ملام، إذا ما أصلح هذا الأمر وعالجه بفعلٍ من شأنه الفساد فقد دفعوه لذلك، وكما أن الحديد وهو جماد لا يؤثر به شئ وبالرغم من ذلك إذا زادت عليه النيران تؤثر فيه فكذلك عنتره، لا تؤثر فيه الكلمات والسفاهات إلا إن زادت عن الحد، فتكون مدعاةً لغضبه وتستوجبُ منه رداً قاسياً قد يكون سبباً في فسادٍ عظيم، وكما يقال " أعظم النيران من مستصغر الشرر " وبعد كل ذلك فلن ييأس عنتره من تحقيق أمنيته والوصول لمرغبتة والزواج من ابنة عمه، وكما

أن البعيد يرجوا القرب من وجهته فإن الوصل والود يُرجى بعد الهجر
والقطيعة، ولعله بذلك يعني عودة المودة بينه وبين بني أعمامه من بني
زياد.

حَلُمْتُ فَمَا عَرَفْتُمْ حَقَّ حِلْمِي * وَلَا نَكَّرْتُ عَشِيرَتَكُمْ وَدَادِي

سَأْجَهْلُ بَعْدَ هَذَا الْحِلْمِ حَتَّى * أَرِيقَ دَمِ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي

وَيَشْكُوا السَّيْفُ مِنْ كَفِّي مَلَالًا * وَيَسْأَمُ عَاتِقِي حَمْلَ النَّجَادِ

من الحقائق المؤسفة أن غالب بني البشر لا يعرفون قيمة الشئ أي شئ
إلا بعد فقدته وهذا حال قوم عنتره، فقد كان كريماً معهم حليماً مُدافعاً
وذائداً عن أعراضهم، فما عرفوا حقه ولا قدره قدره وليتهم إذ أرادوا
أن يخلفوا عهدهم معه ذكروا له ما كان منه من وُدِّ تجاههم، ولكن لم
يفعلوا فاستحقوا أن يَجْهَلَ عليهم عنتره بعد ما كان منه من تَحَلُّمٍ،
ويريق دم أي معترضٍ يعترضُ طريقه من الحواضر والبوادي، سيظل
كذلك حتى يشكوا سيفه من كثرة الضرب والتقتيل، وحتى يمل عاتقه
أي: ذراعه من حمل النجاد أي: السيف، وكل ذلك كناية عن مدى
وشدة غضب عنتره.

وَقَدْ شَاهَدْتُمْ فِي يَوْمِ طِيٍّ * فِعَالِي بِالْمُهَنْدَةِ الْحِدَادِ

رَدَدْتُ الْخَيْلَ خَالِيَةً حَيَارَى * وَسُقْتُ جِيَادَهَا وَالسَّيْفُ حَادِي

يشير عنتره إلى اليوم الذي هجم فيه فرسان طيئ على قبيلة بني عبس وكانوا في غفلة من أمرهم وما نجدهم إلا عنتره، وكيف أنهم تشجعوا به وقاتلوا معه حتى ردوا هذا الهجوم وهرب فرسان طيئ، يذكرهم كيف قاتلهم بالمهندة الحداد أي: السيوف القاطعة وكيف أنه قاتل فرسان طيئ وأهلكهم، حتى رجعت خيولهم فارغة ليس لها من يقودها فقادها عنتره وأتى بها غنائماً يسوقها وحده، والسيف حادي أي: مكان الرجل الذي يغني للابل ويسمى الحادي.

وَلَوْ أَنَّ السَّنَانَ لَهُ لِسَانٌ * حَكَى كَمْ شَكَّ دِرْعاً بِالْفُؤَادِ

وَكَمْ دَاعٍ دَعَا فِي الْحَرْبِ بِاسْمِي * وَنَادَانِي فَخُضْتُ حَشَا الْمُنَادِي

ولكي يثبت عنتره لهم صدق قوله ويبين لهم مدى قوة قتاله وحربه، يقول لهم لو أن السنان له لسانٌ ينطق به لحكى لكم كم من فارسٍ متدريٍّ أتى إليَّ ليقاتلني، فثقت بسناني درعه حتى نفذ إلى قلبه،

وكم من داعٍ أي: مُنادٍ دعاني في الحرب وناداني باسمي ليتحداني، فكنت كالأسد وهو الفريسة وخضت في حشاه أي: قتلته في مقتل.

لَقَدْ عَادَيْتَ يَا ابْنَ الْعَمِّ لَيْثًا * شَجَاعًا لَا يَمَلُّ مِنَ الطَّرَادِ

يَرُدُّ جَوَابَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا * بَبِيضِ الْهِنْدِ وَالسَّمْرِ الصِّعَادِ

والآن يوجه عنتره الخطاب لعمارة بن زياد العبسي ويبين له خطأ ما سعى إليه والهم الذي استجلبه لنفسه، ويقول له يا ابن العم أنت لم تعادي شخصاً عادياً بل عاديت ليثاً أي: أسداً شجاعاً قوياً، ومن صفات هذا الليث أنه لا يمل من الطراد أي: لا يسأم ولا يتعب من مطاردة فرائسه، فبئس الوضع يا عمارة الذي وضعت نفسك فيه، ومن صفات هذا الليث أيضاً أنه لا يسكت عن إساءةٍ في حقه ولكن يرد على من يسيئ إليه بالقول وهو الشعر، وبالفعل بببيض الهند أي: السيوف البيضاء والسمر الصعاد أي: الرماح العالية.

فَكُنْ يَا عَمْرُو مِنْهُ عَلَى حَذَارٍ * وَلَا تَمَلُّ جُفُونَكَ بِالرُّقَادِ

وَلَوْلَا سَيْدٌ فِينَا مُطَاعٌ * عَظِيمُ الْقَدْرِ مُرْتَفِعُ الْعِمَادِ

أَقَمْتُ الْحَقَّ فِي الْهِنْدِيِّ رَعْمًا * وَأَظْهَرْتُ الضَّلَالَ مِنَ الرَّشَادِ

ثم يوجه عنتره خطابه لعمر بن مالك شقيق عبلة ويحذره مما يفعله
وكي لا يناله غضب عنتره وكي لا يملأ جفونه بالرقاد، وذلك كنايةً عن
الموت ذلك أن عمراً كان يريد عمارة لعبلة بأي شكلٍ كي لا تتزوج من
عنتره، حتى لا يُعَيَّرَهُ الناس هو ووالده بزواج عبلة من عنتره ويقولون
تزوجت من عبدٍ أسود، ومن ثم نجد من عنتره حكمة في القول ورجوعاً
إلى الصواب وإكباراً للكبير، فهو يقول أني أسكت الآن إكراماً لسيدٍ فينا
مُطاع، ولعله يقصد الأمير زهير بن جزيمة سيد بني عبس، وإلا فإن عنتره
قادرٌ على أن يقيم الحق بسيفه رغماً عن أي أحد، ويظهر بسيفه رشاد
القول والفعل من ضلاله.

﴿صحا فؤادي﴾

قال عنتره هذه القصيدة في إغارته على قبيلتي كندة وختعم، وهي قصيدة بَثَّ فيها عنتره بعضاً من همومه التي تزعجه وتقلق راحته.

صحا مِنْ بَعْدِ سَكْرَتِهِ فؤَادِي * وَعَاوِدِ مَقْلَتِي طِيبُ الرُّقَادِ

وَأَصْبَحَ مِنْ يِعَانِدُنِي ذَلِيلًا * كَثِيرَ الْهَمِّ لَا يَفْدِيهِ فَادِي

يَرَى فِي نَوْمِهِ فَتَكَاتِ سَيْفِي * فَيَشْكُو مَا يَرَاهُ إِلَى الْوَسَادِ

(صحا من بعد سكرته فؤادي) من سياق الكلام نفهم أن سكرة قلب عنتره هذه المرة، ليست بسبب الأحوال التي تعتري العشاق ولكنه سُكْرٌ من كثرة الهموم التي تُضَيِّقُ على عنتره أنفاسه، وتحرمه طيب الرقاد أي: النوم المريح الهادئ، ولكن في هذه المعركة قد وجد عنتره متنفساً لغضبه وتفريجاً لهمه وطيباً لنفسه بالانتصار على أعداءه من قبيلة كندة وقبيلة ختعم، ولذلك فقد عاود الرقاد الطيب مقلة عنتره والآن يعود عنتره لدأبه من الافتخار فيقول: أن كل من يعانده ويحاربه ليس له مصير إلا المذلة التي تصاحبه ولا تفارقه حتى مماته، وبسبب هذه

العداوة مع عنتره وهذه المزلة التي استجلبها لنفسه صار كثير الهموم والأحزان يتمنى لو يفتدي راحة باله بكل ما يملك، ولكن لا فادي له بل يكون عُرْضَةً للهموم حتى في منامه -إن كان يستطيع النوم- فهو لا يرى إلا فتكات سيف عنتره، أي: ضرباته المهلكة المميتة فيستيقظُ فزِعاً ولا يجد من يشكوا إليه همه، إلا الوساد أي: ما يتخذه المرء تحت رأسه لينام عليه.

*ألا ياعبل قد عاينتِ فعلي * وبان لك الضلال من الرّشاد*

*وإن أبصرتِ مثلي فاهْجُريني * ولا يلحَقك عارٌ من سَوادي*

*وإلا فاذكري طعني وضربي * إذا ما لَجَّ قَوْمُك في بعادي*

يبدو أن عبلة قد زادت عليها الأحمال وكثر على أسماعها القيل والقال في حقها وحق عنتره، وقد زاد الضغط عليها ممن حولها لتتركه وتطوي صفحته وتنظر إلى غيره، فأحب عنتره أن يذكرها بما كان بينهما من ميثاق المحبة، وأن يبدد الشكوك التي تثار من حوله وحولها فيقول لها يا عبلة: أنت سمعت عني كذا وكذا وقد رأيتي حقيقة أفعالي وأقوالي، فلا يؤثر فيك قول قائلٍ لأنه قد اتضح وبان عندك الضلال من القول

والفعل من الرشاد، ومن ثم يوجه لها تحدياً ويقول لها: يا عبلة إن كنتِ
تشعرين بالعار من سواد جلدي فدونك القوم، إن رأيتِ أو سمعتِ عن
رجلٍ مثلي فأنتِ في حلٍّ من عهدكٍ معي، وفي حلٍّ مما كان بيننا من
محبة ولا يكون عليكِ أيُّ عارٍ مني ومن سوادِ جلدي، أما إن كنتِ باقيةً
على العهد وعلى المحبة فتذكري حروبي ومعاركي إذا ما بالغ قومك في
التقليل من شأني، وفي التجنب والابتعاد عني.

طَرَفْتُ دِيَارَ كِنْدَةَ وَهِيَ تَدْوِي * دَوِيَّ الرَّعْدِ مِنْ رِكْضِ الْجِيَادِ

وَبَدَّدْتُ الْفَوَارِسَ فِي رُبَاهَا * بَطَعْنِ مِثْلِ أَفْوَاهِ الْمَزَادِ

ينتقل عنتره ليخبرنا ويقص علينا أحوال هذه الحرب والأحداث التي
دارت فيها فيقول: أنهم اقتحموا ديار قبيلة كندة وهجموا عليهم وهم في
عقر دارهم، فكانت هذه الديار في حال ذعرٍ وقلقٍ وتعالق أصوات خيول
الفرسان من بني عبس، فكانت مثل دوي الرعد في شدتها تثير الرعب في
قلوب أعدائهم، ويُجملُ لنا عنتره دورَه في هذه الحرب فيقول: أنه بددَ
فوارس الأعداء أي: أهلكهم وقضى عليهم وهم في أماكنهم يستعدون
للقتال، وانهاهال عليهم بطعناتٍ مثل أفواه المزداد أي: أفواه الأوعية التي

تُتَّخَذُ لوضع الزاد من طعام وشراب، وذلك كناية عن مدى اتساع هذه الطعنات وكيف أن الإصابة بها قاتلة لا نجاة منها ولا شفاء.

وَحَثَّعُمُ قَدِ صَبَحْنَاهَا صَبَاحاً * بُكُوراً قَبْلَ مَا نَادَى الْمُنَادِي

عَدُوا لِمَا رَأَوْا مِنْ حَدِّ سَيْفِي * نَذِيرَ الْمَوْتِ فِي الْأَرْوَاحِ حَادٍ

وَعُدْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّرَايَا * وَبِالْأَسْرَى تُكَبَّلُ بِالصَّفَادِ

وبعد أن قضوا على فرسان كندة ذهبوا إلى ديار قبيلة خثعم واتخذوا معهم نفس الأسلوب، فقد هاجموهم وهم في عقر دارهم وبعد أن كان من المفترض أن يصطحب الرجل من خثعم على أشعة الشمس، اصطبحوا على أصوات الخيول وقععة الفرسان من بني عبس، ويقول عنتره صبحناهم بالحرب حتى من قبل أن ينادي منادهم ليستعدوا لقتال بني عبس، ويبدو أن هذه المعركة لم تدم طويلاً فقد أخذوا على حين غفلة من أمرهم، فكان الفزع عاملاً كبيراً في هزيمتهم، وكيف لا يفزعون! وقد رأوا حد سيف عنتره وهو يهوي يميناً وشمالاً، فيهلك من يصيبه كأن على حد سيف عنتره نذيرٌ للموت، يحدوا الأرواح أي: يسوقها إلى مستقرها، ويقول عنتره مخاطباً عبلة أن بعد كل هذه

المعارك قد عدنا ظافرين منتصرين، ومحملين بالغنائم والأسلاب، ومعنا
الأسرى من كندة وختعم مكبلين في الأصفاد.

﴿أعادي صرف وهر﴾

من القصائد الرئعة التي قالها عنتره بغرض الفخر والتي تشعل النفس حماساً وتلقي فيها ألوان الكرامة والترفع عن الدنيا.

أعادي صرف دهر لا يعادي * وأحتمل القطيعة والبعادا

وأظهر نصح قوم ضيعوني * وإن خانت قلوبهم الودادا

ليست الحياة سهلة ولينة كما يتصور الكثير وليست الأيام آمنة مطمئنة دائماً، فتغير الأحوال سنة من سنن الكون ولا بد من تذوق قسوة الحياة والمعاناة من مصائب الأيام، فلا بد من الصبر والهمة في مواجهة هذه الصعوبات كما فعل عنتره، فهي هو يتحدث مفتخراً بنفسه ومعتدا بذاته فيقول: أنه لا يعبا ولا يهتم بصروف الدهر أي: مصائبه، لأنه رجل نفسه مشبعة بالبطولة وهذه النفس تحته دائماً على مواجهة الصعاب والتغلب عليها، ومن مظاهر احتماله أنه يصبر على القطيعة والبعاد وهما أمران شاقان على كثير من الناس، ومن ثم يعلمنا عنتره خلقاً كريماً من

أخلاق العرب والتي أقرها الإسلام ألا وهو حب الأهل والوطن، حتى وإن
لاقيت منهم الأذى فما هو يقول: أنني بالرغم من أذى قومي لي وعدم
حفظ المودة تجاهي، فإني لا أتردد أبداً في فعل الخير لهم والنصح لهم
في المصائب والملمات، فله دره عنتره.

*أعللُ بالمنى قلباً عليلاً * وبالصبر الجميلِ وإن تمادى*

*تُعيرني العدى بسوادِ جلدي * وبيضِ خصائلي تمحو السوادا*

ومن تكون حاله كحال عنتره الذي ألزم نفسه بكل هذه المكارم وهذه
الأخلاق، لا بد أن يتعب قلبه من حينٍ لآخر لأننا بشر ولنا قدرٌ معين
نتحمله، فما كان من عنتره حين يحزن قلبه إلا أن يرضيه بتذكر المنى
أي: ما يرغب فيه عنتره ويتمناه، ويسعى لتحقيقه وأن يقنعه بالصبر
الجميل أي: الصبر الذي يكون بلا شكوى، حتى وإن تمادى هذا الصبر
أي: طال وكثر، ومن ثمَّ يعيب عنتره على أعداءه ومن يفعل فعلهم أنهم
يعيرونه دائماً بسواد جلده، وأنه مهما فعل وقال فسواد جلده عيبٌ
كافٍ لتجاهله وتقليل شأنه، فيقول لهم إنه وإن كان لون جلده أسوداً
فإن بيضَ أفعاله وكرم أخلاقه كافيان لأن يمحووا هذا السواد، وفي هذا

البيت لون جميل من ألوان البلاغة يسمى الطباق، وقد جاء في قوله
(سواد جلدي ، بيض خصائلي).

سلي يا عبل قومك عن فعالي * ومن حضر الوقعة والطرادا

وردت الحرب والأبطال حولي * تهز أكفها السمر الصعادا

من عادة شعراء الجاهلية أن يجردوا من أنفسهم شخص أو اثنين يكون معه الحوار أثناء القصيدة، أما عنتره فلا يكون هذا الشخص عنده أحد غير عبله، ويتحدث معها ليرد على ناقصي العقل قاصري النظر الذين يقللون من شأنه رغم أفعاله وأخلاقه فقط لأن لون جلده أسود، فيقول لها اسألي يا عبله هؤلاء القوم عني في أوقات الحروب والأزمات كيف كنت وكيف كانوا، أخبرهم كيف אני وردت الحرب أي: دخلت فيها بين الفرسان والأبطال وصليل السيوف وصهيل الخيل، أخبرهم كيف دخلت في وسط ذلك والأبطال والفرسان تهز أيادهم السمر الصعادا أي: السوف والرماح، وقد جعل عنتره في هذا التصوير للسيوف والرمح روحاً وإرادة خاصة وجعله هو من يهز كف صاحبه كأنه هو من يرغب في الحرب والقتال، وكل ذلك كناية عن شدة الحرب وما يحدث فيها،

وَحُضَّتْ بِمُهْجَتِي بَحْرَ الْمَنَايَا * وَنَارَ الْحَرْبِ تَتَقَدُّ اتْقَادَا

وَعُدَّتْ مَخْضِبًا بِدَمِ الْأَعَادِي * وَكَرْبُ الرِّكْضِ قَدْ خَضَبَ الْجُودَا

وَكَمْ خَلَفْتُ مَنْ بَكَرَ رِدَاحٍ * بِصَوْتِ نَوَاحِيهَا تُشْجِي الْفُؤَادَا

أخبري يا عبلة هؤلاء القوم وقولي لهم كيف أني اقتحمت ميدان الحرب وهي بحر المنايا: من شدة ما يحصل فيها، من قتلٍ وسفكٍ للدماء أصولٌ وأجولٌ بين الفرسان ونار الحرب تشتعل وتزداد، وأنا في كل ذلك ثابتٌ وراسخٌ كالجبل لا أهتز أقاتل هذا وأجندل ذاك، وبعد كل ذلك عدتُ من هذه الحرب منتصراً ومخضباً بدم الأعداي: والتخضيب عادة يكون بالحناء في الأفراح والأعراس، إلا أن عنتره هنا تخضب بالدم أما أعداؤه فتخضبوا بالخوف والكرب الذي تملكهم من هول هذه المعركة، وتخضبت خيولهم بهمّ الركض أي الهرب والفرار، ألا يتذكر هؤلاء القوم أفعالي وأمجادي في الحرب؟ ألا يذكرون حربنا مع بني بكر كم قاتلت فيها وأهلكت الفرسان والأبطال، حتى تركت ورائهم الرداح أي: النساء الذين ينوحون على موتاهم من شدة حزنها على فقيدها؟ يشجي صوت نواحيها الفؤادا.

وسَيْفِي مُرْهَفُ الْحَدِيدِ مَاضٍ * تَقْدُّ شِفَارُهُ الصَّخْرَ الْجَمَادَا

وَرُمَحِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِيناً * فَعَادَ بَعِينِيهِ نَظَرَ الرَّشَادَا

وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِنَانُ رَمَحِي * لَمَا رَفَعَتْ بُنُو عَبَسٍ عِمَادَا

ومن ثم يمدح عنتره سيفه ورمحه اللذان يحارب بهما حيث إنهما قطعة من نفسه وروحه، ومدحهم من مدحه وذمهم من ذمه، أما سيفه فيصفه بأنه مرهف الحديد أي: رقيق الحديد كناية عن مدى حدته التي هي ماضية ونافذة في أي شئ، ذلك السيف الذي من صفاته أن شفاره أي: أطرافه تقد الصخر الجماد أي: تقطعها بدون أي صعوبة، فإلا من سيف سيف عنتره وأما رمحه فهو الذي يكون على أطرافه ملك الموت حاضر ليقبض روح كل من يطعن به، فيقول عنتره أن هذا الرمح ما طعن به أحداً قط وسلم منه بل يذهب نور عينيه، فلا يميز بين الضلال والرشاد وبيته في ظلمة الموت، وأخيراً يقول عنتره موجهاً خطاباً لسفهاء بني عبس، أنه لولا صارم عنتره أي: سيفه البتار ولولا سنان رمحه هذين العزيزين اللذين يقاتل بهما منافحاً عن هؤلاء القوم، ما كانت لتقوم لهم قائمة وما كان لهم من مجدٍ وعزٍ يتفاخرون به، وقد

صدق عنتره فلولا وجوده في هذه الفترة الزمنية من تاريخ بني عب،
لهلكوا نتيجة التعرض للغزو، ولو بقوا لم يكن لهم ذكرٌ وتاريخٌ مثل
ذكرهم وتاريخهم الذي هو بيننا اليوم.

الأي حبيب

لأَيِّ حَبِيبٍ يَحْسُنُ الرَّأْيَ وَالْوُدَّ * وَأَكْثَرُ هَذَا النَّاسِ لَيْسَ لَهُمْ عَهْدُ
أَرِيدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا يَضُرُّهَا * فَهَلْ دَافِعٌ عَنِّي نَوَائِبَهَا الْجَهْدُ
وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا أَنَا بِمُطِيعَةٍ * وَلَيْسَ لَخَلْقٍ مِنْ مُدَارَاتِهَا بُدُّ
تَكُونُ الْمَوَالِي وَالْعَبِيدُ لِعَاجِزٍ * وَيَخْدُمُ فِيهَا نَفْسَهُ الْبَطْلُ الْفَرْدُ

حوار مع الذات وتأمل في الواقع وفي السنين والأيام، يخاطب عنتره نفسه ويناقشها وهو عاتبٌ على الأيام، فيقول من هو الحبيب والرفيق الذي يحسنُ بالمرء أن يُكنَّ له المودة وينصح له بالرأي والخير، وكيف لي أن أجد مثل هذا الحبيب بين هؤلاء الناس الذين ليس لأكثرهم عهدٌ ولا أمان، ولا خلق يردعهم عن كل مذمة ويحثهم على كل فضيلة، وما بالها هذه الأيام التي لا أجد من يدفع عني مصائبها وويلاتها وكل ما أريده منها هو مجدٌ وكرمٌ لا يُضيرُها في شيء، ثم لا عجب في ذلك فما هذه الدنيا إلا متمردهٌ عتيةٌ تُذل من يحيا فيها وتغر من كان فيها ضعيفٌ عقلٍ قاصر نظر وتهلكه، فهل يعقل بعد ذلك أن تكون مطيعةً لما أرجوا وأبتغي كيف

ذلك وهذه الدنيا ليس لمخلوقٍ يعيش فيها أن يصل لكل ما يتمنى، وليس هنالك من سبيلٍ غير مداراتها أي: تجنبها، ويصف لنا عنتره بعضاً من أحوال من يعيش فيها فمن ضمن هذه الأحوال أن خير الدنيا ونعيمها يكون لعاجز، وليس المقصود بالعجز هو عجز الجسد ولكن عجز الهمة وقلة المروءة وضياع الكرامة، أما خيار الناس وأكارمهم شرفاً وخُلُقاً ليس لهم من يخدمهم إلا أنفسهم.

وَكُلُّ قَرِيبٍ لِي بَعِيدٌ مَوَدَّةٍ * وَكُلُّ صَدِيقٍ بَيْنَ أَضْغَعِهِ حِقْدٌ

فَاللَّهُ قَلْبٌ لَا يَبُلُّ غَلِيَّةً * وَصَالٌ وَلَا يُلْهِيهُ مِنْ حَلِّهِ عَقْدٌ

ويصف عنتره بعض أحوال الأيام معه فمن هذه الأحوال أن كل من هو بقرب عنتره بعيدٌ عنه في المودة والصدق، وكل من حوله ممن يدعي أنه صديقه لا يُكِنُّ له في صدره إلا الحقد والكراهة، ومن ثمَّ يمدح عنتره نوعاً من القلوب هذا النوع يتسم صاحبه بأنه قوي، لا يحركه الوصال والمودة ويفرح بها كثيراً كما أنه لا يكون هائماً حزيناً إذا انتهى هذا الوصال ولو لمدة طويلة من الزمان، فهو قلبٌ معتدل.

يَكْفَنِي أَنْ أَطْلُبَ الْعِزَّ بِالْقَنَا * وَأَيْنَ الْعَلَا إِنْ لَمْ يُسَاعِدْنِي الْجَدُّ

أُحِبُّ كَمَا يَهْوَاهُ رُمحِي وَصَارمِي * وَسَابِغَةٌ زُغْفٌ وَسَابِغَةٌ نَهْدٌ

فِيَالِكَ مَنْ قَلْبٍ تَوَقَّدَ فِي الْحَشَا * وَيَالِكَ مَنْ دَمَعٍ غَزِيرٍ لَهُ مَدُّ

وقلب عنتره ليس مثل باقي القلوب فهو قلبٌ يمتلئ قوةً وحماساً، ويصفه عنتره بأنه يكلفه أي: يدفعه على سبيل الإلزام بأن يطلب العز وأن يسلك مسالكه بقوة السيف وبلا تراجع، ولكن يرد عليه عنتره ويقول: كيف لي بلوغ هذا العز إذا لم يساعدني الجد أي: الحظ، وإذا ما كان الحظ في جانبي فليس أَحَبَّ إِلَيَّ من الجهاد برمحي وسيفي، وسابغة زغف أي: درع فيها سلاسل ذات منظرٍ حسنٍ جميل، وسابغة نهدي أي: درع لها نتوءٌ تزيدها جمالاً وقوةً، ومن ثمَّ يقارن عنتره بين حال قلبه وما يكلفه به وما يتمناه وبين العوائق والحواجز التي تحول بينه وبين كل ذلك، فيمدح قلبه ويقول يا لك من قلبٍ من قوتك تضيئ داخلي مثل النيران وتشعني حماساً، ويا له من دمعٍ غزيرٍ لا ينقطع، وهذا الدمع الذي يتعجب منه عنتره ما هو إلا نتاج بعض اليأس والأسى على النفس الذي يصيب الإنسان عند تراكم الهموم، وهنا يظهر معدن كل إنسان فالقويُّ هو من لا يبقى في هذه الحال ويستجمع قوته ويلم شتات نفسه.

وإن تَظْهَرُ الأيَّامُ كُلَّ عَظِيمَةٍ * فلي بين أضلاعي لها أسدٌ وردٌ

إذا كان لا يمضي الحسام بنفسه * فللضارب الماضي بقائمه حدٌ

وحولي من دون الأنام عصابة * تؤدُّها يخفي وأضعائها تبدو

وهنا يظهر معدن عنتره الذي يميزه عن باقي فرسان العرب، فبالرغم من تكاتل الهموم على نفسه وشكايته منها، إلا أنه استجمع نفسه وأشعل همته فيها هو يقول: إذا كانت هذه الأيام تنوي أن تظهر لي كل همٍ عظيم وبلاءٍ شديد، فقد أعددت لها بين أضلاعي أسدٌ وردٌ -والورد اسم من أسماء الأسد عند العرب- ويعني بهذا الأسد قوة قلبه، ومن ثم يستمر عنتره في سرد الحكمة التي ترفع من الهمم ويقول: إذا كان الحسام أي: السيف لا يستطيع أن يقطع ويضرب بنفسه، فإن الذي يمسك هذا الحسام يستطيع بقوته وقائمه أي: ذراعه أن ينهي هذا الأمر، ولعلَّ عنتره يقصد بهذا البيت أن القوة والشجاعة لا تكفي للفارس، فما هذه الصفات إلا مثل السيف القوي ولكن ما قوة السيف بدون سياف؟ فالسياف هنا هو الحكمة ووضع الأمور في نصابها، فمن كان قوياً دون عقلٍ أو تخطيطٍ كان من السهل أن يُغلب وينتهي أمره، ومما يؤيد هذا

الرأي قولُ عنترَة في البيت التالي: أنه يصف من حوله من الناس، فهم إما بعضٌ من قومه يحقدون عليه أو أعداءٌ قد تسبب عنترَة بالأذى لهم، فهم أيضاً يحقدون عليه ويكيدون له، فليس أمام عنترَة إلا أن يستعمل حكمته بجانب قوته لكي يتغلب على كل هؤلاء الذين وصفهم بأن الود عندهم يخفى، ولا يظهر منهم إلا الحقد والكرهية.

يَسُرُّ الْفَتَى دَهْرٌ وَقَدْ كَانَ سَاعَهُ * وَتَخْذُمُهُ الْأَيَّامُ وَهَوَلُهَا عَبْدُ

وَلَا مَالٌ إِلَّا مَا أَفَادَكَ نَيْلُهُ * ثَنَاءٌ وَلَا مَالٌ لِمَنْ لَا لَهُ مَجْدُ

وَلَا عَاشٍ إِلَّا مَنْ يَصَاحِبُ فَتِيَةً * غَطَارِيفَ لَا يَغْنِيهِمُ النَّحْسُ وَالسَّعْدُ

إِنَّا طَلَبْنَا إِلَى الْغَزْوِ شَمْرُوا * وَإِنْ نُدِبُوا يَوْمًا إِلَى غَارَةِ جَدَّوَا

ويواصل عنترَة حديثه عن حال الزمان وتقلب الأحوال والأيام، فمن هذه التقلبات أنه قد يسوئك من الزمان أحوالٌ تجعلك تكرهه، ولكنه نفس الزمان الذي تُسرُّ منه وتحبه لأحوالٍ أخرى قد أصابتك منه، فتعتقد أن الأيام في أفضل أحوالها تخدمك وما أنت إلا عبدٌ لهذه الأيام تقلبك كيف تشاء، ثم يوضح لنا عنترَة حقيقةً هامة وهي أنه لا جدوى من جمع المال والتكالب عليه وأن يتفاخر الإنسان بما لديه من ثروة، طالما لم

يفده ماله ذكراً طيباً بين الناس ولم يورثه مجدداً، والمال لا يورث المجد ولا يجعل للمرء ذكراً طيباً بين الناس إلا إذا استخدمه صاحبه في وجوه الخير للمجتمع والناس وغير ذلك فلا، ثم يتكلم عنتره عن حقيقة أخرى وهي الصحبة الطيبة، فيقول أنه ما عاش أحد إلا من عاش وصاحب أناساً غطاريناً أي: ذوي مظهرٍ حسنٍ وأخلاقٍ حسنة، من صفات هؤلاء الكرام أنهم لا تلعب بهم الأيام فلا يعينهم النحس والسعادة، بل يواجهون النحس ويطردونه ويستجلبون السعادة لهم ولغيرهم، وما ذلك إلا لعلو همتهم وطيب عنصرهم، ومن صفاتهم أيضاً أنهم ذوي شهامةٍ ومروءةٍ إذا ما احتاج الناس إليهم من أجل غزوةٍ شمروا أذرعهم واستعدوا، وإذا طُلبوا لغارةٍ لبُّوا هذا الطلب وهذا النداء وجدُّوا واجتهدوا فله درها من صحبةٍ ولله درهم من كرام.

ألا ليت شعري هل تبلغني المنى * وتلقى بي الأعداء سابحةً تعدو

جواداً إذا شقَّ المحافل صدره * يزوح إلى ظعن القبائل أو يغدو

خفيت على إثر الطريدة في الفلا * إذا هاجت الرمضاء واختلف الطرد

(ألا ليت شعري) هو قسمٌ اعتاد الجاهليون استخدامه في قصائدهم
وتبعهم في ذلك كل من جاء بعدهم، ويخاطب عنتره نفسه مؤملاً ويقول:
هل سأنال من هذه الأيام ما أريد وأبتغي، وهل ستوصلني المني أي:
الأمني لغايتي وتقاتل معي الأعداء سابحةً تعدو، وهذا وصفٌ للخيل
الراكضة في ميدان الحرب، فمن سرعتها صارت كأنها تسبح في مياه،
وهذا تعبيرٌ غايةٌ في الدقة من عنتره وتشبيهه بالغ الأثر، حيث أنه جعل
أمانيه شخصاً متمثلاً يقاتل معه أعدائه بخفةٍ وسرعةٍ كالخيل في ميدان
الحرب، وكل ذلك كناية عن قوة رغبته وتمسكه بها، وينتقل عنتره إلى
وصف نفسه بأنه في إقدامه وعدم تراجعته مثل الجواد الذي يشق
المحافل أي: أماكن التجمع، يشقها بصدرة غيرمبالٍ يروح إلى ظعن
القبائل أي: أنعامها ومواشيها والمقصود هنا هو الغزو، ولا يرجع هذا
الجواد إلا منتصباً غانماً ويمدح نفسه تارةً أخرى بمهارته في الصيد،
فيقول أنه دقيقٌ في تتبع أثر الطريدة التي ينوى صيدها، وقد أستطاع أن
يخفي نفسه فلا يشعر به أحدٌ بالرغم من أن الرمضاء هائجة، أي:

الرياح المحملة بالتراب والطرائدُ كثيرة ويختلط بعضها ببعض، ولكن
عنتره لم يخطئ فريسته ولم تغب عن ناظره.

وَيَصْحُبُنِي مِنْ آلِ عَبَسٍ عِصَابَةٌ * لَهَا شَرْفٌ بَيْنَ الْقَبَائِلِ يَمْتَدُّ

بِهَالِيلٍ مِثْلَ الْأَسَدِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ * كَأَنَّ دَمَ الْأَعْدَاءِ فِي فَمِهِمْ شَهْدُ

وفي الختام يمدح عنتره القلة التي تناصره من بني عبس ويتفاخر بهم
ويقول: أنه يصحبه من بني عبس في غزواته ورحلات صيده رجال
بهاليل، والبهلول: هو السيد الكريم ذو الخلق من الناس، وهم أصحاب
عنتره الذين من بسالتهم وشجاعتهم في المعارك كالأسود الضواري،
يسفكون دم الأعداء دون ترددٍ كأن هذا الدم عبارة عن عسلٍ يتسارعون
لنيهله.

﴿إِذَا فَاضَ دَمَعِي﴾

من القصائد الحماسية التي عودنا عليها عنتره وهي مزيجٌ بين العتاب والفخر والإكتفاء بالذات والإعتداد بالنفس والاعتماد عليها.

إِذَا فَاضَ دَمَعِي وَاسْتَهَلَّ عَلَيَّ خَدِّي * وَجَانِبَنِي شَوْقِي إِلَى الْعِلْمِ السَّعْدِي
أُنْكَرُ قَوْمِي ظَلَمَهُمْ لِي وَبَغَيْهِمْ * وَقَلَّةَ إِنْصَافِي عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ
بَنَيْتُ لَهُمْ بِالسَّيْفِ مَجْدًا مُشِيدًا * فَلَمَّا تَنَاهَى مَجْدَهُمْ هَدَّمُوا مَجْدِي
يَعْيَبُونَ لُونِي بِالسَّوَادِ وَإِنَّمَا * فِعَالُهُمْ بِالْخُبْثِ أَسْوَدُ مِنْ جُدِي

في مطلع القصيدة يرثي عنتره نفسه ويشكوا حاله مع قومه، وقد بلغ به الحزن والأسى مبلغاً جعل دمه غزيراً ينزل على خديه بالرغم من قوة عنتره وصلابته، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى الألم الدفين في نفس عنتره، وفي لحظات الأسى هذه يتخلل لنفس عنتره شعور بالحنين للعلم السعدي، والعلم هو اسم للجبل والمراد هنا جبل لبني سعد، ولعل عنتره كان يلتقي بعبلة هناك فحنت نفسه لهذا المكان، وبعد أن استجاب عنتره لمشاعره وأطلق لها العنان ليهون عن نفسه بعض ما هي فيه، يعود

لصلابته ولرباطة جأشه ويعاتب قومه لَعَلَّهُ أن يحرك فيهم ساكناً وأن
يَلْمِسَ كَلَامُهُ ضَمَائِرَهُمْ، ويذكر قومه بما كان منه من جهادٍ و قتالٍ
واستماتةٍ في الدفاع عن شرفهم وحماية أعراضهم، والسعي لمجده
ومجدهم وما كان منهم إلا أن ظلموه وبخسوه حقه وقدره، واحتقروه
وقللوا من شأنه وقيمته فيقول عنتره: كان منهم كل ذلك، وقد تناسوا
أنني بنيت لهم بسيفي ورمحي مجداً وعزاً بين العرب يتفاخرون به، فما
كان منهم إلا أن نسبوه لأنفسهم وهدموا مجدي، وهنا لون لطيف من
ألوان علم البديع يسمى الطباق في قوله (بنيت لهم ، وهدموا)، ولم
يكتفِ هؤلاء القوم بذلك بل قاموا بازدراء عنتره وتعويره بلون جلده أنه
أسود، والحق أن قبح أفعالهم وسوء أخلاقهم وفساد عنصرهم أشد
سواداً من لون عنتره، فبأي وجهٍ يتفاخر هؤلاء القوم وبأي وجه
يتكلمون.

فوائد جيرانني إذا غبت عنهم * وطال المدى ماذا يلاقون من بعدي

أتحسب قيس أنني بعد طردهم * أخاف الأعداء أو أذل من الطرد

وكيف يحل الأذل قلبي وصارمي * إذا اهتز قلب الضد يخفق كالرعد

ويضع عنتره أمام أعين هؤلاء القوم، أمراً لا شك فيه ولا جدال، وهو أنه لولا وجود عنتره بينهم، ودفاعه عنهم، وخشية العرب منه ومن بطشه، لما قامت لبني عبس قائمة، ولا كانوا يمثل هذا العز، وهذا المجد، الذي نالوه بوجود عنتره بين أظهرهم، فيا ذلهم لو تخلى عنهم، وهجرهم، وولى بلا رجعة، ثم يرد عنتره على ظن قبيلته، منادياً لهم بقيس، وهو قيس بن نزار بن معد بن عدنان، وهو الذي ينحدر من نسله بني عبس، فيقول لهم أتظنون يا بني قيس، أنكم بعد طردتي قد أخاف من الأعادي، أو تفتروهمتي وأشعر بالإهانة والذل؟ إنكم واهمون، كيف للذل والهوان أن يعرف الطريق إلى قلبي؟ وأنا الذي من قوتي، لو هزرت صارمي أي: سيفي، يهتز قلب من يقف ضدي خوفاً، ويضطرب مثل الرعد.

متى سئل في كفي بيوم كريمة * فلا فرق ما بين المشايخ والمرد

وما الفخر إلا أن تكون عماتي * مغيرة الأطراف بالصارم الهندي

ويواصل عنتره وصف قوته وأدائه في الحرب فيقول: إن سيفي ذاك الذي قمت بسله من غمده بيدي، وقاتلت به في يوم كريمة أي: يوم حرب فأننا أقاتل وأجندل كل عدو أمامي، لا فرق عندي بين شيخ عجوز

وبين شابٍ أمرد، والأمرد هو: الشاب الذي نبت شاربه ولم تنبت لحيته
بعد، ثم يقول عنتره: وما فخر الفارس في الحرب والقتال إلا أن تكون
عمامته مكورة أي: مستديرة الأطراف، وذلك كناية عن الثبات والعزة
أثناء القتال، ولا تكون العمامة هكذا إلا بالصارم الهندي أي: السيف
المصنوعة في الهند لأنها كانت أجود السيوف آنذاك، وكل ذلك كناية عن
القوة والبسالة في الحروب والمعارك.

نَدِيمِيَّ إِمَّا غِبْتُمَا بَعْدَ سَكْرَةٍ * فَلَا تَذْكُرَا أَطْلَالَ سَلْمَى وَلَا هِنْدِ

وَلَا تَذْكُرَا لِي غَيْرَ خَيْلٍ مُعَبَّرَةٍ * وَنَقَعَ غُبَارٍ حَالِكِ اللَّوْنِ مُسَوِّدٍ

فَإِنَّ غُبَارَ الصَّافِنَاتِ إِذَا عَلَا * نَشَقَّتْ لَهُ رِيحاً أَلْدَّ مِنَ النَّدَى

وفي مشهد خيالي يصفه لنا عنتره يجرد من نفسه صديقين يسكران
معه، فيوصيهما بحرصٍ إن غابا عن الوعي واستغرقا في السكر فلا يفعلا
مثل باقي الشعراء، فيحنوا للمحبوب ويذكروا الأطلال أي: منازل الأحباب
مثل سلمى وهند، -وهما اسمان كُثُرًا في شعر البكاء على الأطلال عند
العرب- لا تذكروا ذلك، ولكن اذكروا في مجلسي أيام الحروب والمعارك
وغبار الخيل الراكضة هنا وهناك والغبار المتصاعد نتيجة الحركة

المستمرة في الحرب، ذلك الغبار الذي هو لونه أسود حالك السواد وكل ذلك كنايةً عن شدة الحرب وما يتعلق بها، فعنتره فارسٌ لا تروق له مجالس البكاء على الاطلال ولكن يروقه ذكر الحروب والطعان، ويصف لنا عنتره السرور الذي يملكه ساعة المعركة، فيقول: أن الغبار المتصاعد في أرض المعركة الذي تثيره الصافنات أي: جياد الخيل لهو أحب إلى نفسي وأدعى لسروري، وإن رائحة هذا الغبار المتصاعد ألد عندي وأطيب من الندِّ والندُّ هو: مزيجٌ بين المسك والكافور.

وَرِيحَاتِي رُمَحِي وَكَاسَاتُ مَجْلِسِي * جَمَاجِمُ سَادَاتِ حِرَاصٍ عَلَى الْمَجْدِ

وَلِي مِنْ حُسَامِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى الثَّرَى * نَقُوشٌ دَمٍ تُغْنِي النَّدَامَى عَنِ الْوَرْدِ

وَلَيْسَ يَعْيبُ السَّيْفَ إِخْلَاقُ عَمْدِهِ * إِذَا كَانَ فِي يَوْمِ الْوَعَى قَاطِعَ الْحَدِّ

ويُظهِرُ لَنَا عَنْتَرَةَ الْمَزِيدِ مِنْ أَلْوَانِ الْفَخْرِ عِنْدَهُ فَهِيَ هِيَ يَقُولُ أَنَّ رِيحَاتِهِ أَي: زهرته ذات العطر المميز، ما هي إلا رمحه الذي يقاتل به أعدائه وكاسات عنتره التي يشرب بها ليست كباقي الكاسات من الزجاج أو المعدن، بل هي عبارة عن جماجم بشرية وهذا هو المعنى الظاهر، ولكن في تصوري أن المقصود من هذا أن مجالس شرب عنتره ليست الحانات،

وإنما هي عقول الفرسان والأماجد الذين سبقوه يتتبع سيرهم ويفيد من تجاربهم وأقوالهم وإلا ما كان عنتره ليمدح أناساً حاربوه، ويؤكد عنتره صدق ما يزعم من أن مجالس السكر واللهو والبكاء على الأطلال، لا تروقه ولا تستهويه إلا إن كان الحديث عن الحروب والمعارك، فهذا هو يقول أنه له معاركٌ وقاتلاتٌ كل يومٍ بحسامه أي: بسيفه، هذه المعارك دائماً ما تترك أثراً على الأرض خلفها وهي نقوش الدم المترامية، فهذه الحكايات البطولية التي يحكيها عنتره فيها متعةٌ تُغني الندامى أي: شركاء مجالس الشرب عن الورد، والمقصود به هنا ما يشربونه في هذه المجالس، وينتقل عنتره إلى الحديث عن من يظنون أن الفروسية والقوة بمظهر السيف ولمعانه وبهاء الدروع والخيول، ويضرب لهم المثل ليثبت لهم سوء ظنهم وفساد رأيهم بأن الفارس والمقاتل لا تكون قوته بهذه المظاهر، فكما أن السيف لا يُعاب بإخلاق غمده أي: يكون غمده قديماً بالياً إذا ما كان قاطع الحد نافذاً، فكذلك الفارس لا يعيبه اهتراء ملبسه إذا ما كان في القتال فارساً بطلاً لا يُشَقُّ له غبار.

فَلِّهِ دَرِّي كَمْ غُبَارٍ قَطَعْتُهُ * عَلَى ضَامِرِ الْجَنَبِينَ مُعَدِّلِ الْقَدِّ

وِطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدتْ * هِزَاماً كَأَسْرَابِ الْقَطَاءِ إِلَى الْوَرْدِ

فَزَارَةٌ قَدْ هَيَجْتُمْ لَيْثَ غَابَةٍ * وَلَمْ تُفَرِّقُوا بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ

فَقُولُوا لِحِصْنٍ إِنْ تَعَانَى عِدَاؤَتِي * يَبِيئُ عَلَى نَارٍ مِنَ الْحَزَنِ وَالْوَجْدِ

يمدح عنتره فروسيته وأدائه في المعارك فيقول لله دري كم من غبار معركة أثارته الخيول والفرسان، خضت فيه على ضامر الجنبين أي: فرس ليس في أجنابه دهنٌ أو ترهل يعيق حركته، معتدل القد أي: متناسق الشكل سليم القوام، فيا له من فرسٍ يمتطيه عنتره يخوض به غمار الحروب، ويخرج منها ظافراً منتصراً، تلك الحروب التي يخوضها على ظهر فرسه يُطاعنُ بها الفرسان ويهزمهم حتى يفروا خائفين مذعورين، كأسراب القطا: وهو نوع من الطيور يهرعون إلى الورد: أي مورد الماء، ويوجه عنتره الحديث إلى بني فزارة بن ذبيان وقد كان بينهم وبين بني عبس حربٌ طويلة كانت معروفة ب(داحس والغبراء)، ليعلمهم بمدى فداحة الخطأ الذي ارتكبوه بمعاداتهم لبني عبس وفيهم عنتره، ومدى الهلاك الذي استجلبوه لأنفسهم، فقد قاموا بمعاداة ليث غابٍ لا يرحم فريسته غير مبالين بعاقبة هذا الفعل، وغير مفرقين بن الضلالة

والرشد، فقولوا يا بني فزارة لولد سيدكم حصن بن حذيفة، أنه إن
تَعانى عداوتي أي: تكلف معاداتي فليس له مصيرٌ إلا أن يبیت علی نارٍ
تشعل صدره حزناً وألماً علی ما سأجعله يعاني منه، ووجداً أي: شوقاً
لأيامٍ كان فيها سيداً رفیع الشأن عالی المقام.

﴿فخر الرجال﴾

مناسبة هذه القصيدة أنه كان هناك حرب بين العرب والعجم، وكان عنتره من جملة المقاتلين في جيش العرب، ولكنه وللأسف أُخِذَ أسيراً كما أن عبلة أُخِذَت كذلك فصعب عليه الأمر وضاق به نفسه فقال هذه الأبيات:

فُخِرُ الرَّجَالِ سِلَاسِلٌ وَقِيُودٌ * وَكُذِّبَتِ النِّسَاءُ بِخَانِقٍ وَعُقُودٌ

وَإِذَا غَبَارُ الْخَيْلِ مَدَّ رِوَاقَهُ * سَكَّرِي بِهِ لَا مَا جَنَى الْعُنُقُودُ

إن الوقوع في الأسر نتيجةً للدفاع عن الأهل والوطن ليس عاراً ومذلةً يُعَابُ الرجال بها، فكما أن افتخار النساء يكون بلبس البَخَانِقِ وهي: خمارٌ صغيرٌ يغطي العنق والصدر ولبس العقود من الجواهر واللؤلؤ، فإن ارتداء المدافعين عن الأهل والوطن الذين وقعوا في الأسر للسلاسل والأصفاد افتخارٌ وعزٌّ لهم، وإن رواق الغبار: أي مقدمته الذي تثيره الخيل في ميدان القتال لهو أحب لنفس عنتره من جنى العنقود: أي

الخمير، وسُكِرُ عنتره وانتشأؤه بهذا الغبار لا هذه الخمر، ولا يخفى على القارئ ما في هذه الأبيات من حسنٍ لمطلع القصيدة وبراعة الاستهلال.

يادهرُ لا تبقي عليّ فقد دنا * ما كنتُ أطلبُ قبلُ ذا وأريد

فالقُتلُ لي من بعدِ عبلةٍ راحةٌ * والعيشُ بعدَ فراقها منكودٌ

الآن ينتقل عنتره للغرض الأصلي من القصيدة وهو شكوى الدهر، فهو يشتكي الدهر على ما أَلَمَّ به من مصائبٍ وأحزانٍ ويقول له لا داعي من الإبقاء على حياتي، فلم تعد ذات قيمةٍ وقد دنا أي: ابتعد –ولفظه دنا من ألفاظ الأضداد التي تدل على معنيين متضادين يفرق بينها سياق الكلام- كل ما كنت أرجوه من حياتي وأريده، وفوق كل ذلك كان ابتعادي عن عبلة وأظنه فراق لا لقاء بعده، فالموت قتيلاً خيرٌ لي وأحب إلى نفسي من العيش حزيناً منكوداً من بعد عبلة.

يا عبلة! قد دنتِ المنيّةُ فاندبني * ان كان جفئك بالدموع وجود

يا عبلة! إن تبكي عليّ فقد بكى * صرْفُ الزمانِ عليّ وهو حسودٌ

يا عبلة! إن سَفَكوا دمي ففَعَالِي * في كل يومٍ نكروهنَّ جديد

لهفى عليك إذا بقيتِ سببية * تدعين عنتر وهو عنك بعيد

وينادي طيف عبلة تلك المسكينة التي وقعت في الأسر ولا حول لها ولا قوة، فيخاطبها بقلبٍ يفيض بالأسى ويقول لها اعلمي يا عبلة أن المنية أي: الموت قد اقترب ولا فرار منه، فاندبي ما كنا فيه من خير ولتبتك هذه الأيام إن كانت عيونك لا تزال فيها الدموع، وإن بكيتي عَلَيَّ فقد بكاني الزمان رغم ما بيننا من بغضٍ وحسد، وما ذلك إلا لأنه أشفق على حالي وما صرْتُ إليه، واعلمي يا عبلة أنهم إن سفكوا دمي وقضوا على حياتي فإن ذكري دائمٌ وسيرتي باقيةٌ وفعائلي لا تبلى، فهي دوماً ستروى للناس جيلاً بعد جيل، ولكن أسفي وحزني عليك يا عبلة إذا بقيت من بعدي سجينَةً تنادين وتقولين عنتر وهو عنك بعيدٌ.

ولقد لقيتُ الفرسَ يا ابنةَ مالكِ * وجيوشها قد ضاق عنها البيد

وتموجُ موجَ البحرِ إلا أنها * لاقَتْ أسوداً فوقهنَّ حديد

جاروا فَحَكَّمْنَا الصَّوَارِمَ بَيْنَنَا * فَقَضْتُ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شُهُود

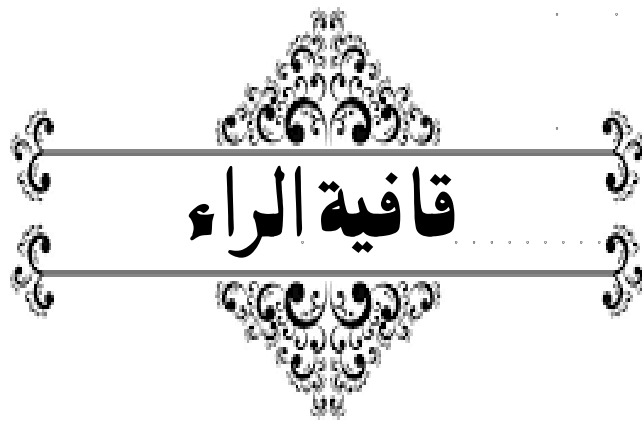
ويتكلم عنتر بما بقي له من رباطة جأشٍ ليقول أنه لم يُقَصِّرْ في حرب هؤلاء القوم، ولكنها الأيام التي لا تدوم على حال، اعلمي يا ابنة مالكٍ أني لقيت جيوش الفرس وقد ضاق عنها البيدُ أي: ضاقت بهم الصحراء رغم

اتساعها، وذلك لكثرة أعدادهم المهولة، فما أخافني ذلك وجيوشهم من كثرتها تموج أي: تتحرك كحركة موج البحر، ولكنهم وجدوا أمامهم رجالاً هم كالأسود قوةً وشجاعةً، تغشاهم الدروع والسيوف والرماح، وهؤلاء الفُرس ما حاربونا إلا جائرين أي: ظالمين فما وجدنا من يحكُم بيننا غيرُ الصوارم أي: السيوف، فقضت بيننا بقتالٍ كنا فيه الغالبين وتشهد لنا أطرافُ الرماح، ولكنها الكثرة التي تهزم الشجاعة.

يا عبلي! كم من جحفلٍ فرَّقتهُ * والجوُ أسودٌ والجبالُ تميدُ

فسطا عليَّ الدهرُ سطوةً غادرٍ * والدهرُ يبخلُ تارةً ويجوُدُ

ولكي يا عبلة أن تتسائي كم من جحفلٍ وهو: العدد العظيم في قوات الجيش، قمت بتفريقه عن طريق الخوض فيهم والضرب والتقتيل في فرسانهم، فما كان منهم إلا أن فروا هاربين وكل ذلك والجو أسود بسبب الغبار المتصاعد، والجبال تميد أي: تميل وتهتز من شدة الحركة والقتال، إلا أن الدهر كعادته لا تُؤمَنُ غوائله، فقد قلب الموازين ضدي وهجم عَلَيَّ هجمةً غادرٍ وهكذا هي أحوال الدهر مع الناس، تارة يبخل عليهم برغد العيش وتحقيق المأمول وتارة يجود.



قافية الراء

﴿فيافي الفلأ﴾

قال عنتره هذه الأبيات في الحرب التي كانت بين بني عبس وبني زبيد، وكانت يهدد فيها خالداً الزبيدي ويتوعده بالهلاك.

أَطْوِي فِيأَفِي الْفَلَأِ وَاللَّيْلُ مَعْتَكِرٌ * وَأَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالرَّمْضَاءُ تَسْتَعْرُ

وَلَا أَرَى مُؤْنِساً غَيْرَ الْحُسَامِ وَإِنْ * قَلَّ الْأَعَادِي غَدَاةَ الرَّوْعِ أَوْ كَثُرُوا

يصف عنتره حال سير الفرسان من بني عبس -وهو من جملتهم- إلى ديار بني زبيد ليغير عليهم، وكيف أن الطريق لدارهم صعبةٌ وشاقة، فما هو يطوي الفيافي أي: يمر بالأراضي الصحراوية أرضاً بعد أرض دونما توقفٍ والليل معتكر أي: شديدُ الظلمة، وبعد أن قطع الفيافي يقطع البيد وهي: الأراضي الصحراوية التي عادة ما تُهلكُ من فيها وتبيده، وفوق كل ذلك الرمضاء أي: الأرض المليئة بالحصى مستعرة أي: شديدة الحرارة، فيا له من طريقٍ شاقٍ وعسيرٍ يقطعُهُ عنتره.

فَحَانِرِي يَا سَبَاعَ الْبَرِّ مَنْ رَجَلٍ * إِذَا انْتَضَى سَيْفُهُ لَا يَنْفَعُ الْحَنْزُ

ورافقيني تربي هاماً مفقلاً * والطير عاكفة تُمسي وتبتكر

ما خالد بعدما قد سرت طالبة * بخالد لا ولا الجيداء تفتخر

ولا ديارهم بالأهل آنسة * ياوي الغراب بها والذئب والنمر

من البديهي أن مثل هذه الأراضي الصحراوية يعيش فيها السباع، وكل من له مخلب وناب ويفترس غيره يسمى عند العرب بالسبع، يوجه عنتره لهم الخطاب ويقول لهم: احذروا أن تحاولوا افتراس رجلٍ مثلي، فإنه إذا أشهر سيفه لا ينفع عند ذلك الحذرُ صاحبه فهو هالكٌ لا محالة، ولكن إن شئتم رافقوني إلى ديار زبيد وهناك تجدون غايتكم، فسوف ترون هاماً أي: رؤوساً مفقلة أي: مكسورة دونكم إياها، وأما خالد بن محارب فليس له من اسمه أدنى نصيب، فبعد أن صرت طالبة لأقتله لن يعيش بعد هذا اللقاء، وكل امرأة جيداء أي: ذات حسن وجمال كانت تفتخر به لن تفتخر بعد اليوم، وأما ديار بني زبيد بعد أن كانت آنسة أي: مطمئنة بأهلها، لن تكون موطناً إلا للضواري والغربان، وكل ذلك من شدة الخراب الذي سيحل بهم.

يا عبلي يُهنئك ما يأتيك من نعم * إذا رماني على أعدائك القدر

يا مَنْ رَمَتْ مَهْجَتِي مِنْ نَبْلِ مُقْلَتِهَا * بِأَسْهَمِ قَاتِلَاتِ بَرُؤِهَا عَسْرُ

نَعِيمٌ وَصَلِكَ جَنَاتٍ مَزْخُوفَةٌ * وَنَارُ هَجْرِكَ لَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ

ويوجه عنتره الخطاب إلى عبلة متفائلاً بالنصر ويقول لها: فلتفرحي وليطب بالك، ولتقر عينك بما سأتيك به من غنائم هذه الحرب، وليست هي فقط بل غنائم كل قوم عَادوكِ فأنا رسول القدر إليهم بالهلاك، وأموالهم مصيرها إليك لا محالة لك كل ذلك يا من أصبت مهجتي أي: روعي بسهامٍ من ناظريكِ قاتلة، والشفاء منها عسيرٌ إن لم يكن محال، وما أحلاها من سهامٍ ترميني بها تجعلني كأني في جنّة خضراءٍ نسيمها عليل، إذا ما كنتُ بجوارك، أما إن ابتعدتي عني فقد أشعلتي في جوفي ناراً لا تبقي على شيء ولا تذر.

سَقْتِكَ يَا عِلْمَ السَّعْدِيِّ غَادِيَةً * مِنْ السَّحَابِ وَرَوَى رِبْعَكَ الْمَطْرُ

كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ قَطَعْنَا فِيكَ صَالِحَةً * رَغِيدَةً صَفْوَهَا مَا شَابَهُ كَدْرُ

مَعَ فِتْيَةٍ تَتَعَاطَى الْكَاسَ مَتْرَعَةً * مِنْ خَمْرَةٍ كَلْهَيْبِ النَّارِ تَزْدَهْرُ

ونظراً للسعادة التي يشعر بها عنتره بعد تصوره هذا اللقاء الحار بعبلة، ينشر السعادة والرضا ويشيد بكل ما هو متعلق بعبلة، فيمدح العلم

السعدي أي: جبل بني سعد فيقول له أنك لأبد سعيدٌ ومسروورٌ أيها
الجبل السعدي، كأن مجموعةً من السحاب غاديةٌ أي: آتيةٌ سقتك
بمائها، وارتوى بهذا الماء ربعك أي: أراضيك، فكم من ليلة هنيئةٍ صافيةٍ
لا هم فيها ولا منغصات قد قضيتها في ربعك، مع فتيةٍ ويقصد بهم رفاقه
الذين يصحبونه يجلسون ويتسامرون ويتبادلون معه كؤوس الشراب،
مملوءةً بخمرٍ من فرط لمعانها ظاهرةً مزدهرةً كأنك تنظر إلى لهيبٍ من
النار، فأنعم بك من جبلٍ نسعد في رحابه.

*تُدِيرُهَا مِنْ بِنَاتِ الْعَرَبِ جَارِيَةٌ * رَشِيقَةٌ الْقَدِّ فِي أَجْفَانِهَا حَوْرٌ*

*إِنْ عَشْتُ فَهِيَ الَّتِي مَا عَشْتُ مَالِكْتِي * وَإِنْ أَمْتُ فَالليالي شَانِهَا الْعَبْرُ*

ويصحب عنتره ورفاقه في ليالي سهرهم جاريةٌ أي: فتاةٌ صغيرةٌ تدير بينهم
الكؤوس وتناولهم إياها، وتقوم على خدمتهم يصفها عنتره بأنها على قدرٍ
من الحسن والجمال، في أجفانها حور أي: عيونها متسعة وهذا النوع من
العيون يضيف إلى صاحبه لوناً من الجمال، ولعل عنتره يقصد بهذه
الجارية عبلة فقد قال في وصفها أنه إن عاش مهما عاش، ستكون هي

مالكة قلبه وكيانه، وأما إن مات فهذه من حوادث الأيام والليالي،
وحواذئهمًا من شأنها أن يعتبرَ بها ذوو الألباب.

﴿إِذَا لَعِبَ الْغَرَامُ﴾

إِذَا لَعِبَ الْغَرَامُ بِكُلِّ حُرٍّ * حَمِدْتُ تَجَلُّدِي وَشَكَرْتُ صَبْرِي

وَفَضَّلْتُ الْبِعَادَ عَلَى التَّدَانِي * وَأَخْفَيْتُ الْهَوَى وَكَتَمْتُ سِرِّي

وَلَا أَبْقِي لِعَدَّالِي مَجَالاً * وَلَا أَشْفِي الْعَدُوَّ بِهَتْكَ سِرِّي

إذا كان الكرام من الناس يلعب بهم الغرام والشوق ويخرجهم عن دائرة
الوقار ومكارم الأخلاق، فإني أحمدُ إلى نفسي شجاعتي وتجلدي وشكرت
قوتي المستمدة من صبري الذي أتحدى به، وإن العاشقين مضطربون يود
الواحد منهم أن يكون بقرب معشوقه عمره كله ولكن لما رأيت أن هذا
القرب فيه لونٌ من المذلة، فضلتُ أن أبتعد عن أن أكون قريباً وأخفيت
عشقي وهواي في نفسي وكتمت سري، كي لا أجعل لعدالي أي: حاسديّ
ولائعيّ مجالاً وفرصةً لينالوا مني بألسنتهم، ولكي لا أشفي غليلهم وأريح
نفوسهم عن طريق هتك الستراي: كشفه عن مكنون نفسي.

عَرَكْتُ نَوَائِبَ الْأَيَّامِ حَتَّى * عَرَفْتُ خِيَالَهَا مِنْ حَيْثُ يَسْرِي

وَدَلَّ الدَّهْرَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُ * الْأَقْيَ كُلَّ نَائِبَةٍ بِصَدْرِي

ولأن الرجل الحق يجب أن يكون حكيماً فإنني قد عرّكت نواب الأيام أي:
عرفت أحوال الأيام، وخضت الكثر من التجارب حتى عرفت كيف أعيش
وكيف هي حيل وغوائل الأيام فلم تعد تخدعني، وأما الدهر الذي اعتاد
أن يذل الناس لما رأي قوياً ألقى كل نائبة أي: مصيبة، بشجاعة وحكمة
كان الذل من نصيبه.

وما عاب الزمان عليّ لوني * ولا حط السواد رفيع قدري

إذا ذكر الفخار بأرض قوم * فضرب السيف في الهيجاء فخري

أما الزمان فلم يعب عليّ لون جلدي كما يفعل معي قومي لأنه عرف أنني
كريم الأخلاق رفيع الشمائل، وما كان السواد ليقلل من قدري وقيمتي
إذا كانت صفاتي هكذا، وإذا ما ذكر الافتخار عند أي قوم فيما بينهم
بالأخلاق وبالأفعال، فإن ضربي بالسيف في الهيجاء أي: الحرب وقوتي
وشجاعتي وانتصاري، هم الفخر الذي أتفاخر وأعتز به على سائر العرب.

سموت إلى العلاء وعلوت حتى * رأيت النجم تحتي وهو يجري

وقوماً آخرين سعوا وعادوا * حيارى ما رأوا أثراً لأثري

وقد ارتفعت مكانتي وعلوت بها حتى وصلت إلى عنان السماء، وبلغت في
الارتفاع أن رأيت النجوم وهي تجري وتتحرك من تحت قدمي، وقد سعى
الكثير وحاولوا أن يصلوا إلى مكانتي ولكن لم يفلحوا وعادى حيارى،
حيث أنهم لم يصلوا حتى لأثر يدلهم على مكانتي.

﴿إِذَا كَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾

إِذَا كَانَ أَمْرُ اللَّهِ أَمْرًا يُقَدَّرُ * فَكَيْفَ يَفْرُ الْمَرْءُ مِنْهُ وَيَحْتَرُ

وَمَنْ نَا يَرُدُّ الْمَوْتَ أَوْ يَدْفَعُ الْقَضَا * وَضَرْبُهُ مَحْتُومَةٌ لَيْسَ تَعْتَرُ

هذه الأبيات تدل دلالة كبيرة على أن عنتره كانت له صلة بأهل الكتاب

من العرب، وإلا ما كان ليذكر مثل هذا الكلام في شعره، فهو يقول:

إِذَا كَانَتْ الْحَوَادِثُ وَالْأَيَّامُ وَالْأَحْوَالُ الَّتِي تَعْتَرِي الْمَرْءَ أَمْرًا قَدْ قَدَرَهُ اللَّهُ

فِي الْغَيْبِ وَلَا مَفْرَمَ مِنْهُ، فَمَا الدَّاعِي لِكُلِّ مَحَاوَلَاتِ السَّلَامَةِ وَالْفِرَارِ مِنْ

الْقَدْرِ، فَمَا سَمِعْنَا أَبَدًا عَنْ أَحَدٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَرُدَّ عَنْ نَفْسِهِ الْمَوْتَ، أَوْ أَنْ

يَغْيِرَ مِنْ قَضَائِهِ وَكَيْفَ ذَلِكَ وَالْمَوْتَ إِذَا جَاءَ لِاتْخِيبَ ضَرْبَتَهُ، وَلَا تَخْطِئُ

صَاحِبَهَا فِيهِ مَصِيبَةٌ دَائِمًا.

لَقَدْ هَانَ عِنْدِي الدَّهْرُ لَمَّا عَرَفْتُهُ * وَإِنِّي بِمَا تَأْتِي الْمُلَمَّاتُ أَخْبِرُ

وَلَيْسَ سَبَاغُ الْبَرِّ مِثْلَ ضِبَاعِهِ * وَلَا كُلُّ مَنْ خَاضَ الْعَجَاظَةَ عَنَّتُرُ

لقد هان عندي شأن الدهر لما عرفتُ أحوالهُ وسُننهُ فلست أخاف مما
تُخَيِّ لي الأيام، واني على استعدادٍ تامٍ لكل ملامّةٍ أي: مصيبةٍ تأتي، فقد
صرت بالمصائب خبيراً أعرف كيف أستقبلها وأتعامل معها وأخرج منها
ظافراً ولا تزيدني إلا قوةً وحكمة، ولا يقدر على هذا الفعل إلا قليل،
فكما أن الضباع لا ترقى لمنزلة السباع فليس كل من خاض العجاجة أي:
الحرب -وعبر بهذا الوصف لارتفاع الأصوات فيها- يكون مثل عنتره.

سَلُّوا صَرْفَ هَذَا الدَّهْرِ كَمْ شَنَّ غَارَةً * فَفَرَّجْتُهَا وَالْمَوْتَ فِيهَا مَشْمَرٌ

بِصَارِمٍ عَزْمٍ لَوْ ضَرَبْتُ بِحَدِّهِ * نُجَى اللَّيْلِ وَلَى وَهُوَ بِالنَّجْمِ يَعْتَرُ

فيا من لا تعرفون عنتره ولم تصلحكم أخباره اسألوا عني صرف هذا
الدهر أي: شدائده وصعابه، وكم من غارةٍ قام بشنها عليّ ليهلكني
فرددتها جميعاً وانتصرت فيها، بالرغم من أن الموت كان حاضراً فيها
مشمراً عن ذراعيه ليقبض روعي، ولكن لم يظفر إلا بأرواح الذين
قاتلتهم بصارمٍ في يدي وصارمٍ بقلبي، من قوته لو ضربت به سواد الليل
لفرهارباً ومن خوفه يتعثرون في النجوم.

دَعُونِي أَجْدُ السَّعْيِ فِي طَلَبِ الْعُلَا * فَأَذْرِكُ سُؤْلِي أَوْ أُمُوتَ فَأَعْدُرُ

وَلَا تَخْتَشُوا مِمَّا يُقَدَّرُ فِي غَدٍ * فَمَا جَاءَنَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ مُخْبِرٌ

وَكَمْ مِنْ نَذِيرٍ قَدْ آتَانَا مُحَذَّرًا * فَكَانَ رَسُولًا فِي السُّرُورِ يُبَشِّرُ

فدعوني أيها القوم من تخاذلكم وخشيتكم مما لم يحدث بعد، ولأجد السير والسعي في طلب المكانة العالية والمنزلة الرفيعة، فإما أن أنال بغيتي وأصل إلى مرادي وإما أن أموت في سبيل ذلك، وعذري أنني سعيت وحاولت ولم أتخاذل وأنكمش خشية مما يُقدَّرُ لي في الغد، فهو أمر لا نعلم عنه شيئاً ولم يأتنا رسولٌ من عالم الغيب ليُخبرنا بما سيحلُّ بنا، كما أن الأيام من طبعها التغير والتبدل وفي أوقاتٍ كثيرة يكون الخوف نتاجاً لسوء الظن والتدقير، فكم من حادثة نتعرض لها فتكون نذيراً بالهلاك ثم يتبين لنا فيما بعد أنها حدثت لخير، فكانت رسولاً بالسرور.

قَفِي وَانظُرِي يَا عِبْلُ فَعَلِي وَعَايِنِي * طِعَانِي إِذَا تَارَ الْعَجَاجُ الْمَكْدَرُ

تَرِي بَطْلًا يَلْقَى الْفَوَارِسَ ضَاكِحًا * وَيَرْجِعُ عَنْهُمْ وَهُوَ أَشَعْتُ أَغْبَرُ

وَلَا يَنْتَنِي حَتَّى يُخَلِّي جَمَاجِمًا * تَمَّرُ بِهَا رِيحُ الْجَنُوبِ فَتَصْفَرُ

وَأَجْسَادَ قَوْمٍ يَسْكُنُ الطَّيْرُ حَوْلَهَا * إِلَى أَنْ يَرَى وَحْشَ الْفَلَاحِ فَيَنْفِرُ

قفي يا عبلة وانظري ما يكون من أفعالي وبلائي إذا ثار العجاج المكدر أي:
الصياح المتعالي في الحرب والقتال، فإنك إن أمعنت النظر رأيت أمامك
بطلاً شجاعاً لا يعرف الخوف إلى قلبه منفذاً، فهو لا يلاقي أعدائه إلا
ضاحكاً لفرط قوته وثقته في نفسه، ويرجع بعد قتالهم وهو أشعث أغبر
أي: غير مرتب الشعر ويعلوه التراب لكثرة الكر والفر في القتال، كما أن
هذا البطل لا ينثني أي: لا يتراجع عن القتال، حتى يترك ورائه جماجم
أعداءه وقد مر من خلالها الريح فأصدرت صفيراً، ويترك كذلك من
خلفه أجساد أناس قاتلهم وأهلكهم حتى صارت هذه الأجساد مسكناً
للطير تأوي إليه، ولا تنفر منه إلا عند رؤية وحوش الصحاري والسباع.

﴿قول المفتري﴾

يا عبلي خلي عنك قول المفتري * واصغي إلى قول المحب المخبر

وخذني كلاماً صغته من عسجد * ومعانيها رصعتها بالجواهر

لا تهتمي يا عبلة بقول الذين يسعون للتفريق بيننا ويفترون علي بما ليس فيّ، ودعي هذا الإفتراء جانباً واسمعي قولي الذي أخبرك به فقول المحب دوماً صادق، اسمعي كلاماً قد ألفتُهُ ووضعت فيه معانياً راقيةً فكان عسجداً أي: ذهباً مرصعاً أي: مزيناً بالجواهر.

كم مهمه قفر بنفسي خضته * ومفاوز جاوزتها بالأبجر

كم جحفل مثل الضباب هزمته * بمهند ماضٍ ورمح أسمر

كم فارس بين الصفوف أخذته * والخيل تعثر بالقنا المتكسر

ألم تعلني يا عبلة كم من مهمه أي: صحراء بعيدة لا ماء فيها قد خضت عناء السير فيها، ومفاوز أي: صحاري أيضاً قد عبرتها وجاوزتها بفرسي الأبجر ولم ينل مني التعب والإعياء، وكم من جحفل أي: عدد كبير من الفرسان كانوا مثل الضباب في الكثرة، قاتلتهم وهزمتهم بمهند أي: سيف

قاطعٍ ورمحٍ أسمر، وكم من فارسٍ في صفوف الأعداء قد أخذته من
بينهم وأهلكته، والخيل هاربةٌ بأصحابها وتتعثر أثناء ذلك بالقنا أي:
الرماح المتكسرة في أرض المعركة.

يا عِبْلُ نُؤنِّكَ كَلَّ حَيٌّ فاسألني * إن كان عندك شُبْهَةٌ في عَنْتَرِ
يا عِبْلُ هَلْ بُلِّغْتَ يَوْمًا أَنِّي * ولَيْتَ مُنْهَزِمًا هَزِيمَةً مُدْبِرِ

وإن كان عندك يا عبلة أدنى شك في عنتره وأفعاله وما يتحلى به من
صفات، فها هم الأحياء من حولك اسألني من شئت منهم عن عنتره،
يخبرك بالخبر اليقين وهل بلغتك يا عبلة يوماً أنني فررت هارباً منهزماً في
أي معركة، مثل هزيمة الجبناء الذين يفرون أثناء القتال؟

كم فارس غادرت يأكل لحمه * ضاري الذائب وكاسرات الأنسر
أفري الصدور بكل طعن هائل * والسابغات بكل ضرب منكر
وإذا ركبت ترى الجبال تضج من * ركض الخيول وكل قطر موعر
وإذا غزوت تحوم عقبان الفلا * حولي فتطعم كبد كل غضنفر

كم يا عبلة من فارسٍ تركته بعد قتالي معه وهو جسدٌ هامدٌ تأكل الذئاب
الضواري والنسور الكواسر من لحمه، أما علمت يا عبلة أنني أفري

صدور أعدائي إذا ما طعنت أحدهم تكون طعنةً هائلةً، حتى السوابغ أي: الدروع أفرمها بكل ضربٍ أضرِبُهُ مُنْكَرِ أي: غريب لم يُعْرِفْ مثل قوته، إني إذا ركبت الخيل قاصداً الحرب تسمعين من الجبال ضجيجاً من أصوات ركض الخيول في المعركة، وكل قطرٍ موعِرٍ أي: منطقة يصعب التحرك فيها، وإذا ما خرجت للغزو تحوم من حولي العقبان - وهي طيور تصيد في الصحراء- لأن كل سبعٍ أو غضنفرٍ يواجني يموت من فوره، فيكون طعاماً لهذه العقبان.

ولكم خطفٌ مُدْرَعاً من سَرَجِهِ * في الحَرْبِ وهو بِنَفْسِهِ لم يَشْعُرِ

ولكم وَرَدْتُ المَوْتَ أَعْظَمَ مَوْرِدٍ * وصدرت عنه فكانَ أَعْظَمَ مصدر

وكم من مرةٍ في الحرب قمتُ بخطف الفارس المدرع في صفوف الأعداء، ونزعته من فوق سرج فرسه حتى أنه لم يشعر بكل ذلك إلا عندما رأي نفسه مجندلاً تحت قدمي والدم يسيل من حوله، وكم من مرةٍ وردت الموت في هذه الحروب ثم صدرت عنه أي: رجعت منه منتصراً، لم يمسنني سوء فكان رجوعاً عظيماً.

يا عبئ لو عاينتِ فِعْلي في العِدَى * من كلِّ شِلْوٍ بالثَّرَابِ مُعْفَرٍ

والخَيْلِ فِي وَسْطِ الْمَضِيقِ تَبَادَرَتْ * نَحْوِي كَمَثَلِ الْعَارِضِ الْمَتَفَجِّرِ

مَنْ كَلَّ أَدْهَمَ كَالرِّيَّاحِ إِذَا جَرَى * أَوْ أَشْهَبَ عَالِي الْمَطَا أَوْ أَشْقَرِ

فَصَرَخْتُ فِيهِمْ صَرَخَةً عَبْسِيَّةً * كَالرَّعْدِ تَدْوِي فِي قُلُوبِ الْعَسْكَرِ

كم أتمنى يا عبلة لو عاينتِ بلائي وأفعالي مع الأعداء في الحروب، لعلمتِ ما يحل بهم عند رؤية كل شلواً أي: عضوٍ في الجسد معفراً وملقى على التراب، ولورأيتِ الخيل في المضيق وهي تسرع نحوي فكانت مثل العارض المتفجر أي: أكوام الغيوم المتكتلة، وهم بين الأدهم أي: خيول لونها أسود والأشهب أي: خيول لونها خليطٌ بين الأبيض والأسود، كلها مقبلةٌ ومندفعةٌ تجاه عنتره، وإذ هم كذلك صرخت فيهم صرخةً عبسيةً أي: صرخة فارسٍ كَرَّارٍ من بني عبس، كانت كالرعد تثير الرعب في نفوسهم وتدوي في قلوبهم.

وَعَطَفْتُ نَحْوَهُمْ وَصَلْتُ عَلَيْهِمْ * وَصَدَمْتُ مَوْكِبَهُمْ بِصَدْرِ الْأَجْرِ

وَطَرَحْتُهُمْ فَوْقَ الصَّعِيدِ كَأَنَّهُمْ * أَعْجَازُ نَخْلِ فِي حَضِيضِ الْمَحْجَرِ

وَدِمَاؤُهُمْ فَوْقَ الدُّرُوعِ تَخَضَّبَتْ * مِنْهَا فَصَارَتْ كَالعَقِيقِ الْأَحْمَرِ

وَلرَبَّمَا عَثَرَ الْجَوَادُ بِفَارِسٍ * وَيَخَالُ أَنْ جَوَادُهُ لَمْ يَعْثُرْ

ثم عطفت نحوهم أي: توجهت ناحيتهم وكلي شجاعةً وإقدام، وصُلْتُ عليهم أي: عملتُ فيهم الضرب والطعن الواحد تلو الآخر، واصطدمت بجيشهم وأنا على صدر حصاني الأجر، وطرحتهم أي: ألقيتهم فوق الصعيد أي: البقعة المرتفعة من الأرض، أجساداً هامدين كأنهم بقايا نخلٍ متكسر في حضيض المحجر أي: المكان المنخفض من الأرض، ودمائهم تخضبت بها الدروع التي كانوا يحملونها، فصارت كأنها عقيقٌ أحمر: وهو نوعٌ من الأحجار الكريمة، وربما مرَّ الجواد بين هذه الأجساد فيتعثربصاحبه فيتصور صاحبه أن جواده لم يتعثربه، وما ذلك إلا لأنه مُحْتَضِرٌ قد فقد الإحساس بكامل جسده، جرّاء ما فعله بهم عنثرة.



قافية السين

﴿شَرَيْتُ الْقَنَا﴾

قال عنتره هذه القصيدة عندما كان في نزالٍ مع عمرو بن ود العامري، وقد كان الأخير من صناديد فرسان العرب.

شَرَيْتُ الْقَنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُشْتَرَى الْقَنَا * وَنَلْتُ الْمُنَى مِنْ كُلِّ أَشْوَسٍ عَابِسٍ

فَمَا كُلُّ مَنْ يَشْرِي الْقَنَا يَطْعُنُ الْعِدَى * وَلَا كُلُّ مَنْ يَلْقَى الرَّجَالَ بِفَارِسٍ

لقد شربت القتال بالقنا أي: الرماح وخبرت أسرارها وبلغت فيها الغاية القصوى، حتى من قبل أن يشتري الفرسان الرماح ويقاتلوا بها، ونلت بغيتي عندما بارزت كل أشوسٍ عابسٍ أي: جريٍ على القتال وقمت بهزمه، ولذلك ليس كل من يشتري رمحاً يحمله على كتفه بالضرورة يقاتل الأعداء ويطعنهم، وليس كل من يقف في الحرب في ملاقاته الرجال بفارسٍ.

خَرَجْتُ إِلَى الْقَرْمِ الْكَمِيِّ مُبَادِرًا * وَقَدْ هَجَسْتُ فِي الْقَلْبِ مَنِي هَوَاجِسِي

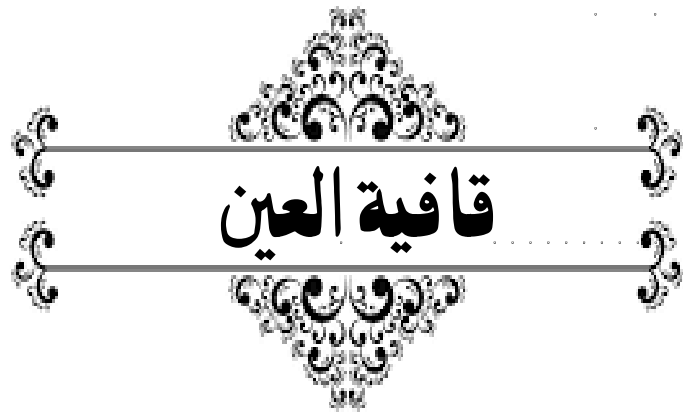
وَقَلْتُ لِمُهْرِي وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا * تَنْبَّهُ وَكُنْ مَسْتَيْقِظًا غَيْرَ نَاعَسِي

فَجَاوَبَنِي مُهْرِي الْكَرِيمُ وَقَالَ لِي * أَنَا مِنْ جِيَادِ الْخَيْلِ، كُنْ أَنْتَ فَارِسِي

وقد خرجت لملاقاة القرم الكميّ أي: السيد الشجاع المدرع ويحمل
أسلحته لأقاتله، وقد أخذت زمام المبادرة بادئاً هذا القتال وقلبي قد
امتلاً بالهواجس من قوة من الأقيهم، ثم التفتُ إلى مُهري أي: حصاني
والرماح تتشابك في المعركة، وقلت له كن مستيقظاً لما حولك وتنبه ولا
تأخذك الغفلة والنعاس فنهك، فقال لي حصاني كريم الأصل والطبع،
أنا من خيار الخيل وقد رضيت بك يا عنتره فارساً لي.

ولمّا تجاذبنا السيوفَ وأفرغتُ * ثيابُ المنايا كنتُ أولَ لابسِ
ورمحي إذا ما اهتزَّ يومَ كريهةٍ * تخرُّ له كلُّ الأسودِ القناعِ
وما هألني يا عبلي فيك مهالكٌ * ولا راعني هولُ الكميِّ الممارسِ
فدُونك يا عمرو بنِ وُدٍ ولا تحلُّ * فرمحي ظمآنُ لدمِ الأشاوسِ
ولما احتدم القتال واشتد وتلاحمت السيوف، أقبل الموت وقد وُزعت
ثيابه فكنت من شجاعي وقوتي أول لابسٍ مستعد للموت، غير مبالٍ
وأقاتل أعدائي بإقدامٍ ورمحي إذا ما قمت بتحريكه في يوم كريهةٍ أي: يوم
حربٍ، تخرله خوفاً الأسود القناعس أي: الكبيرة في الحجم والعظيمة في
الهيئة، واعلمي يا عبلة أنني ما تراجعته يوماً عن أي مكروهٍ في سبيل

رضاكِ، ولا أقلتني يوماً قوةً الفارس المسلح الخبير بالحرب، لذا أقدم
إليَّ يا عمرو بن ود ولا تتراجع فإن رمحي به عطشٌ شديدٌ لدم الفرسان
الأشأوس.



قافية العين

﴿جفون العذاري﴾

قال عنتره هذه القصيدة وهو في أسر المنذر بن ماء السماء، عندما صَعَبَتْ عليه نفسه وشق عليه ما هو فيه، وقد خرج عنتره إلى العراق حيث أراضى المنذر ليسوق من إبله مهراً لعبلة.

جُفُونُ الْعِذَارَى مِنْ خِلَالِ الْبِرَاقِعِ * أَحَدٌ مِنَ الْبَيْضِ الرَّقَاقِ الْقَوَاطِعِ
إِذَا جُرِّدَتْ ذَلَّ الشُّجَاعُ وَأَصْبَحَتْ * مَحَاجِرُهُ قَرْحَى بِفَيْضِ الْمَدَامِعِ

جفون العذاري التي تظهر من تحت البراقع التي يرتدونها لتستر وجوههن، لها جمالٌ خاص وتأثيرٌ أكثر حدة من البيض أي: السيوف القاطعة، وحيث أنها مثل السيف وأكثر منه حدة فهي إن جُرِّدَتْ من أغمادها يذل أمامها الشجاع القوي، وصارت محاجره أي: عظام وجهه التي تحت عينيه، قَرْحَى أي: مُصَابَةً من كثرة الدموع.

سَقَى اللَّهُ عَمِّي مِنْ يَدِ الْمَوْتِ جِرْعَةً * وَشَلَّتْ يَدَاهُ بَعْدَ قَطْعِ الْأَصَابِعِ
كَمَا قَادَ مَثَلِي بِالْمَحَالِ إِلَى الرَّدَى * وَعَلَّقَ آمَالِي بِذَيْلِ الْمَطَامِعِ

وبما أن عمي مالك هو السبب فيما أنا فيه الآن من غربة وألم، فادعوا
عليه أن يسقيه الله جُرعةً من يد الموت بعد أن تُقَطَّعَ أصابعُهُ وتُشَلَّ
يداه جزاء ما فعله بفارسٍ مثلي، وساقه إلى الردى أي: الهلاك وعلق آمالي
في الزواج من عبلة بطمعه في نسب غيري، الذين أغروه بغناهم وكثرة
أموالهم.

لقد ودعتي عبلةً يومَ بئبئها * وداعٍ يقينٍ أنني غيرُ راجع
وناحتُ وقالت كيف تُصبحُ بعدنا * إذا غبتَ عنا في القفار الشواسع
وحقكٍ لاحت في الدهر سلوةً * ولا غيرتني عن هواكٍ مطامعي

وعند استعدادي للسفر جاءت عبلة لتوديعي وقد كان بئبئها أي: وداعها،
وداع شخصٍ على يقينٍ بأن من يودعه لن يرجع ولن يراه مرةً أخرى،
وناحت متأثرةً بهذا الموقف وقالت كيف تصبح بعد فراقنا ياعنترة،
وكيف يكون حالك وأنت غائب عنا في القفار أي: الأراضي التي لا بشر
فيها ولا ماء الشواسع أي: الشديدة الإتساع، فقلت لها وحقكٍ عليَّ يا
عبلة لن أحاول أن أتسلى عنك في أيامي وليالي، ولن تغيرني عن عشقك
وهواكٍ شتى أنواع المطامع.

فكن واثقاً مني بحسن مودة * وعش ناعماً في غبطة غير جازع
فقلت لها يا عبلي إني مسافر * ولو عرضت دوني حدود القواطع
خلقنا لهذا الحب من قبل يومنا * فما يدخل التفنيد فيه مسامعي

فقلت عبلة إذن كن على يقين أنه سيكون مني حسن مودة وحفظ
للعهود، وعش طيباً مرتاحاً مُغتبطاً أي: تشعر بالفخر والسعادة ولا تجزع
أي: لا تيأس وتستسلم للأهوال أبداً، فقلت يا عبلة إني مصرٌّ على هذا
السفر الذي سأحضر منه المهر الذي يليق بك، حتى لو عرضت أي:
وقفت في طريقي حدود القواطع أي: حدود السيوف، فإننا يا عبلة قد
خلقنا ليكون بيننا هذا العشق وهذه المحبة من قبل أن نولد حتى، وإذا
كان الحال كذلك فلن يدخل التفنيد أي: الكذب أبداً إلى مسامعي.

أيا علم السعدي هل أنا راجع * وأنظر في قطريك زهر الأراجع
وئبصر عيني الربوتين وحاجراً * وسكان ذلك الجزع بين المراتع
وتجمعنا أرض الشربة واللوى * ونرتع في أكناف تلك المراتع
فيا أيها الجبل السعدي أخبرني هل أنا راجع من هذا السفر الذي قد
يكون فيه هلاكي، وهل سأنظر إلى زهور الأراجع -وهي زهور تنبت في

الربيع- التي تنبت في رحابك، ويا ترى هل ستبصر عيني وترى الربوتين
وحاجراً -وهما مكانين بمكة- وسكان هذه المناطق بين المراتع أي:
الحقول، وهل تجمَعنا الأيام مع أرضِ الشربة واللوى -وهما مكانين
بأرض الحجاز- ونمرح في رحاب تلك المراتع أي: المنازل التي فارقناها.

فِيَا نَسَمَاتِ الْبَانِ بِاللَّهِ خُبْرِي * عُيَيْلَةَ عَنْ رَحْلِي بِأَيِّ الْمَوَاضِعِ
وَيَا بَرْقُ بَلِّغْهَا الْغَدَاةَ تَحِيَّتِي * وَحَيِّ دِيَارِي فِي الْحَمَى وَمَضَاجِعِي
أَيَا صَادِحَاتِ الْأَيْكِ إِنْ مِتُّ فَانْدُبِي * عَلَى تُرْبَتِي بَيْنَ الطُّيُورِ السَّوَاجِعِ
وَنُوحِي عَلَى مَنْ مَاتَ ظِلْمًا وَلَمْ يَنْلُ * سِوَى الْبُعْدِ عَنْ أَحْبَابِهِ وَالْفَجَائِعِ

فيا أيتها النسلمات التي تمر من الأغصان أقسم عليك بالله أن تذهبي
لعبرة وتخبريها أين حطت رحالي وأين آل موضعي، ويا أيها البرق بلغها
في وقت الغداة تحيتي، وحيّ بالنيابة عني ديارى في حمى بني عبس،
وأماكني التي آوي إليها وأضطجع فيها، ويا أيها الحمام الصادح فوق
غصون الأيك اسمع ما أقول لك، إن كان مصيري هو الموت فتعال عند
تربتي واندبني بين الطيور السواجع أي: الطيور التي تردد الأصوات،

ونوحى أيتها الطيور على رجلٍ مات مظلوماً ولم ينل من هذه الحياة إلا
البعد عن أحبابه، والفجائع التي تأتي عليه الواحدة تلو الأخرى.

ويا حَيْلُ فابكي فارساً كان يُلتقى * صدور المنايا في غُبارِ المعامعِ

فأمسى بعيداً في غرامٍ وذلّةٍ * وقيدٍ ثقيلٍ من قيودِ التوابعِ

ويا أيتها الخيول إذا متُ فابكي على فارسٍ شجاعٍ، كان يلقي الموت في
غبار الحروب الطاحنة بكل قوةٍ وشجاعةٍ، ولكنه أمسى بعيداً مغترباً
بسبب غرامه والمذلة التي نالت منه، وهو في قيدٍ من القيود التي
تُستخدَمُ مع العبيد والتوابع، الذين يعصون أسيادهم.

ولسْتُ بيباكٍ إن أتتني منيَّتي * ولكنني أهفو فتجري مدامعي

وليس بفخرٍ وصفٍ بأسي وشدتي * وقد شاع نكري في جميع المجامعِ

بحقِّ الهوى لا تعذُّوني وأقصرُوا * عن اللوم إنَّ اللوم ليسَ بنافعِ

وكيفَ أطيقُ الصَّبْرَ عمَّن أحبَّه * وقد أضرمتُ نار الهوى في أضالعي

وليعلم من تصلُّه أبياتي أنني لا أبكي عند مجيء الموت فقد واجهته
العديد من المرات، ولكنها هفوةٌ تصيبني فتجري بالرغم عني مدامعي،
وعندما أصف قوتي وبأسي وشدتي في الحروب فليس هذا فخراً بعد أن

انتشرت سيرتي وأخباري في كل مجمعٍ للناس يجتمعون فيه، فيا من
يلوموني بحق الهوى عليكم إن كان له مقام عندكم، كُفُّوا عن لومي
وانتهوا فإن اللوم لا ينفع ويفيد بشئ، فكيف أطيق أن أصبر على مذلتني
وُبُعدي عن الذي أحبه وقد اشتعلت نار العشق والهوى بين أضلعي.

قف بالمنازل

قال عنتره هذه القصيدة وهو يتوعد فيها جيوش الفرس بالحرب والهلاك.

قف بالمنازل إن شَجَّتْكَ رُبُوعُهَا * فَلَعَلَّ عَيْنَكَ يَسْتَهْلُ نُمُوعُهَا

واسأل عن الأظعانِ أينَ سَرَّتْ بها * آباؤها ومتى يكونُ رجوعُها

دارِ لعلِّ شَطَّ عَنْكَ مزارُها * ونأتُ ففارقَ مُقْلَتَيْكَ هُجُوعُها

يخاطب عنتره شخصاً جرّده من نفسه ويقول له: إن حنّ نفسك لمنازل الأحباب، وأصابك الشجو أي: الحنين والاشتياق إليها فاذهب وقف عندها وتأمل فيها، لعل الدموع تستهل أي: تستعد للنزول وتنهمر فتخفف عن نفسك بعض ما هي فيه، ثم اسأل عن الأظعان أي: المسافرين-ويقصد عبلة- أين ارتحلت ومشت، ومتى يكون موعد رجوعها واللقاء بها، فما أشد شوقك لدار لعلِّ شطّ عنك أي: بعد عنك مكان زيارتها، ونأت أي: ابتعدت أيضاً فلم تعد تستطيع النوم لأن النوم قد فارق مقلتيك بمفارقة الأحباب.

فَسَقْتِكِ يَا أَرْضَ الشَّرْبَةِ مُزْنَةً * مُنْهَلَةً يَرَوِي تَرَاكٍ هُجُوعَهَا
وَكَسَا الرَّبِيعُ رُبَاكَ فِي أَزْهَارِهِ * حُلَّلاً إِذَا مَا الْأَرْضُ فَاحَ رَبِيعُهَا
كَمْ لَيْلَةً عَانَقْتُ فِيهَا غَادَةً * يَحْيَى بِهَا عِنْدَ الْمَنَامِ ضَجِيعُهَا
شَمْسٌ إِذَا طَلَعَتْ سَجَدَتْ جَلَالَةً * لِحِمَالِهَا وَجَلَا الظَّلَامَ طُلُوعُهَا

فلله يا أرض الشربة دركٍ فقد قامت بسقيكِ مزنةً أي: سحابةً منهلةً أي:
تفيض منها الأمطار بغزارة، فيرتوي يا أرض الشربة ترابك بهجوع أي: نوم
واستقرار هذه الأمطار فيه -وهذا تشبيهه عبقرى من عنتره- وعندما أتى
الربيع قام يكسوك بحللٍ أي: أي أردية راقية من الأزهار بهية المنظر رائحة
الجمال، فتفوح من الأرض رائحة الربيع، فكم عانقت في ليالي هذه
الأرض غادةً أي: امرأةً حسناء -ويعني بها عبلة- يُسرُّ بها من يتزوجها
ويشعر بالرضا والحياة، فهي من جمالها كأنها شمسٌ إذا طلعت في الأفق
سجدتُ إجلالاً وإكباراً لجمالها، وطلوعها الذي أزاح وطرده الظلام من
الأفق.

يَا عَبِلٌ لَا تَخْشِي عَلَيَّ مِنَ الْعِدَى * يَوْمًا إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَيَّ جُمُوعُهَا
إِنَّ الْمَنِيَّةَ يَا عَبِيلَةَ نُوْحَةٌ * وَأَنَا وَرُمَحِي أَصْلُهَا وَفُرُوعُهَا

وَعِدَاً يَمُرُّ عَلَى الْأَعَاجِمِ مِنْ يَدِي * كَأَسُّ أَمْرٍ مِنَ السُّمُومِ نَقِيعُهَا

وَأَذِيقُهَا طَعْمًا تُذَلُّ لَوَقَعِهِ * سَادَاتُهَا وَيَشِيبُ مِنْهُ رَضِيعُهَا

اطمئني يا عبلة ولا تقلقي عليّ من أعدائي إذا ما اجتمعوا لحربي وقتالي،
فما المنية أي: الموت يا عبلة إلا دوحة أي: شجرة عظيمة الحجم
والهيئة، وما أنا ورمحي إلا جذور وفروع هذه الشجرة لأن كل من يواجهني
هالك لا محالة، وعداً ترين حينما أحارب هؤلاء الأعاجم كيف أني
سأسقيهم بيدي كأساً شرابها أشد مرارةً وألماً من نقيع السم، وسأذيقهم
أيضاً هزيمةً نكراءً من مرارة طعمها سيذلُّ ساداتهم ويشيب صغارهم
وأطفالهم.

وَإِذَا جِيوشُ الْكَسْرِيِّ تَبَاثَرَتْ * نَحْوِي وَأَبَدْتُ مَا تُكِنُّ ضُلُوعُهَا

قَاتَلْتُهَا حَتَّى تَمَلَّ وَيَشْتَكِي * كُرَبَ الْعُبَارِ رَفِيعُهَا وَوَضِيعُهَا

فَيَكُونُ لِلْأَسَدِ الضَّوَارِي لِحْمُهَا * وَلَمَنْ صَحِبْنَا خَيْلَهَا وَدُرُوعُهَا

وإذا ما حان وقت القتال بيننا وبين جيوش الكسروي -نسبةً لكسري
وهو اسم لمن يملك بلاد الفرس- وتقدموا ناحيتي ليحاربوني، ثم ظهر
عليهم ما تُكنُّ ضلوعهم وصدورهم من الكراهية والغضب، رأيتني يا عبلة

أقاتلهم وأجندلهم وأوقع بهم الهزائم، حتى يشتكي من كُربِ الغبارِ أي:
الحرب الرفيعُ الشأنِ فيهم والوضيغُ على حدِّ سواء، فإذا ما انتهينا منهم
تكون أجسادهم غنيمةً للأسدِ الضواري، ولنا خيلهم ودروعهم وأمتعتهم.

يا عبلي لو أنّ المنيةَ صوّرتُ * لغدا إليّ سُجودَها ورُكوعَها

وسَطتْ بسيفي في النفوسِ مُبيدةً * من لا يجيبُ مقالَها ويُطيعُها

واعلمي يا عبلة لو أن المنية أي: الموت تصوّرَ وتَشكَّلَ بصورةٍ مرئيةٍ
وملموسةٍ ما كان يخضعُ ويُطيعُ سِوَاي، وإذا ما عصاه أحدٌ وخالف أمره
وقوله وأبى أن يطيع، يسطوا عليه الموت بسيفي يبيده ويهلكه....وهذه
مبالغة غير محمودة من عنتره.

﴿إِذَا كَشَفَ الزَّمَانُ﴾

من القصائد الحماسية التي تُلهب نفس من يقرأها وقد قالها عنتره في يوم المصانع، وهي منطقة في بلاد اليمن وقد كان بين بني عبس وأهل هذه المنطقة بني مسور، حربٌ قال عنتره هذه القصيدة بمناسبة وقد ضمنها الكثير من الحكم والمعاني.

إِذَا كَشَفَ الزَّمَانُ لَكَ الْقِنَاعَ * وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعَا

فَلَا تَخْشِ الْمَنِيَةَ وَإِقْتَحِمَهَا * وَدَافِعْ مَا اسْتَطَعْتَ لَهَا دِفَاعَا

وَلَا تَخْتَرْ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ * وَلَا تَبِكِ الْمَنَازِلَ وَالْبِقَاعَا

إذا كَشَرَ لك الزمان عن أنيابه وكشف لك القناع أي: أظهر لك حقيقته الغادرة والقاسية، ومدت صروف الدهر أي: مصائبه وأهواله إليك يدها، فلم يعد هنالك ما تخشى عليه فلا تجبن وتخاف من المنية أي: الموت إذا جاءك، واقتحم ميدان الموت وقاتل ودافع قدر ما تستطيع وقدر ما تملك من قوة وبأس، ولا تفضل الكسل والجبن والفُرْشَ الناعمة، عن المواجهة والقتال ولا تنتحب على المنازل والبقاعا.

وَحَوْلِكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبْنَ حُزْناً * وَيَهْتَكْنَ الْبِرَاقِعَ وَاللِّفَاعَا

يَقُولُ لَكَ الطَّبِيبُ دَوَاكَ عِنْدِي * إِذَا مَا جَسَّ كَفَكَ وَالذَّرَاعَا

وَلَوْ عَرَفَ الطَّبِيبُ دَوَاءً دَاءٍ * يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَاسَى النَّزَاعَا

وأنت في حال بكائك ونحيبك ساعة موتك يكون من حولك النساء يندبن ويهتكن أي: يمزقن البراقع واللفاع وهي: ملابس يستر بها النساء وجوههن، وعند مجيء الطبيب ليداويك يقوم بتحسس كفك وذراعك ثم يقول لك دوائك عندي، ولو أنه كان صادقاً وكان يعرف دواءً يرد الموت حين مجيئه، ما عانى الطبيب نفسه وقاسى الموت حين يأتيه، فكيف يرده عن غيره.

وَفِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا * لَنَا بَفْعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا

أَقْمَنَا بِالذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبٍ * وَصَيَّرْنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

حِصَانِي كَانَ دَلَالِ الْمَنَايَا * فَخَاضَ غُبَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا

وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَبِيبَا * يَدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصَّدَاعَا

وفي يوم حربنا مع بني مسور في المصانع قد تركنا خلفنا بفعالنا وبلائنا في الحرب والقتال خبراً يشاع عنا، جعل كل من يرغب بمعاداة بني عبس

يعيد التفكير ألف مرة، فقد أقمنا بالذوابل أي الرماح: سوق حربٍ وجعلنا السلع والمتاع في هذا السوق نفوس أعداءنا، وحصاني كان دَلَالَ الموت أي: صاحب سلعة الموت، يعطيها لمن يدفع أكبر ثمن في هذا السوق وقد خاض غبار الحرب واشترى أنفوساً وباعها، أما سيفي فكان في الهيجا أي: الحرب مثل الطيب لرؤوس الأعداء، فمن يشكوا أماً برأسه يُخَلِّصُهُ منه نهائياً عن طريق قطع هذه الرأس.

*أنا العبدُ الَّذِي خُبِّرْتَ عَنْهُ * وقد عاينْتُني فدع السَّماعا*

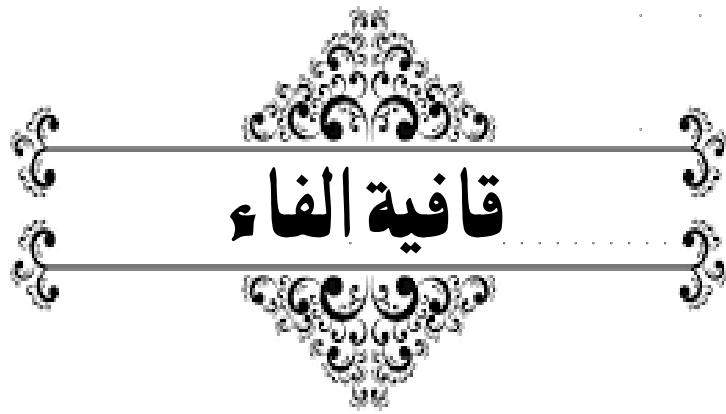
*ولو أُرسلْتُ رُمحي مع جَبانٍ * لكانَ بهيبتِي يُلقي السَّباعا*

*ملأتُ الأرضَ خَوْفاً مِنْ حُسامي * وخصمي لم يجدُ فيها اتساعا*

*إذا الأبطالُ فَرَّتْ خَوْفاً بأسي * ترى الأقطار باعاً أو ذراعاً*

فيا من تنكر عليَّ قوَّتي وشجاعتي اعلم أنني ذلك العبد الذي سمعت عن قوته وفروسيته وقد رأيتني ماثلاً أمام ناظريك، فدع عنك ما تسمع فإنه لم يوفيني حقي وانظر بنفسك ما سيكون مني، واعلم أنني لو أرسلت رمحي مع رجلٍ جبانٍ يقاتل به، لكان من هيبتِي ومعرفته أنه يحمل رمح عنتره يلقي السباع غير مبالٍ ولاخائف، فأنا الفارس الذي ملأتُ الأرضَ

خوفاً ورعباً من قوة حسامي أي: سيفي، حتى أن خصمي لم يعد يجد
متسعاً له في هذه الأرض، وإذا جمعتني المعارك بالأبطال والفرسان،
رأيتم يفرون بأنفسهم خائفين من بأسني وشدتي، وعند ذلك ترى
المسافات الشاسعة كأنها بقدر الباع أو الذراع نظراً لشدة خوفهم، فهم
يستهنون بعد المسافات ويرونها أرحم من قتال عنتره.



قافية الفاء

﴿أَيْنَ سُمَيَّةَ؟؟؟﴾

كان لشداد والد عنتره زوجة اسمها سمية، وقد أوغرت صدر شداد على عنتره وزعمت أنه يرواها عن نفسها، وقد حدث ذلك قبل أن ينسب شداد عنتره لنفسه وبعد أن حارب عنتره وَرَدَّ الغارة عن قبيلته، فضربه شداد ضرباً شديداً فأشفقت عليه سمية، وألقت بنفسها على عنتره لتنقذه وبكت عليه، فقال عنتره هذه الأبيات:

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفُ * ١ * لَوْ أَنَّ نَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ
كَأَنَّهَا يَوْمَ صَدَّتْ مَا تُكَلِّمُنِي * ٢ * ظَبِّي بِعَسْفَانَ سَاجِي الطَّرْفِ مَطْرُوفُ

أُسلوب استفهام يستنكر به عنتره هذا الموقف، وردة الفعل الغير متوقعة من سمية زوجة أبيه، كيف تذرف سمية عَلَيَّ الدمع لما رأتني مجروحاً هكذا وأشفقت عَلَيَّ، وهي السبب فيما وقع عَلَيَّ من ضربٍ وعذاب؟، وإذا كُنْتَ يا سمية بهذا القدر من العطف والحنو والرأفة والشفقة، ألم يكن من الأفضل لو كان ذلك معروفاً عنك ومعهوداً مِنْكَ

قبل اليوم؟، كأنك في تصنعك الضعف والهلع حينما اتهمتيني زوراً، ظيئ
صغيرٌ بمنطقة عسفان ساجي الطرف مطروف: أي ضعيف النظر وقد
طُرفت عيناه.

تَجَلَّلْتِي إِذْ أَهْوَى الْعَصَا قِبَلِي * ٣ * كَأَنَّهَا صَنَمٌ يُعْتَادُ مَعَكُوفُ
الْمَالِ مَالِكُكُمْ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ * ٤ * فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَصْرُوفُ
عندما رأني سمية مُلقىً جريحاً وشداد يهوي بالعصا ناحيتي، تجللتني
أي: أَلقت بنفسها عَلَيَّ لِتُنْقِذَنِي، فكانت في حُسْنِ هَيْئَتِهَا مِثْلَ الصَّنَمِ
الذي يصوره صاحبه في أحسن صورة، وهذا الصنم يعكف عليه الناس
ويعودوه أي: يزوروه، فيا شداد أعلمُ أن المال مَالُكَ وأنا العبدُ عَبْدُكَ
وَأَقْرُبُ بَدَلِكَ، فهل تصرف عني هذا العذاب وتكفَّ عن ضربتي وتجريحي؟.

تَنْسَى بِلَائِي إِذَا مَا غَارَةٌ لَقَحَتْ * ٥ * تَخْرُجُ مِنْهَا الطُّوَالَاتُ السَّرَاعِيْفُ
يَخْرُجَنَّ مِنْهَا وَقَدْ بُلَّتْ رِحَابُهَا * ٦ * بِالْمَاءِ يَرْكُضُهَا الْمُرْدُ الْغَطَارِيْفُ
قَدْ أَطْعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ عَنِ عُرْضِ * ٧ * تَصْفَرُّ كَفَّ أَخِيهَا وَهُوَ مَنْزُوفُ
لَا شَكَّ لِلْمَرءِ أَنَّ الدَّهْرَ نُوْ حَلْفٍ * ٨ * فِيهِ تَفَرَّقَ نُو الْإِفِّ وَمَالُوفُ

ويعاتبه عنتره ويُذَكِّرُهُ بما كان منه ويقول له: أتفعل معي ذلك وتندسى
بلائي واستماتي في الدفاع عنكم، إذا ما لقت أي: اشتدت غارات
العرب على بني عبس، والمعارك التي ترى فيها الطوالات أي: الخيول التي
تشبه السرايعف أي: الجراد في الخفة والسرعة، ترى هذه الخيول
خارجة من هذه الحروب وقد ابتلت وابتل أصحابها بالعرق والدم،
يركضها أي يجريها المرد الغطاريف أي: الشباب ذوو الكرم والشجاعة،
وفي هذه المعارك قد أظعن الطعنة النجلاء أي: الواسعة، في سبيل
الدفاع عن أعراض بني عبس، فترى العدو من أثر هذه الطعنة قد
اصفرت يداه بعد أن نزل دمه ومات، ثم لا عجب من نسيانك كل ذلك
مني، فهذه أحوال الدهر أنه ذو اختلافٍ وتغييرٍ يتفرق فيه كل صاحب
إلفٍ أي: مودة ومن يالفه.

﴿يا عبلة قري﴾

يا عبلة قري بوادي الرمل آمنة * ١ * من العداة وإن خوفت لا تخفي

فدون بيتك أسد في أناملها * ٢ * بيض تقذ أعالي البيض والحجف

يخاطب عنزة عبلة ليطمئنها ويقول لها: لا تقلقي يا عبلة من شيء، ولا

تخافي من عدو إذا حاول أحد أن يخيفك وقري أي: أقيمي في ديارك آمنة

مطمئنة، فإن بين الأعداء وبين بيتك أسود شديدة البأس تحمل في

أناملها أي: أصابعها، بيض أي: سيوف تقض أي: تقطع كل بيض أي

خوذة يرتديها الأعداء، وكل حجف أي: درع يتدرعون به.

لله در بني عبس لقد بلغوا * ٣ * كل الفخار ونالوا غاية الشرف

خافوا من الحرب لما أبصروا فرسي * ٤ * تحت العجاجة يهوي بي إلى التلف

ثم افتنوا أثري من بعد ما علموا * ٥ * أن المنية سهم غير منصرف

فلله در بني عبس ما أعظم قدرهم وما أرفع شأنهم، لقد نالوا كل فخر

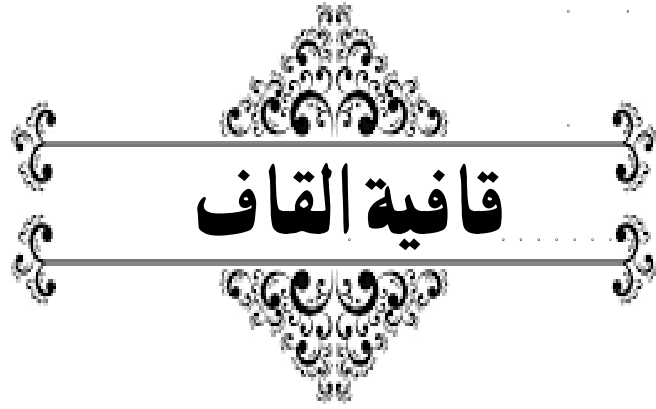
يُفتخرُّ به ونالوا أعلى مراتب الشرف، إلا أنهم لما رأوني أمتطي فرسي ومن

فوق العجاجة أي: غبار الحرب، ورأوا فرسي يهوي بي إلى الموت وأنا

أقتحم صفوف العدى، خافوا على أنفسهم وتراجعوا ثم تفكروا،
فأدركوا أن الموت سهمٌ لا بد أن يصيب صاحبه، سواءً كان في حربٍ أو
سلمٍ فتتبعوا أثري وانضموا وحاربوا معي.

خَضْتُ الْغَبَارَ وَمُهْرِي أَدَهْمٌ حَلِكٌ * ٦ * فَعَادَ مُخْتَضِباً بِالْدَّمِ وَالْجَيْفِ
مَا زِلْتُ أَنْصِفُ خُصْمِي وَهُوَ يَظْلِمُنِي * ٧ * حَتَّى عَدَا مِنْ حُسَامِي غَيْرَ مَنْتَصِفِ
وَإِنْ يَعْيِيُوا سَوَاداً قَدْ كُسِيَتْ بِهِ * ٨ * فَالِدُرُّ يَسْتَرُهُ ثَوْبٌ مِنَ الصَّدْفِ

وقد اقتحمت في الحرب هذا الغبار أقاتل وأدافع وأمتطي مهراً أي:
حصاناً أدهمٌ حلكٌ أي: أسودٌ شديد السواد، فعدت من هذه الحرب
وفرسي ملطخ بدم الأعداء وأجسادهم، وعند قتالي الخصوم أنصفهم
وأنزلهم منازلهم، وهم يظلمونني ويحقرون من شأني حتى جار عليهم
حسامي أي: سيفي، وصاروا مظلومين منه غير منتصفين، وإن كان هناك
أحدٌ يعيب عليّ لوني الذي كسيت به، فإن الدرّ أي: اللؤلؤ مستورٌ داخل
ثوبٍ من الصدف فلا يقلل ذلك من قيمته.



قافية القاف

﴿لقد وجدنا زبيراً﴾

قال عنتره هذه القصيدة في جملة القصائد التي قالها في الحرب التي كانت بين بني عبس وبني زبيد.

لقد وجدنا زبيداً غير صابرةٍ * ١ * يومَ التقينا وخيلَ الموتِ تسبِقُ
إذ أدبروا فَعَمَلْنَا فِي ظُهُورِهِمْ * ٢ * ما تَعَمَلُ النَّارُ فِي الْحَلْفِيِّ فَتَحْتَرِقُ
وخالِدٌ قد تَرَكْتُ الطَّيْرَ عاكِفةً * ٣ * على دِماءٍ وما في جِسْمِهِ رَمَقٌ

عندما كانت الحرب مشتعلة بيننا وبين زبيد والتقينا بهم في ميدان المعركة، وكانت الخيل التي تسوق الفرسان إلى الموت تتسابق فيما بينها، وجدناهم غير صابرين على أهوال الحرب وغير محتملين لمشقتها، وأدبروا أي: هربوا فلحقناهم وعَمَلْنَا فِي ظُهُورِهِمْ فيهم الضرب والهلاك، فكنا مثل النيران التي تشتعل في نبات الحلفى فتحرقه ولا تُبقي عليه، حتى أن خالداً الزبيدي قد واجهته في هذه الحرب وقاتلته وهزمته، ثم تركته والطير تحوم حول جسده المغطى بالدم ولم يعد فيه رمقٌ من حياة.

خُلِقْتُ لِلْحَرْبِ أَحْمِيهَا إِذَا بَرَدَتْ * ٤ * وَأَصْطَلِي بِنَظَاهَا حَيْثُ أَحْتَرِقُ

وَأَلْتَقِي الطَّعْنَ تَحْتَ النَّقْعِ مُبْتَسِماً * ٥ * وَالخَيْلُ عَابِسَةٌ قَدْ بَلَّهَا الْعَرَقُ

فَمَا خُلِقَ رَجُلٌ مِثْلِي إِلَّا لِيُحَارِبَ وَيُقَاتِلَ فِي الْمَعَارِكِ وَالْمَعَامِعِ، وَإِذَا مَا كَانَتْ
الْحَرْبُ بَارِدَةً أَقُومُ بِتَحْمِيَّتِهَا بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ فِي الْمِيدَانِ، فَتَصِيبُ نِيرَانِهَا كُلَّ
مَنْ فِيهَا وَأَصْطَلِي أَيُّ: أَصَابُ أَيْضاً بِالنَّيْرَانِ فَلَا أَعْبَأُ بِذَلِكَ، وَأَلْتَقِي
بَطْعَنَاتِ الْعَدُوِّ مِنْ تَحْتِ النَّقْعِ أَيُّ: الْغَبَارِ الْمَتَصَاعِدِ، وَأَبَادِلُهُ بِطَعْنَاتِ
أُخْرَى وَأَنَا أَبْتَسِمُ بَيْنَمَا الْفَرَسَانِ عَابِسُونَ عَلَى خِيُولِهِمْ، وَقَدْ ابْتَلَوْا
جَمِيعاً بِالْعَرَقِ وَالْدَمِ.

لَوْ سَابَقْتَنِي الْمَنَايَا وَهِيَ طَالِبَةٌ * ٦ * قَبْضَ النَّفُوسِ أَتَانِي قَبْلَهَا السَّبْقُ

وَلِي جَوَادٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ ذُو شَغْبٍ * ٧ * يَسَابِقُ الطَّيْرَ حَتَّى لَيْسَ يُلْتَحَقُ

وَلِي حَسَامٌ إِذَا مَا سُلِّ فِي رَهْجٍ * ٨ * يَشُقُّ هَامَ الْأَعَادِي حِينَ يُمْتَشَقُ

وَفِي الْحُرُوبِ وَالْمَعَارِكِ إِذَا مَا حَدَثَ وَأَرَادَ الْمَوْتُ أَنْ يَسَابِقَنِي لِقَبْضِ
النَّفُوسِ كَانَ السَّبْقُ لِي وَالْفُوزُ مِنْ نَصِيْبِي، فَأَنَا الْفَارِسُ الَّذِي لَا يُشَقُّ لَهُ
غِبَارٌ وَلِي جَوَادٌ أَيُّ حَصَانٌ ذُو شَغْبٍ أَيُّ: ذُو شَرِّ وَأَذَى مَعَ الْأَعْدَاءِ، وَقَدْ بَلَغَ
مِنَ السَّرْعَةِ أَنَّهُ إِنْ سَابَقَ الطَّيْرُ يَسْبِقُهُمْ وَلَا يَجَارُونَهُ سُرْعَةً، كَمَا أَنَّ لِي

سيفاً إذا ما قمت بسله أي: سحبه من غمده في رهج أي: غبارٍ مُتصاعِدٍ
في المعركة، يقوم هذا السيف بشق هام أي: رؤوس الأعداء عندما
يُمْتَشَقُ أي: يُسحَبُ من جرابه ويُقاتلُ به.

أنا الهزبرُ إذا خيلُ العدا طلعت * ٩ * يوم الوغى ودماءُ الشوس تندفقُ

ماعبستُ حومةَ الهيجاءِ وجهَ فتى * ١٠ * إلا ووجهي إليها باسمٍ طلقُ

ما سابقَ الناسُ يومَ الفضلِ مكرمةً * ١١ * إلا بَدَرْتُ إليها حيثُ تُستَبَقُ

وإذا طلعت خيل الأعادي في أيام الوغى أي: الحروب، ورأيت الشوس أي:
الفرسان الشجعان دماؤهم تتدفق من الحماس ورغبة القتال، فأنا
الفرس الهزبر أي: الأسد الكاسر قوةً وشجاعةً أواجههم وأجندلهم، وإذا
قامت حومة الهيجاء أي: أكثر بقعة فيها قتالٌ في الحرب، بجعل الفتى
أي: القوي المليئ بالحيوية يعبس ويقلق من هول ما يحدث تراني باسماً
طلقَ الوجهِ لا أعبأ بكل هولٍ أو شدة، وما سابق الناس إلى فعلٍ طيب
يفعلونه أو خُلِقَ كريمٍ يتحلون به، إلا كنت أول من ابتدر هذا الفضل
وهذه المكرمة.

﴿تُرَى عَلِمَتْ عُبَيْلَةَ؟﴾

قال عنتره هذه القصيدة وهو في أسر المنذر بن ماء السماء ملك العراق،

عندما ذهب إليها عنتره ليحضر مهر عبلة من نُوق المنذر.

تُرَى عَلِمَتْ عُبَيْلَةَ مَا أَلَاقِي * ١ * مِنْ الْأَهْوَالِ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ

طَغَانِي بِالرِّيَاءِ وَالْمَكْرِ عَمِّي * ٢ * وَجَارَ عَلَيَّ فِي طَلَبِ الصَّدَاقِ

يا تُرى هل تَرِدُ أخباري إلى عبلة؟ وهل تعلم ما ألقاه وأنا في الأسر عند

المنذر في أرض العرق من أهوال وكُرب، وكل ذلك راجعٌ إلى عمي مالك

الذي طغاني أي: زاد في ظلمي، بالرياء والمكر والمبالغة في طلب صداقِ

لعبلة، يستحيل على أي أحد.

فَخُضْتُ بِمُهْجَتِي بَحْرَ الْمَنَايَا * ٣ * وَسِرْتُ إِلَى الْعِرَاقِ بِلَا رِفَاقِ

وَسُقْتُ النُّوقَ وَالرُّعْيَانَ وَحَدِي * ٤ * وَعُدْتُ أُجْدُ مِنْ نَارِ اشْتِيَاقِي

وَمَا أَبْعَدْتُ حَتَّى نَارِ خَلْفِي * ٥ * غِبَارُ سَنَابِكِ الْخَيْلِ الْعِتَاقِ

وخضت بروحي وغامرت بحياتي في طريق السفر إلى العراق المليئ بالمشقة والصعاب، وسرت فيه بلا أنيسٍ أو صاحبٍ يصحبني ويُسلِّي وحدتي، وما أن وصلت إلى أرض العراق حتى قصدت نُوقَ المنذر فهجمت عليها وعلى الذين يرعونها، وسقتهم جميعاً أمامي إلى طريق الحجاز ونار الشوق إلى الأحباب تشتعل بداخلي، وما أن ابتعدت بها قليلاً إلا وفرسان المنذر يسرعون خلفي يبغون اللحاق بي، وقد ثار الغبار أي: انتشر وارتفع من سنابك أي: حوافر خيولهم القوية العتيقة.

وَطَبَّقَ كُلُّ نَاحِيَةٍ غُبَارًا * ٦ * وَأُشِعِلَ بِالْمُهَنْدَةِ الرَّقَاقِ

وَضَجَّتْ تَحْتَهُ الْفُرْسَانُ حَتَّى * ٧ * حَسِبْتُ الرِّعْدَ مَطْوُولَ النَّطَاقِ

فَعُدْتُ وَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَمِي * ٨ * طَغَانِي بِالْمُحَالِ وَبِالْإِنْفَاقِ

فعند ذلك قام غبارٌ كثيفٌ غطى النواحي كاملةً وامتلت به الأرجاء، ثم اشتعلت المعارك بالسيوف الهندية الرقيقة السمك الحادة القطع، ومن تحت هذا الغبار تعالت أصوات الفرسان الآتون نحوي، فكان من علو صوتهم أني حسبت الرعد فك نطاقه: وهو قطعةٌ من قماشٍ ترتديه النساء حول خصرها، فلما فك الرعد غطاءه انساب وانتشر في الأرجاء -

وذلك تصويرٌ بديعٌ من عنتره- فعدت من الجهة التي كنت ذاهباً إليهم
بمهرٍ عبلة، وأدركت أن عمي ظلمي وأهلكني بنفاقه أي: خداعه وطلبه
المستحيل.

وبأثرت الفوارس وهي تجري * ٩ * بطعنٍ في النحور وفي التراقي
وما قصرت حتى كلُّ مهري * ١٠ * وقصرت في السباق وفي اللحاق
نزلت عن الجواد وسقت جيشاً * ١١ * بسيفي مثل سوقي للنياق
وفي باقي النهار ضعفت حتى * ١٢ * أسرت وقد عيَّ عضدي وساقِي

وقمت بمادرة الفرسان القادمون نحوي وأسرعت ناحيتهم، وابتدئتهم
القتال والمناورة والكرُّ والفرّ، وانهلت عليهم بطعناتٍ في نحورهم أي:
موضع الذبح من الإنسان، وفي تراقيهم وهي: العظام التي تعلق الكتف،
وظللت هكذا معهم ولم أقصّر في القتال ولم أتوانى، حتى كلُّ أي: تعب
حصاني وقصّر نتيجةً لذلك في الحركة ولم يستطع أن يجاريهم في
السباق وفي اللحاق، فعند ذلك نزلت من عليه وحاربتهم وهم يُولون من
أمامي، فكأنني أسوقهم بسيفي كما أسوق النياق، حتى أصابني الضعف

في نهاية المطاف والتعب، فعند ذلك قاموا بأسري وقد عَيَّ أي: تَعِبَ
عَضْدِي أي: ذراعي وساقِي، ولولا ذلك ما تمكنوا مني.

وفاضَ عليَّ بحرٌ من رجالٍ * ١٣ * بأَمواجٍ من السُّمَرِ الذِّقَاقِ

وقادوني إلى ملكٍ كريمٍ * ١٤ * رفيعٌ قدرُهُ في العزِّ راقِي

وبعد ذلك فاض عليَّ أي: أقبل عليَّ جمعٌ كثيرٌ من رجال المنذر، من
كثرتهم كانوا كالأمواج تحمل السُّمَر أي: الرماح الدقيقة أي: الرفيعة، ثم
قادوني وأخذوني إلى الملك الكريم المنذر بن ماء السماء، ذلك الملك
الرفيع القدر الذي ارتقى في العز والملك، مبلغاً عالياً.

قَدْ لَأَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ لَيْثاً * ١٥ * كَرِيهَ الْمُتَقَى مُرَّ الْمَذَاقِ

بِوَجْهِ مِثْلِ ظَهْرِ الثُّرْسِ فِيهِ * ١٦ * لَهَيْبُ النَّارِ يَلْمَعُ فِي الْمَاقِي

قَطَعْتُ وَرِيدَةَ بِالسَّيْفِ جَنْراً * ١٧ * وَعُدْتُ إِلَيْهِ أَحْجَلٌ فِي وَثَاقِي

عَسَاهُ يَجُودُ لِي بِمُرَادِ عَمِي * ١٨ * وَيَنْعَمُ بِالْجَمَالِ وَبِالنِّيَاقِ

وقد قام المنذر بإحضار أسدٍ مخيف المنظر شديد القوة ليبارزني وأنا في
أغلاي -وقد كان عادة عند الملوك مع الأسرى- وكان هذا الأسد له وجهٌ
مخيفٌ وصلبٌ مثل ظهر الترس أي: الدرع، وتستطيع أن ترى في مآقي

عينيه أي: مجرى الدموع، لهيب النار وهو يشتعل، وبالرغم من أنه يتحلى بكل هذه الصفات المخيفة، وأني مقيدٌ في أغلالي وليس معي سوى السيف، قمت بمصارعتة وقطعت وريده وهزمته، ثم عدت إلى الملك وأنا أحجل أي: أقفز وأنا في أغلالي، فلعلَّ الملك بعد ما رأى من شجاعتي وقوتي أن يجود لي بما يريد عني مَهْرًا لَعْبلة، بل ويزيدني جَمَالاً ونياقاً وهذا أمني منه وطمعي في كرمه.

﴿صحا من سُكره قلبي﴾

صحا من سُكره قلبي وفاقا * ١ * وَزَارَ النَّوْمُ أَجْفَانِي اسْتِرَاقًا

وَأَسْعَدَنِي الزَّمَانُ فَصَارَ سَعْدِي * ٢ * يَشْتَقُّ الْحُبَّ وَالسَّبْعَ الطَّبَاقَا

استيقظ قلبي من حالة السكر التي كان فيها وأفاق وعاد إلى وعيه وتركيزه، أما النوم فقد عاود الزيارة لأجفاني أي: عيوني ولكن استراقاً أي: خلسةً، وأسعدتني الأيام وأحوال الزمان بعد حزنٍ طويل، حتى كان مقدار سعادتي من علوه أنه يجاوز السبع الطباقا أي: السماوات السبع.

أنا العبدُ الذي يُلقى المَنايَا * ٣ * غَدَاةَ الرَّوْعِ لَا يُخْشَى الْمَحَاقَا

أَكْرَأُ عَلَى الْفَوَارِسِ يَوْمَ حَرْبٍ * ٤ * وَلَا أَخْشَى التُّمَهَّنَدَةَ الرَّقَاقَا

وَتَطْرِبُنِي سَيْوْفُ الْهِنْدِ حَتَّى * ٥ * أَهِيْمَ إِلَى مَضَارِبِهَا اسْتِثْيَاقَا

نعم أنا العبد الذي فاق الأحرار قوةً وشجاعةً ألقى المنايا أي: المصائب والأهوال المؤدية إلى الموت، غداة الروع أي: ساعة الحرب التي تُروِّعُ من فيها لشدتها ولا أخشى المحاقا أي: الهلاك، فأنا الفارس الذي أكرُّ أي: أهجمُ على الفرسان من الأعداء في أيام الحروب ولا أخشى السيوف

المهنة القوية النافذة القطع، بل أواجهها وكلي إقدام وكما تُطربُ
الموسيقى أذنَ القومِ فإن قعقة هذه السيوف تُطربني كذلك، حتى
أهيم من شدة الطرب وأطلب مواضع هذا الضرب اشتياقاً لصوتها،
والقتال فيها.

وإني أعشق السمرَ العوالي * ٦ * وغيري يعشقُ البيضَ الرشاقا

وكاساتُ الأسنّةِ لي شرابٌ * ٧ * أُلذُّ به اصطباحاً واعتباقا

وأطرافُ القنا الخَطِّي نَقلي * ٨ * وريحاني إذا المضمأُ ضاقا

وإني لأعشق السمر أي: الرماح العالية المرتفعة في ميدان الحرب
والقتال، وغيري من الناس يعشقون النساء الجميلات، وأسنة الرماح
بالنسبة لي هي كاساتي التي أشرب بها، ومذاق شرابها أتلذذ به إذا شربت
صباحاً أو اعتباقا أي: شرب المساء، وأطراف الرماح هي طريقي إلى
المجد، وراحتي إذا ما ضاق على الطريق.

جزى الله الجوادَ اليومَ عني * ٩ * بما يجزي به الخيل العتاقا

شَققتُ بصدريه موجَ المنايا * ١٠ * وخضتُ النقعَ لا أخشى اللحاقا

فله دره جوادي الذي أركبه وأحارب به، وجزاه الله عني أفضل جزاءٍ
يمكن أن يُجازى به الخيل العتيق، فقد اخترقتُ بصدرة وأنا على ظهره
بحور المنايا أي: مواقع الحروب المميتة، وشققنا معاً غبار الحرب لا
أخشى على نفسي أن يلحق بي أحد، أو أن يهزمني أحد.

أَلَا يَا عِبِلَ لَوْ أَبْصَرْتَ فِعْلِي * ١١ * وَخَيْلَ الْمَوْتِ تَنْطَبِقُ أَنْطَبَاقًا

سَلِي سَيْفِي وَرَمَحِي عَنْ قِتَالِي * ١٢ * هَمَا فِي الْحَرْبِ كَانَا لِي رِفَاقًا

سَقَيْتُهُمَا دَمًا لَوْ كَانَ يُسْقَى * ١٣ * بِهِ جَبَلًا تِهَامَةً مَا أَفَاقَا

وَكَمْ مِنْ سَيِّدٍ خَلَيْتُ مُلْقَى * ١٤ * يُحْرِكُ فِي الدَّمَاءِ قَدَمًا وَسَاقَا

فليتك يا عبلة ترين ما الذي أفعله في الحروب وكيف يكون قتالي، وخيل
الفرسان التي تحمل الموت تنطبق أي: تنغلق عليّ انغلاقاً، ولكن دونك
سيفي ورمحي اسألهم كما شئتني عن قتالي وبلائي، فهما رفيقاي في
الحرب وشريكاي في الطعن والضرب، سيخبراك كم من مرة سقيتهما من
دم الأعداء الذين أقاتلهم، لو سقيته الجبلان في تهامة لسكرا منه وما
أفاقا، ولا أحصي عدداً كم من سيدٍ في قبيلته قد حاربني وقاتلني فهزمته

وخليته أي: تركته، ملقاً في الأرض غارقاً في دمه، تتحرك قدماه من أثر

خروج الروح.



قافية الكاف

﴿يا عبئ إن كان﴾

قال عنتره هذه القصيدة بسبب حربٍ كانت بين بني عبسٍ وطِيءٍ.

يا عبئُ إن كان ظلَّ القسطلِ الحلكِ * ١ * أخفى عليك قتالي يوم مُعتركي

فسائلي فرسي هل كُنْتُ أُطْفِئُهُ * ٢ * إلا على موكبِ كالليلِ مُحْتَبِكِ

إن كان يا عبلة ظل القسطل الحلك أي: غبار الحرب الأسود حائلاً بينك وبين رؤية قتالي في يوم المعركة، فاسألي فرسي الذي أمتطيه هل اترك له العنان وحرية الجري في الميدان، إلا على موكب الأعداء الذي هو من سواده وكثرته، كالليل مُحْتَبِكِ أي: متشابك.

وسائلي السيف عني هل ضربت به * ٣ * يوم الكريهة إلا هامة الملك

وسائلي الرُمح عني هل طعنت به * ٤ * إلا المدرع بين النحر والحنك

ثم اسألي كذلك سيفي الذي أضرب به، هل ضربت به يوم المعركة إلا رأس ملك القوم وكبيرهم وسيدهم، واسألي رمحي عن الطعن الذي أطعنه به، هل طعنت إلا الفارس المدرع بالحديد بين النحر والحنك أي:

في موضع بين موضع النحر من رقبته وفمه، ذلك لأنه يكون عارياً من الحديد ولأن الإصابه فيه تكون قاتلة.

أَسْقِي الْحُسَامَ وَأَسْقِي الزُّمَحَ نَهْلَتُهُ * ٥ * وَأَتْبِعُ الْقِرْنَ لَا أَحْشَى مِنْ الدَّرَكِ

كَمْ ضَرْبَةً لِي بَحْدَ السِّيفِ قَاطِعَةٌ * ٦ * وَطَعْنَةٌ شَكَّتِ الْقُرْبُوسَ بِالكَرَكِ

لَوْلَا الَّذِي تَرَهَّبُ الْأَمْلاكَ قَدْرَتُهُ * ٧ * جَعَلْتُ مَتَنَ جَوَادِي قُبَّةَ الْفَلَكِ

فأنا يا عبلة أسقي حسامي أي: سيفي وأسقي رمحي النهلة أي: الشربة الأولى من دم الأعداء، وأتبع القرن أي: العدو في الحرب لأقاتله ولا أخشى على نفسي أن يدركني أحدٌ ليغلبني، فكم من ضربةٍ ضربتها بحد السيفي قاطعةٍ وطعنةٍ طعننها برمحي، فاخرقت القربوس أي: طرف السرج الذي يكون على الحصان مع الكرك أي: الرداء الأحمر، ولولا الإله المليك الذي تخافه كل الأملاك وترهب من قدرته، لكنت جعلت جوادي السماء ومنتنه أي: سيره الذي يُمسكُ منه قبة الفلك.

﴿ريحُ الحجاز﴾

قال عنتره هذه القصيدة عندما كان في دمشق وأصابه الشوق لدياره
ولعبلة.

ريحُ الحجازِ بحقِّ مَنْ أنشاكِ * ١ * رُدِّي السلامَ وحيِّي مَنْ حيَّاكِ

هَبِّي عسى وجدي يخفُّ وتنطفي * ٢ * نيرانُ أشواقِي ببردِ هواكِ

أيتها الريح الطيبة التي تاتي من الحجاز حيث تسكن عبلة، أقسم عليك
بحق الذي خلقتِ وأنشأكِ أن تردي السلام، وتحيي من يلقي عليك
التحية، وهبِّي عسى أن يخفَّ وجدي أي: عشقي قليلاً وتنطفئ النيران
التي تشتعل بداخلي من الشوق، بالهواء البارد الذي أتيتي به من أرض
الحجاز.

يا ريحُ لولا أن فيك بقيةً * ٣ * من طيبِ عبلةٍ متَّ قبل لِقاكِ

كيف السلوُّ وما سمعتُ حمائمًا * ٤ * يندُبُن إلا كنتُ أولَ باكِ

بُعَدَ المزارُ فعادَ طيفُ خيالها * ٥ * عني قفارَ مهامِه الأَعنَاكِ

لذا يا ربح الحجاز لولا أنك تحملين بقية من طيب أي: رائحة عبلة،
لقتلتنى نيران الأشواق حتى من قبل أن ألتقي بك، فكيف أتسلى عن
عبلة وكلما سمعت الحمائم يندبن فوق الأغصان، إلا أخذنى الوجد
وخانتنى العبرة وانسكبت مدامعى وكنت أول من يبكى، فقد بعدت
أراضى الحبيب عن الزيارة حتى أصبح طيف خيال عبلة بعيداً عنى، مثل
بُعدِ أراضى قرية الأعنك الصحراوية التى لا زرع فيه ولا ماء.

يا عبلى ما أخشى الحمامَ وإنما *٦* أخشى على عينيكِ وقت بُكائكِ

يا عبلى لا يحزنك بُعدى وأبشيري *٧* بسلامتى واستبشيري بفكاكى

فيا عبلة اعلمى أنى لا أخشى الحمامَ أى: النيران بل لا أعبأ بها، فكل ما
أخشى عليه أن يصيب عينك أى مكروه بسبب بكائك على، لذا لا تجعلى
ابتعادى عنك يحزنك، وتفائلى وأبشيري برجوعى وسلامتى من كل مكروه،
وفكاكى من أى أسرىمكن أن أقع فيه.

هلاً سألت الخيل يا ابنة مالك *٨* إن كان بعضُ عدائك قد أغراكِ

يُخبرك من حصر الشأم بأننى *٩* أصفيتُ ودًا من أراد هلاكى

فهلأ سألتى الخيول عني يا ابنة مالك، وعن قتالي وشجعاتي إن كان أحد أعدائك قد ضللك وأغراك بغير الصواب، فسيخبرك من حضر مواضع الشؤم في القتال، بأني قد أضمرت في نفسي الود لمن أراد أن يهلكني، وما ذلك إلا لطيب أخلاق عنتره.

ذَلَّ الألى احتالوا عَلَيَّ وأصبحوا * ١٠ * يتشفعون بسيفي الفَتَّاءِ

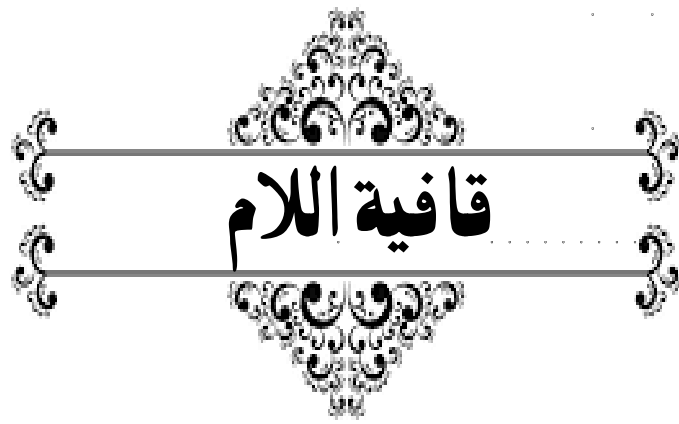
فَعَفَوْتُ عن أموالهم وحریمهم * ١١ * وحميتُ رِبْعَ القومِ مثلِ حماك

ولقد ذلت الجموع التي أرادت أن تقضي عَلَيَّ وتهلكني أمام قوتي وبأسي، فما وجدوا إلا أن يحتالوا عَلَيَّ ويخدعوني، وصاروا يتشفعون إِلَيَّ بقوة سيفي الفتاك، فمن كرم أخلاقي عفوت عنهم وتركت لهم أموالهم ونسائهم، وقمت بحماية ربوعهم أي: منازلهم بإخلاصٍ كأنني أحملك يا عبلة.

ولقد حَمَلْتُ على الأَعاجِمِ حَمَلَةً * ١٢ * ضَجَّتْ لها الأَملاكُ في الأَفلاكِ

فَنَثَرْتُهُم لَمَّا أَتُونِي في الفَلا * ١٣ * بِسَنانِ رُمحٍ للذِّمَّاءِ سَفَّاءِ

ولقد قمت بشن حملة أي: هجمة على الأعداء من الاعاجم، بلغت من
قوتها أن ضجّت لها الأملاك التي في السماء واضطربت، ولما أتتني جموع
الأعدى ليقاتلوني، قاتلتهم ونثرتهم أي: فرقهم في الفلا أي: الصحراء،
بقوة رمحي الذي هو لدم الأعدى سفاك.



قافية اللام

طال الثواء

سبب هذه القصيدة أن بني عبس قاموا بغزو بني تميم وقد كان سيدهم في ذلك الوقت هو قيس بن زهير، ولكن استطاع بنو تميم أن يردوا الغزو عن أنفسهم وانسحبت بنو عبس، فخرجت ورائهم مجموعة من الفرسان ولم يتصدى لهم إلا عنزة لوحده، ورجع لقومه سليماً فقال سيدهم قيس: ما حى القوم إلا ابن السوداء، فساء هذا القول عنزة كثيراً وأحزنه جداً، فقال على إثره هذه الأبيات.

طال الثواء على رسوم المنزل * ١ * بين اللُكَيْكِ وبين ذاتِ الحرْمَلِ

فوقفت في عرصاتِها متحيراً * ٢ * أسأل الديارَ كفعل من لم يذهلِ

لعبت بها الأنواء بعد أنيسها * ٣ * والرامساتُ وكل جونٍ مُسبِلِ

لقد طالت مدة الثواء أي: الإقامة على رسوم أي: آثار وبقايا منازل الأحاب التي بين منطقتي اللُكَيْكِ وذاتِ الحرْمَلِ، وقد وقفت في عرصات أي: ساحات هذه الديار متحيراً بحزني على فراق الأحاب، وأظل أسأل الديار عنهم باستمرار وحالي كحال من لم يذهل أي: لم يكف ويترك

السؤال والأمر برمته، وللأسف فقد لعبت الأنواء أي: الأمطار بملامح آثار
الديار هي والرامسات أي: الرياح، وكل جونٍ مسبل أي: السحب السوداء
المحملة بالأمطار الكثيفة.

أَقْمِنُ بِكَاءِ حَمَامَةٍ فِي أَيْكَةٍ * * ٤ * نَزَفْتُ دَمُوعَكَ فَوْقَ ظَهْرِ الْمِحْمَلِ
كَالدَّرِّ أَوْ فَضْضِ الْجُمَانِ تَقَطَّعَتْ * * ٥ * مِنْهُ عَقَائِدُ سَلَكِهِ لَمْ يُوَصَّلِ

فما الذي دعاك للبكاء يا عنتره؟ أهو صوت بكاء الحمام على الأيك أي:
الأشجار الملتفة الغصون، لما سَمِعْتُهُ فاضت دموعك من عينيك
وانسابت على ظهر المحمل أي: الدابة التي يُحمَلُ عليها المتاع، فكانت هذه
الدموع من الدُرِّ أي: اللؤلؤ أو قطع متناثرة من الجُمَانِ أي: حب من
الفضة مثل اللؤلؤ، تقطعت من سلكٍ عقدٍ لم يتم وصله.

لَمَّا سَمِعْتُ دَعَاءَ مَرَّةٍ إِذْ دَعَا * * ٦ * وَدُعَاءَ عَبْسٍ فِي الْوَعْيِ وَمُحَلَّلِ
نَادَيْتَ عَبْساً فَاسْتَجَابُوا بِالْقَتْلِ * * ٧ * وَبِكَلِّ أَبْيَضٍ صَارِمٍ لَمْ يَنْجَلِ
حَتَّى اسْتَبَاحُوا آلَ عَوْفٍ عُنُوءَةً * * ٨ * بِالْمَشْرِفِيِّ وَبِالْوَشِيحِ الذُّبُلِ

وعندما سمعت دعاء مرة أي: بنو مرة -وقد كانوا حلفاءً لتميم ضد
عبس- وسمعت بني عبس ينادون جميعاً للحرب والقتال، قمت منادياً في

بني عبسٍ أن انفروا، فاستجابوا لندائي بالقنا أي: الرماح وبكل سيفٍ قاطعٍ لم ينجلٍ أي: لم ينقص من سُمكِه شيء، حتى استباح القوم أموال وأنعام آل عوفٍ عُنوةً أي: بالقوة والقهر، فقد غلبوهم بالمشرفي أي: السيف والوشيج الذبل أي: الخشب الذي تُصنع منه الرماح، وأريد به الرماح نفسها.

إني امرؤٌ من خير عبسٍ منصباً * ٩ * شطري وأحمي سائري بالمنصل
إن يُلحِقُوا أَكْرُرُ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا * ١٠ * أَشَدُّ وَإِنْ يُلْفُوا بِضْنِكَ أَنْزِلْ
حين النزول يكون غايةً مثلنا * ١١ * ويفر كلُّ مُضَلِّ مُسْتَوْهِلٍ

فأنا رجلٌ كريمٌ من خيار بني عبسٍ ومنصبي عالٍ رفيع الشأن، وشطري أي: نسبي من ناحية أبي كريمٍ مرتفع، وأحمي سائري أي: نسبي من ناحية أمي من كل سفيهٍ أو جاهلٍ يتناول عليه، أما بني عبسٍ إذا ما كانوا في حربٍ ولحقهم الأعداء، أُسرِعُ إليهم لأدافع عنهم، وإن تلاحم الفريقان واشتبكا أشدُّ أي: أُقاتِلُ الأعداء بقوةٍ وشجاعة، وإن يُلْفُوا بني عبسٍ أي: يحاطوا ويبتلوا بضائقةٍ وضنكٍ في الحرب، أنزلُ إليهم وأكون عوناً لهم،

وإن النزول في الحرب للقتال لهو غاية الشجعان من أمثالنا، ويفر منه كل جبانٍ مضللٍ يتيه في الجهل والحيرة.

ولقد أبيت على الطوى وأظله * ١٢ * حتى أنال به كريم المأكلي

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت * ١٣ * أفيث خيراً من معم مخول

وإني رجلٌ قد أبيت اليوم والليلة على الطوى أي: الجوع لا أكل شيئاً، حتى أنال شرف النفس وكريم المأكلي إذا أكلت فيما بعد، وإذا الكتيبة أي: الفرقة من الفرسان أحجمت أي: تراجعت وجبنت في الحرب، وجدتني خيراً من الذين يتفاخرون بكرم أنسابهم من العم والخال، ويعرضون بأن نسبي هجين.

والخيل تعلم والفوارس أني * ١٤ * فرقت جمعهم بطعنة فيصل

إن لا أبادر في المضيق فوارسي * ١٥ * ولا أوكل بالرعيل الأول

وراكبي الخيل من جيوش الأعداء وبالأخص الفرسان الأشداء منهم، يعلمون تمام العلم أنني عند ملاقاتي للكتيبة الواحدة فيهم، فرقت جمعها عن طريق قتل قائدهم، فكانت طعنة فيصل أي: فاصلة لا تردد

بعدها، وذلك لأنني فارسٌ شجاعٌ عندما يكون قومي مولين هارين لا
أسابق معهم في مضمار الهرب، ولكن أتأخر عنهم لأحميهم، ولا أكون أبداً
من الرعيل الأول أي: أول من يهزم من القوم.

ولقد غدوت أمام رايةٍ غالبٍ * ١٦ * يومَ الهياج وما غدوت بأعزل

بكرتُ تخوفني الحتوف كائني * ١٧ * أصبحتُ عن عرض الحتوف بمعزل

فأجبتُها إن المنية منهل * ١٨ * لا بد أن أسقى بكأس المنهل

فاقتني حياءك لا أبالك واعلمي * ١٩ * أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

وفي ساعة هياج أي: اشتداد الحرب وازدياد حدة القتال، كنت صاحب
الراية المنتصرة الغالبة، وكنت حاملاً سلاحي غير أعزل ولم أهرب كالذين
هربوا، وها هي الحتوف أي: المهالك تحاول أن تبت الخوف والرعب في
داخلي، ألا يعلم من يخاف موارد الموت أنها مثل موارد الماء لا غنى عنها
ولا بد قادمة، لذلك أجبت تلك الحتوف أن اقني أي: امتلكي بعض
الحياء، وكفي عن تخويفي وإرهابي، فأنا رجلٌ إن لم يكن موتي عن طريق
القتل سأموت موتاً عادياً، ولن أموت إلا في ساعتي فلا داعي للخوف.

إنَّ المنية لو تُمَّتْ لَمُتَّتْ * ٢٠ * مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنما * ٢١ * تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظل
وإذا حَمَلْتُ على الكريهةِ لم أقل * ٢٢ * بعد الكريهةِ ليتني لم أفعل
وإن المنيةُ أي: الموت في ساعة الحرب وهي مشتدة والفرسان في ضنك
وضيقٍ شديد، لو تَصَوَّرْتَ وَتَمَثَّلْتَ بصورة إنسان لكانت مثل صورتني
وشكلي وذلك لشدتي وكره أعدائي لي، وفي ساعات الحرب يكون أصحاب
الخيل ساهمون أي: متعبون ويأثسون من شدة القتال، إذا نظرت إليهم
تحسب أنهم قد شربوا من شراب الحنظل الذي هو شديد المرارة، أما أنا
إذا حَمَلْتُ: أكرهت نفسي على الدخول في حربٍ، فأنا على قدر المسؤولية
وأبداً لا أتراجع ولا أعض أصابعي من الندم، على دخولي في حربٍ وجدت
بعد ذلك شدتها وصعوبتها، ولم أقل ليتني لم أفعل.

﴿دموع في الخدود﴾

قال عنتره هذه القصيدة من جملة القصائد التي قالها في صباه.

دُموعٌ في الخدودِ لها مَسيلٌ * ١ * وعينٌ نَوْمُها أبداً قَليلٌ

وصبُّ لا يَقْرُّ له قَرارٌ * ٢ * ولا يَسْلُو ولو طال الرَّحيلُ

ما وصف حالي إلا كالاتي: فأنا رجلٌ امتلأت عينه بالدموع وسالت بكثرة من على الخدود، وعيني لم تذق طعم النوم ولا تنال منه إلا القليل، فحالي حال صبٍ أي: عاشقٍ لا يستقر له قرارٌ أي: لا تستقر نفسه على راحة بال، فهو دوماً مضطرب ولا يسلوا أي: يتسلى عن مفارقة الأحباب أبداً مهما طال الابتعاد عنهم، ذلك الابتعاد الذي من شأنه أن يخفف من وطأة الشوق.

فكم أبكي بإبعادٍ وبينٍ * ٣ * وتشجيني المنازل والطلول

وكم أبكي على ألفِ شجاني * ٤ * وما يُغني البكاء ولا العويل

تلاقينا فما أطفئ التلاقي * ٥ * لهيباً، لا ولا بَرَدَ الغليلِ

فكم من مرة أبكي بكاءً شديداً بسبب بعد الأحباب وبَيْنِهِمْ أي: ابتعادهم
واغترابهم، وتشجيني أي: تصيبني بالحزن تلك المنازل والطلول أي: آثارها
وبقاياها التي كان يسكن فيها الأحباب، وأتذكرهم كلما نظرت إليها فيزداد
حزني ويشتد بكائي على إلفِ أي: حبيبِ أحزني بعده عني، ولكن لا يفيد
البكاء في شيء ولا يغني العويل أي: شدة البكاء، وقد تلاقيت أنا والمحبوب
بعد فراقٍ واشتياق فما أطفأ هذا اللقاء لهيب العشق في داخلي، وما برد
الغليل أي: مشاعر العشق الملتهبة في قلبي.

طَلَبْتُ مِنَ الزَّمَانِ صَفَاءَ عَيْشٍ * ٦ * وَحَسْبُكَ قَدْرُ مَا يُعْطَى الْبَخِيلُ

وَمَا أَنَا مَيِّتٌ إِنْ لَمْ يُعْنَى * ٧ * عَلَى أَسْرِ الْهُمَى الصَّبْرُ الْجَمِيلُ

وقد طلبت من الزمان وتمنيت عليه أن أحيا حياةً طيبةً وأعيش عيشةً
صافيةً لا كدر فيها ولا غم، ولكن حالي وحاله كحال من يسأل العطاء
من البخيل فحسبك أي: يكفيك ما يعطي الزمان فما عطاؤه إلا كعطاء
البخيل، وإن لم يكن الصبر الجميل عوناً لي على التحكم في هواي وفي
عشقي فأنا ميت لا محالة، إذ لا طاقة لي على تحمل كل هذه النيران
الملتهبة في قلبي جرّاء عشقي.

﴿حَكْمُ سَيْفِكَ﴾

قال عنتره هذه القصيدة عندما أغاروا على بني حريقة.

حَكْمُ سَيْفِكَ فِي رِقَابِ الْعُدْلِ * ١ * وَإِذَا نَزَلَتْ بِدَارِ نُدٍّ فَارْحَلِ

وَإِذَا بُلِّيتَ بِظَالِمٍ كُنْ ظَالِمًا * ٢ * وَإِذَا لَقِيتَ نَوِي الْجَهَالَةِ فَاجْهَلِ

إذا ما كُنتَ فارساً شديداً البأس ماضي السيف فلا تُحَكِّم أي: تضع سيفك إلا فوق رقاب العُدل أي: الحاسدين واللائمين، الذين لا يتمنون لك إلا كل سوء وشر لذا هم أحق بسيفك، وإذا كنت في موضع فيه ذل لك فاتركه فوراً ولتؤثر كرامتك وعزة نفسك، وارحل عن مواطن الذل والهوان، وإذا ما بلاك الزمان وتسلب عليك أحد الظالمين فعامله بنفس الظلم الذي يعامل الآخريين به، وإذا ما تسلط عليك أصحاب الجهالة والسفاهة، فلا تعاملهم إلا بجهالتهم لتذيقهم من الكأس التي يسقون الناس منها.

وَإِذَا الْجَبَانُ نَهَاكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ * ٣ * خَوْفًا عَلَيْكَ مِنْ أَرْحَامِ الْجَحْفَلِ

فَاعْصِ مَقَالَتَهُ وَلَا تَحْفَلْ بِهَا * ٤ * وَاقْدِمِ إِذَا حَقَّ اللَّقَا فِي الْأَوَّلِ

وإذا جاءك أحد الجبناء في يوم الكريهة أي: الحرب ونهاك عن الخوض فيها والقتال والمدافعة، خوفاً من ازدحام الجحفل أي: ازديدا العدد الكبير من جيوش الأعداء، فاعصه فيما يقول لك بل لا تحفل أي: لا تعباً ولا تهتم بما يقول، وسرّ قُدماً عند التقاء الصفوف ولا تكن إلا في صفوف المقاتلين الأولى.

وَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ مَنْزِلًا تَعْلُو بِهِ * ٥ * أَوْ مُتْ كَرِيماً تَحْتَ ظِلِّ الْقَسْطِ

فَالْمَوْتُ لَا يُنْجِيكَ مِنْ آفَاتِهِ * ٦ * حَصِّنْ وَلَوْ شَيْدَتَهُ بِالْجَنْدِلِ

مَوْتُ الْفَتَى فِي عِزَّةٍ خَيْرٌ لَهُ * ٧ * مِنْ أَنْ يَبِيَّتَ أَسِيرَ طَرْفٍ أَكْحَلِ

وكن دقيقاً في انتقاء الكلمات وفي صدور الأفعال التي قد ترفع من قدرك أو تحط منه، فمن خلالها تختار لنفسك منزلةً ومكانةً تعلوا بها بين الناس، وإن لم تستطع تَخَيَّرَ المنازل فَأَكْرَمُ لَكَ أَنْ تَمُوتَ شَرِيفاً حَمِيد الخُلُقِ والقول، تحت ظل القسط أي: غبار الحرب المتصاعد، والموت لا بد قادمٌ وإذا ما أتى لا تستطيع النجاة من أياديه، حتى لو كنت في حصنٍ مشيد بالجنديل أي: الصخور العظيمة في الحجم، ولا شئ أفضل من

الموت عزيز النفس، فإن الموت في عزة خيرٌ للمرء من أن يبيت عبداً
لعشقي تَمَلَّكُهُ لِطَرْفِ أَي: عين حسناء مكحلة.

إِنْ كُنْتُ فِي عَدَدِ الْعَبِيدِ فَهَمَّتِي * ٨ * فَوْقَ الثَّرِيَا وَالسَّمَاءِ الْأَعَزَلِ

أَوْ أَنْكَرْتَ فُرْسَانَ عَبَسَ نِسْبَتِي * ٩ * فَسَنَانُ رُمَحِي وَالْحُسَامُ يُقِرُّ لِي

وَبِذَا بِلِي وَمُهَنْدِي نَلْتُ الْعُلَا * ١٠ * لَا بِالْقَرَابَةِ وَالْعَدِيدِ الْأَجْزَلِ

وإن كنتُ أُحسب وأُعدُّ من جملة العبيد فإن لي همّةً عاليةً بلغت من
ارتفاعها، أن فاقت علو الثريا أي: النجوم وارتفعت فوق السماء الأعزل
وهو نجمٌ معروف عند العرب بهذا الاسم هو ونجم آخر يُسمّى بالرامح-
وإذا أنكر فرسان بني عبس نسبي إليهم، فإن لي شهوداً هم سيفي ورمحي
يُقرُّون لي بفروسي ونسبتي للأبطال والشجعان، وبِذَا بِلِي أي: رمحي
ومهندي أي: سيفي اللذان أقاتل بهما نلت المكانة العالية والشرف
الرفيع، ولم أنلهما بقربةٍ إلى أحدٍ ولا بالعديد الأجزل أي: الكثير من
الرجال والتابعين.

وَرَمِيْتُ مُهْرِي فِي الْعَجَاجِ فَخَاضَهُ * ١١ * وَالنَّارُ تَقْدَحُ مِنْ شِفَارِ الْأَنْصُلِ

خَاضَ الْعَجَاجُ مُحَجَّباً حَتَّى إِذَا * ١٢ * شَهِدَ الْوَقِيعَةَ عَادَ غَيْرَ مُحَجَّبِ

وقد ركبت خيلي ورميت به وبنفسي في العجاج أي: غبار الحرب فخاضه
أي: اخترقه بكل شجاعة، وتكاد ترى النار تشتعل من سفار أي: أطراف
الأنصل أي: الحديد المسنون في السهم والرمح، أما فرسي فقد اخترق
غبار الحرب وهو مُحَجَّل أي: في قدمه بياض وصار يَكِرُّ وَيَفِرُّ، وبعد أن
شهد المعركة عاد منها وهو غير مُحَجَّلٍ إذ صارت قدمه سوداء من لون
الدم والوحل.

وَلَقَدْ نَكَبْتُ بَنِي حَرِيقَةَ نَكْبَةً * ١٣ * لَمَّا طَعَنْتُ صَمِيمَ قَلْبِ الْأَخِيلِ

وَقَتَلْتُ فَارِسَهُمْ رَبِيعَةَ عُنُوءَ * ١٤ * وَالْهَيْذَبَانَ وَجَابِرَ بْنَ مُهْلَهْلِ

وَابْنِي رَبِيعَةَ وَالْحَرِيشَ وَمَالِكًا * ١٥ * وَالزَّبْرُقَانَ غَدَا طَرِيحَ الْجَنْدَلِ

ولقد نكبت أي: ألحقت المصائب والضرر ببني حريقة وجعلتهم في همٍّ
وَدُعِرٍ عندما قابلني فرسانهم، فقاتلتهم وطعنت قلب الأخيل أي: المتكبر
فيهم والمغتر بنفسه، وقتلت من فرسانهم المبرزين ربعة وولداه والهيذبان
وجابر بن مهلهل والحريش ومالك، وكلهم أبطالٌ في قومهم لهم شأن
ومكانة، وتركتهم كذا الزبرقان صار مطرحا على الجندل أي: الصخور
الكبيرة، جثة هامة لا حول له ولا قوة.

وأنا ابنُ سوداءِ الجبينِ كأنَّها * ١٦ * ضبَعٌ ترعرَعُ في رُسومِ المنزلِ
الساقُ منها مثلُ ساقِ نعامةٍ * ١٧ * والشعرُ منها مثلُ حبِّ الفُلفلِ
والثغرُ من تحتِ اللثامِ كأنَّهُ * ١٨ * برقٌ تلاً في الظلامِ المُسدلِ
وأن ابن تلك المرأة السوداء التي تعايروني بها والتي هي كأنها ضبَعٌ تربي
ونشأ في بقايا المنازل المهجورة، فكانت نشأة شاقةً وعسيرةً وهذه المرأة
لها ساقٌ مثل ساق النعامة خفةً وسرعةً، في السعي عل معاشها ومعاش
من تعول، ولها شعرٌ مُتَلَوٌّ مثل حبِّ الفُلفلِ، ولها ثغرٌ أي: أسنانٌ إذا رأيتها
باديةً من تحت اللثام وجدتها تلمع كأنها برقٌ أضاء في وسط الظلام
المسدل أي: المنتشر الواسع.

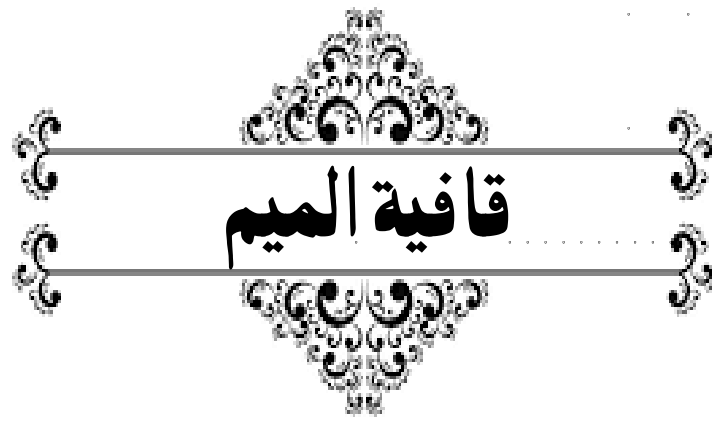
يانازلينَ على الحمى ودياره * ١٩ * هَلَّا رأيتُم في الديارِ تَقْلُقِي
قَد طالَ عَزُّكُمْ وَذُلِّي في الهوى * ٢٠ * وَمِنَ العَجائبِ عَزُّكُمْ وَتَذَلِّي
فيا أيها الأحباب النازلين في حمى بني عبسٍ والديار التي فيها، هَلَّا نظرتهم
إلى تَقْلُقِي أي: قلقي على المطلوب، فقد طال عزكم بمحبتتي وعشقي لكم
الذي هو عين الذل الذي أنا فيه، ويا أيها الملامن قومي النازلين في حمى

بني عبس، هَلَّا رَأَيْتُمْ قَلْقِي وَصَبْرِي إِلَى مَتَى تَنْكُرُونَ فَضْلِي وَتَجْحَدُونَ
نَسْبِي وَأَصْلِي، وَإِنَّهُ لَمَنْ الْعَجَائِبِ عِزُّ أَمْثَالِكُمْ وَذَلٌّ مِنْهُ هُوَ مِثْلِي.

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْحَيَاةِ بِذُّلِّهِ * ٢١ * بَلْ فَاسِقِنِي بِالْعِزِّ كَأْسِ الْحَنْظَلِ

مَاءَ الْحَيَاةِ بِذُّلِّهِ كَجَهَنَّمَ * ٢٢ * وَجَهَنَّمَ بِالْعِزِّ أَطْيَبُ مَنْزِلِ

فيا أيها الزمان لا أريد منك أن تهبني الحياة بالتذلل والمهانة، ولكن إن
شئت فارمني بكل مُرٍّ وعسيرٍ مثل كأس الحنظل ولكن وأنا عزيزٌ كريم،
فإن الحياة بالذل والمهانة مَثَلُهَا كَمَثَلِ جَهَنَّمَ وَإِنْ جَهَنَّمَ نَفْسُهَا بَعِزُّ
النفس وكرمها أطيب منزل.



قافية الميم

هل غاور الشعراء المعلقة

قال عنتره هذه القصيدة بعد أن اعترف به شداد ونسبه لنفسه، وكانت بسبب أنه كان جالساً في مجلسٍ مع القوم، فقام أحد بني عبسٍ وأهانته وعيَّره بأُمِّه وأنَّ له إخوةً عبيداً منها، فقام إليه عنتره وتفاخر عليه وذكر من صفاته الحميدة وأخلاقه، فقال له الرجل: أنا أشعرُ منك فقال عنتره: ستعرف ذلك، وأنشأ يقول هذه القصيدة.

هَلْ غَاوَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ * ١ * أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ
أَعْيَاكَ رَسْمِ الدَّارِ لَمْ يَتَكَتَمِ * ٢ * حَتَّى تَكَلَّمَ كَالأَصَمِّ الأَعْجَمِ
وَلَقَدْ حَبَسْتُ بِهَا طَوِيلًا نَاقَتِي * ٣ * أَشْكُو إِلَى سُنْفَعِ رَوَاكِدِ جَنِّمِ

هل ترك الشعراء السابقين أي غرضٍ للشعر من مدحٍ وذمٍّ وغيره ولم يتكلموا فيه، بل استوفوا كل الأغراض وردموها أي: أصلحوها وزادوا فيها، وهل يا عنتره استطعت أن تعرف لمن هذه الدار إلا بعد أن توهمت فيها، ولم تتعرف عليها في أول الأمر، لقد أعياك أي: حيرك أثر الدار الصامت الذي لم يدلِكَ على نفسه، حتى توهمت أنه ليس هو وما

تعرفت عليه إلا كما تعرف المعنى من الأصم الذي لا يتكلم أو الأعجم الذي لا تفهم لغته، وما ذلك إلا لصعوبة معرفة هذه الديار وهذه الآثار، أما هذه الديار التي هجرها أهلها كم كنتُ أربطُ فيها ناقتي عندما أتوقف عندها لأرى الأحباب، والآن صرتُ أشكوا فراقهم إلى السفح أي: الأحجار السوداء، التي كانت توضع عليها آنية طبخ الطعام.

يَا دَارَ عَيْبَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي * ٤ * وَعَمِّي صَبَاحًا دَارَ عَيْبَةٍ وَاسْتَلِمِي

دَارَ لَانِسَةٍ غَضِيضٍ طَرْفُهَا * ٥ * طَوَّعَ الْعِنَاقَ لَذِيذَةِ الْمُتَبَسِّمِ

فيا دار عيلة الموجودة في الجواء -وهو اسم موضعٍ في نجد- تكلمي وحدثيني بأخبار الأحبة، وكيف هي أحوالهم وأيامهم وانعمي صباحاً يا دار عيلة، ولتسلم أركانك من المحو والخراب، فهذه الدار ملكٌ لامرأةٍ حسنة تسكن فيها، ومن مظاهر جمالها أنه غضيضة الطرف أي: تكون عينيها مثل عين الذي به نعاس فتكون نصف مفتوحة، وهي امرأةٌ يسعد بها من يتزوجها ويأوي إليها، كما أنها حسنة المنظر عندما تبتسم فابسامتها حلوةٌ لذيذة.

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا * ٦ * فَدَنُّ لَأَقْضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ

وَتَحُلُّ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ وَأَهْلُنَا * ٧ * بِالْحَزْنِ فَالْصَّمَانِ فَالْمُنْتَلِمِ

وقد توقفت عند دار عبلة لأبكي ما بي من شوقٍ للأحباب وربطت فيها ناقتي، التي من ضخامتها كأنها فدنُّ أي: قصرٌ وظللت بالدار ماكثاً وحالي وحالها كحال المتلوم أي: الذي يُصرُّ على شخصٍ أو على شئٍ ويمكنك عليه إلى أن تُقضى حاجته، وأظل هكذا حتى تأتي عبلة وتحلُّ في أرض الجواء وتأنس بها، وأهلنا أي: قومنا ماكثون في أرض الحزن — وهي أرضٌ لتميم- والمتلثم- أرضٌ لميم كذلك وعندهما جبل الصمان.

حَيَّيْتُ مِنْ طَلَلٍ تَقَادِمَ عَهْدُهُ * ٨ * أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثِمِ

حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ * ٩ * عَسِيراً عَلَيَّ طَلَابُكَ ابْنَةَ مَخْرَمِ

عَلَّقْتُهَا عَرْضاً وَاقْتُلْ قَوْمَهَا * ١٠ * زَعَمًا لَعَفْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِمَرْعَمِ

فحياءك الله أيها الطلل من ديار الأحبة الذي تقادم أي: طال عهده وزمنه، ولكنه أقوى وأقفر أي: هجره أهله وصار خالياً لا سكان فيه، بعد ما كان معموراً بأم الهيثم وهي المحبوبة، وقد حلَّتْ وقدمت بأرض الزائرين أي: قومها وهم أعداء عنتره، فصار طلب وداذك ورؤيتك عسيراً عليَّ يا ابنة مخرم، ولقد علَّقَ بي عشقها وأصابني محبتها عرضاً أي:

بدون قصدٍ مني، ولكن ما أزعمُهُ من محبتي لها ليس له صدقٌ وبُرهانٌ
فيها انا اقتل قومها، فلذلك أصبح زعمي زعماً باطلاً.

وَلَقَدْ نَزَلْتُ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ * ١١ * مَنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ

كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا * ١٢ * بِغُنَيْرَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْغَيْلِمِ

ولقد نزلت بهذه الدار وأقمت فيها فلا يساورك الشك وتظني أن غير هذا
المنزل وهذا الربع أعز إلي قلبي منه وأقرب إلى نفسي منه، فكيف تكون
الزيارة التي تسر القلب بروية الأحباب وأهل الدار قد تركوها وتربعوا أي:
استقروا، بمكانٍ شديد البعد عني في أرض الغيلم.

إِنْ كُنْتُ أَرْمَعْتِ الْفِرَاقَ فَاتِمَا * ١٣ * زُمَّتِ رِكَابُكُمْ بِأَيْلٍ مُظْلِمِ

مَا رَاعَنِي إِلَّا حَمُولَةٌ أَهْلُهَا * ١٤ * وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الْخَمِيمِ

لذا فإن كنتِ قد أرمعتِ أي : نويتِ الفراق رغم ما يحمله من آلام، فقد
قام أهلكِ بالفعل بزِم أي: تجهيز الركاب للسفر أثناء الليل المظلم،
فساءني ذلك وما راعني أي: أهمني وأشغلي إلا المحبوبة التي حُمِلت على

هذه الركاب، وهي الآن سائرة في طريقها تسف أي: تلتقط بفمها حب الخمخ وهو: نبات شوكي يكون في الصحاري.

فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حُلُوبَةً * ١٥ * سُودًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ
إِذْ تَسْتَبِيكَ بِأَصْلَتِي نَاعِمٍ * ١٦ * عَذْبٍ مُقْبَلُهُ لَذِيذِ الْمَطْعَمِ

وهذه الركائب التي رحلت عن هذه الديار والتي يملكها أهل المحبوبة، كثيرة العدد فهي تحوي اثنتان وأربعون ناقة حلوبة من النوع الأسود الذي هو شديد الندرة، فما بالك بباقي النوق التي لديهم، وهذه النوق الحلوبة كانت شديدة السواد مثل خافية الغراب أي: أطراف الريش الأسود من الغراب الأسحم أي: الأسود، أما المحبوبة فإنها بلغت من الجمال أنها تأسر عقلك بأصليتي أي: سيف ناعم -ويقصد الشفاه- وهو حلو المذاق لذيد المطعم.

وَكَأَنَّهَا نَظَرْتُ بِعَيْنِي شَادِنٍ * ١٧ * رَشَاءٍ مِنَ الْغَزْلَانِ لَيْسَ بِتَوْأَمٍ
وَكَأَنَّ فَأْرَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيمَةٍ * ١٨ * سَبَقَتْ عَوَارِضَهَا إِلَيْكَ مِنَ الْقَمِ

وإذا ما رأيتُ المحبوبةً ماثلةً فكأنني رأيتُ أمام ناظري شادنًا أي: وليد الغزال الذي وقف على قدميه تواءً، فهو يبدووا حسناً جميل المظهر، ومن كمالات حسنه أنه رَشَأُ أي: شديد الحسن وقد وُلِدَ وحده دون شريك له في بطن أمه فكانت خِلْقَتُهُ تامةً حسنةً، وإذا شممتُ أنفاس المحبوبة فكأنني أمام فأرة أي: رَشَاشَةٍ عَطِرٍ تاجرٍ يحمل العطر معه في القسيمة أي: ما يُحْمَلُ فيها العطور، وقد سارعت هذه الرائحة الطيبة إلى أنفي وقد خرجت من فم المحبوبة.

أَوْ رَوْضَةً أَنْفَاءً تَضَمَّنَ نَبَاتَهَا * ١٩ * غَيْثٌ قَلِيلٌ الدِّمَنِ لَيْسَ بِمُعْلَمٍ
جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ * ٢٠ * فَتَرَكُنْ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالَّذِرْهِمِ
سَعَاءً وَتَسْكَابًا فَكُلُّ عَشِيَّةٍ * ٢١ * يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ

وإن جمال عطر أنفاس المحبوبة مثل الروضة أي: الحديقة من الزرع، التي تَضَمَّنَ أي: تولى رعاية نباتها وسقايته غيثٌ مطرٌ من السماء، وهذه الروضة قليلة الدِمَنِ أي: النبات المتعفن وذلك لقلّة من يَطَأُ هذه البقعة، فهي في موضعٍ غير معلوم فهذه الحديقة قد جادت عليها كل عين ماءٍ ثرية بما فيها، فأصبحت البحيرة في الحديقة في بياض لونها

واستدارتها مثل شكل الدرهم، وما ذلك إلا لأن الماء يَسْحُ فيها وينسكب
في كل يومٍ وليلةٍ لم يَتَصَرَّمْ أي: ينقطع، وكل ذلك من مظاهر حسنها
وجمالها.

وَخَلَا الذُّبَابَ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ * ٢٢ * غَرِدًا كَفَعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ * ٢٣ * قَدَحَ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ

وهذه الروضة الطيبة بلغت من روعتها ومهائها أن صار الذباب يألفها
ويهوئ الحياة فيها فهو غير بارح أي: تاركٍ إياها، ويظل فيها مغرداً أي:
مغنياً وحاله كحال الذي أفرط في الشراب فيظل يغني ويترنم بدون وعيٍ
وإدراك، ويغني الذباب فيها هزجاً أي: يمدد في الصوت ويجوده ويحك
ذراعه بالأخرى، فأصبح في صورته هذه مثل رجلٍ أجزم أي: مقطوع
اليدين يمسك بالزناد أي: العصا بما تبقى من ذراعيه، ويقوم بلفها
ليشعل بها النار.

تُمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ * ٢٤ * وَأَبَيْتُ فَوْقَ سَرَاةِ أَدْهَمِ مُلْجَمِ

وَحَشِيَّتِي سَرْجٌ عَلَى عَيْلِ الشَّوَى * ٢٥ * نَهْدِ مَرَاكِلَهُ نَبِيلِ الْمُحْزَمِ

وهذه المحبوبة لا يليق بها أقل من حياتها المترفة التي تحياها، فهي تسمي وتصبح على ظهر حَشِيَّة أي: فراشٍ ناعمٍ مريح، أما أنا فأمسي وأصبح فوق ظهر حصانٍ أدهمٍ أي: أسودٍ ملجَم، وما فراشي الذي أنام عليه إلا سرجٌ مربوطٌ على الشَّوى أي: الموضع في الفرس الذي يركله الفارس بمؤخر قدمه، وهذا الموضع نهد المراكل أي: كبير الحجم ونبيل المحزَم أي: موضع ربط حزام السرج في الفرس.

هَلْ تُبَلِّغُنِي دَارَهَا شَدَنِيَّةٌ * ٢٦ * لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّم

خَطَّارَةٌ غِيبَ الشَّرَى زِيَاةٌ * ٢٧ * تَطْسُ الْإِكَامَ بِذَاتِ خُفِّ مَيْثِم

وَكَأَنَّمَا أَقِصَ الْإِكَامَ عَشِيَّةٌ * ٢٨ * بِقَرِيبِ بَيْنِ الْمَنَسَمِينَ مُصَلِّم

فهل تحملي على ظهرها وتوصلني إلى دارها شَدَنِيَّةٌ أي: ناقةٌ من وصفها أنها قد انقطع اللبن من ضرعها، فكان هذا القطع أَدعى لقوتها ونشاطها، ولكنه عيبٌ لُعِنَتْ أي: سُبَّتْ بهِ، وهذه الناقة خَطَّارَةٌ أي: تهز ذيلها يمنةً ويسرةً أثناء سيرها دلالةً على نشاطها، فهي تُزَيِّفُ أي: تقطع الطريق بسرعةٍ أثناء المسير بالليل، ومن قوتها أنها تَطْسُ أي: تطأ الإكام أي: الصخور التي يصعب السير فيها بخفٍّ مَيْثِم أي: شديد الوطئ والقوة،

وعندما أرى هذه الناقة على هذه الصورة كأنني أرى ذكر النعام الذي هو شديد السرعة، ومن صفاته أنه قريبٌ بين المنسمين أي: أقدامه قريبةٌ جداً من بعضها، كما أنه مُصلِمٌ أي: مقطوع الأذن.

تَأْوِي لَه قُلُوصُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ * ٢٩ * حِرْقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمِ طَمْطِمِ

يُنْبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ * ٣٠ * حِدْجٌ عَلَى نَعَشٍ لَهْنٌ مُخَيِّمِ

صَعْلٍ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَةِ بَيْضَهُ * ٣١ * كَالْعَبْدِ ذِي الْفَرَوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ

وذكر النعام هذا تأوي وتلتف حوله قُلُوصُ أي: جُمُوعُ النعام فكانت في صورتها هذه كصورة حِرْقِ أي: جموعٌ أيضاً، ولكن من أهل اليمن تلتف حول رجلٍ أَعْجَمَ طَمْطِمِ أي: لا يُفهِمُ من قوله شئ -ذلك أن أهل اليمن قريبين من الأحباش الذين هم أعاجم، وقد ذكر ذلك الخطيب التبريزي في شرحه- وهذه الجموع من النعام يسيرون خلف هذا الأعجم ويتبعون قُلَّةَ رَأْسِهِ أي: مُرْتَفَعَ رَأْسِهِ وذلك كنايةً عن طوله، وهو في قامته هذه كأنه جالسٌ على نعشٍ محمولٍ وفوقه خيمة يتظلل بها، أما ذكر النعام المقطوع الأذن هذا يعود أي: يزور ويتعهد بَيْضاً له في موضع يُسَمَّى ذُو الْعُشَيْرَةِ، وحاله كحال العبد الأصلم أي: مقطوع الأذن الذي

يرتدي الفرو فوق ملبسه، فقلق هذا الظليم أي: ذكر النعام على بيضه يدفعه للإسراع في الوصول إليه، وذلك حال الناقة التي يركبها عنتره.

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرِضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ * ٣٢ * زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلِمِ

وَكَأَنَّهَا تَنْأَى بِجَانِبِ دَفِّهَا الـ * ٣٣ * وَحُشِيِّ مَنْ بَعْدَ مَخِيلَةٍ وَتَرْغَمِ

هَرٌّ جَنِيبٍ كُلَّمَا عَطَفَتْ لَهُ * ٣٤ * غَضْبَى اتَّقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْفَمِ

أَبْقَى لَهَا طَوْنَ السَّفَارِ مُقَرَّمَدًا * ٣٥ * سَنَدًا وَمِثْلَ دَعَائِمِ الْمُتَخَيِّمِ

وعندما بلغت بي الناقة ماء الدُّحْرِضَيْنِ وهما عينا ماء لبني سعد، شربت من هذا الماء صارت الناقة زوراء أي: باديةً ظاهرةً تَنْفِرُ أي: تدافع عن حياضها كدفاعها ضد الديلم وهم: طائفة من الأتراك ضربهم عنتره مثلاً للأعداء، ثم هذه الناقة إذا رأيتهما وهي تختال في مشيتها كأن هناك قِطٌّ يسير بجانبها الأيسر فدفعتها إلى أن تميل إلى دَفِّهَا أي: جانبها الوحشي أي: الأيمن بسرعة وتزغم أي: نشاط، وكلما مالت عليه الناقة لتزيحه عنها قابلها بمخالبه وأنيابه، وقد بلغت من قوة تحملها وصبرها من طول السفر والعناء أن صارت من بعده كبيتٍ بارز القراميد أي: الطوب

مشيد البنيان، لعظم حجم الناقة وضخامتها وهذا البيت له دعائم
تُنصَبُ عليها الخيام.

بَرَكَتْ عَلَى مَاءِ الرَّدَاعِ كَأَنَّهَا * ٣٦ * بَرَكَتْ عَلَى قَصَبِ أَجَشِّ مُهَضَّمِ

وَكَأَنَّ رَبًّا أَوْ كُحَيْلًا مُعْقَدًا * ٣٧ * حَشَّ الْوُقُودُ بِهِ جَوَانِبَ قُمُقِمِ

يُنْبَاعُ مِنْ نِفْرَى غَضُوبِ حُرَّةٍ * ٣٨ * زِيَاةٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُقَرَّمِ

وبعد أن وقفت الناقة على عين الماء حريصةً كأنها تدافع عنها ضد عدوٍ
قويٍّ، بركت عليه بلهفةٍ لتشرب منه وتروي ظمأها كأنها بركت على
قصبٍ أي: حنين، وهو الصوت الذي تصدره الناقة عند شوقها أو حزنها
على ولدها، وهو صوتُ أَجَشِّ مُهَضَّمِ أي: به خشونةٌ وقوّة، وإذا رأيت
صورتها وهي مُجهدَةٌ يسيل العرق منها، كأنك ترى رَبًّا أَوْ كُحَيْلًا مُعْقَدًا أي:
قطراناً مطبوخاً، وذلك لأن عرق الناقة عند سيلانه من قُمُقِمِها أي:
قفاها يكون لونه أسوداً مثل القطران، ثم يَصْفَرُّ بعد أن يببس فهو عرقٌ
ينباع أي: يسيل من قفا ناقةٍ غُضُوبٍ أي: بها غضبٌ كنايةً عن نشاطها،
حُرَّةٍ أي: كريمة الأصل زيافةٌ أي: تقطع الطرق بسرعةٍ مثل الفنيق المُقَرَّمِ
أي: فحل الإبل الذي عوفي من الحمل عليه لكرمه وأصالته.

إِنْ تُغْدِفِي نُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي * ٣٩ * طِبُّ بِأَخَذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْتِمِ

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي * ٤٠ * سَمَّحٌ مُخَالِقَتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمِ

فَإِذَا ظَلَمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌ * ٤١ * مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ الْعَلْقَمِ

فيا أيها المحبوبة اعلمي أنك لو أرسلتي أي: أسدلتى القناع على وجهك وجعلتيه حائلاً بيني وبين رؤيته، فإنني طِبُّ أي: خبيرٌ ولطيفٌ بمثل هذه الأحوال، وأعرف كيف أتعامل مع الفارس المستلتم أي: الذي كسا نفسه بالدروع، ومن ثمَّ فَلَكِ أَنْ تُثْنِي عَلَيَّ أي: تمدحيني بما عرفتيه عني وعلمتيه علم اليقين من شمائي، فأنا رجلٌ سمحٌ مخالقتي أي: حسن المعشر والمعاملة مع الناس إلا إذا تعرضت للظلم، ففي هذه الحالة أرد عليه بظلمٍ باسلٍ أي: شديدٍ لا قوة لأحدٍ به، لأن مذاقه شديد المرارة مثل مذاق العلقم وهو: نبات الحنظل الذي يعرف عنه أنه شديد المرارة.

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ بَعْدَمَا * ٤٢ * رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشُوفِ الْمُعْلَمِ

بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أُسْرَةٍ * ٤٣ * قُرْنَتْ بِأَزْهَرِ فِي الشَّمَالِ مُفَدَّمِ

فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ * ٤٤ * مَالِي وَعَرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكَلِّمْ

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى * ٤٥ * وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي

ولقد شربت في حانة الساقى من المدامة أي: الخمر المعتقة، وذلك في الوقت الذي ركذ فيه الهواجر: أي: وقت الظهيرة، وأنا بالمشوف أي: ملابسي البارزة المعلم أي: المميزة، وقد شربت هذه المدامة من زجاجة صفراء نظراً للون الخمر فيها، وكانت مقرونة أي: مصاحبة لـ أزهر أي: إبريقٌ كامنٌ في يسار الساقى وهو مُفدَم أي: على فتحته قطعة قماش تغلقها، وعند شربي الخمر إذا ما سكرت فأنا أهلك مالي أعطية لهذا وذلك وللساقى كذلك، إلا أن عرضي وحسبي وشرفي وافرٌ سليمٌ معافي لم يُكلم أي: يجرح ويُمسُ بسوء، وفي حال صحوي لا أُقصرُ أبداً عن ندى أي: الكرم والأعطيات فالكرم والجود ملازمان لي في حال سكري وصحوي، ولقد علمت يا عبلة شمائي أي: أخلاقي وإكرامي لغيري وجودي للناس.

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً * ٤٦ * تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ

سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَغْنَةٍ * ٤٧ * وَرَشَّاشِ نَافِذَةٍ كَلَوْنَ الْعُنْدَمِ

وكم من مرّة قام لمحاربتى حليلُ غانيةٍ أي: رجلٍ متزوج من امرأة شابة، فقاتلته وتركته مجدلاً أي: مطروحاً على الأرض مهزوماً تمكو فريصته أي:

تهتز مؤخرة ظهره، ويخرج منها دمه ولها صوتٌ مثل شفق الأعمى وهو:
الصوت الذي يخرج من أشفار أي: أطراف شفاه البعير، فهذا الرجل قد
سبقت يداي إليه بطعنة نافذةٍ اخترقت جسده فخرج الرشاشُ أي: الدم
من جسده، ولونه مثل لون العندم وهو: خشبٌ يُستخرجُ منه صبغات
للأقمشة.

هَلَا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ * ٤٨ * إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

إِنْ لَا أزالَ عَلَى رِحَالَةٍ سَابِحٍ * ٤٩ * نَهْدٍ تَعَاوَرَهُ الْكُمَاةُ مُكَلَّمِ

طَوْرًا يُجَرِّدُ لِلطَّعَانِ وَتَارَةً * ٥٠ * يَأْوِي إِلَى حَصْدِ الْقِسِيِّ عَرْمَرِمِ

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيْعَةَ أَنْتِي * ٥١ * أَعْشَى الْوَعَى وَأَعْفَى عِنْدَ الْمَغْمِ

فهلأ قمتِ بسؤالِ الفرسان الذين يركبون الخيل في الحرب عني يا بنة
مالكٍ وعن بلائي وأحوالي إن كنتِ جاهلة بها، فأنا كنت ولا أزال في
الحرب راكباً على رحالة أي: سرجٍ سابحٍ أي: فرسي الذي من صفاته أنه
نهْدٌ أي: ضخم الهيئة تعاوره أي: يتبادل عليه الكمأة أي: شجعان الحرب
من هنا وهناك، وهو مكلم أي: مجروح فيكون تارةً صامداً أمام الطعان
من فرسان الأعداء وتارةً ينطلق إلى حصد القسي أي: رماة الأسهم

المتجمعين معاً ليقاتلهم وهم عرمرم أي: كثيرون في العدد، فعندئذٍ يقوم بإخبارك من شهد وقية الحرب معي بأني أغشى أي: أخطرق صفوف الحرب والوغي أي: أصوات الفرسان المتعالية فيها، وعند انتهاء الحرب أعف وأناى بنفسي عن الطمع في المغانم والأسلاب.

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلُ * ٥٢ * مَنِيَّ وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقَطَّرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا * ٥٣ * لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ
وفي ساعة اشتداد الضرب والطنع والكر والفربين الفرسان في الحرب، تذكرتك يا عبلة والرماح من حولي ومن فوقي قريبة مني وبعضها نال من جسدي، وبيض الهند أي السيوف في يد الأعداء يقطر منها دمي الذي أصابت منه، وعند ذلك أحببت ورغبت في تقبيل هذه السيوف لأنها لمعت فذكرتني باللمعة البارقة من ثغرك أي: فمك المتبسم.

وَمُدَّجِ كَرِهِ الْكَمَاءُ نِزَالُهُ * ٥٤ * لَا مُمَعِنٍ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمِ
جَاءَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ * ٥٥ * بِمُتَّقَفِ صَدْقِ الْكُحُوبِ مُقَوِّمِ
بِرَحِيبَةِ الْفَرْعَيْنِ يَهْدِي جَرُسَهَا * ٥٦ * بِاللَّيْلِ مُعْتَسَسَ الذُّنَابِ الضَّرَمِ

وفي ساعات الحرب يتجنب الرجال الكمأة أي: الشجعان لقاء فارسٍ مدجج أي: محمل بالسلح والعتاد ويكرهون منازلته وقتاله، فهذا الفارس الشجاع الذي لا يمعن أي: يقصد الهرب من القتال ولا يستسلم، أقاتله بينما الجميع يتجنبه وتعود له كفي بطعنةٍ عاجلةٍ بمثقف صدقٍ أي: رمحٍ شديد الصلابة مقوم أي: مستقيم غير مُعَوَّجٍ، فتكون الطعنة التي أطعنه بها رحيبة الفرغين أي: واسعة المنفذ الذي اخترقته في جسد العدو، ويكون للدماغ التي تسيل منه جرسٌ أي: صوتٌ يعرفه ويؤدي إليه مُعتَسٌ الذئاب الضرم أي: الذئاب التي نال منها الجوع، وتعتسُ أي: تتجسس موضع الطعام الذي تزيل به ما ألمَّ بها من جوع.

فَشَكَّكَتْ بِالرَّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ * ٥٧ * لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَتْلِ بِمَحْرَمٍ

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يُثْنَنُهُ * ٥٨ * يَقْضِيْنَ حُسْنَ بِنَائِهِ وَالْمِعْصَمِ

وعند طعني لهذا الفارس برمحي الطويل الصلب قد قام الرمح بتكميش أي: رفع ثيابه حينما اخترق جسده وأسال دمه، فلا عجب أن يموت فارسٌ بمثل صفاته وقوته وشجاعته، فليس الكريم من الرجال

والفرسان مُحَرَّمٌ على الموت بالسيوف أو الرماح، وبعدهما هزمته تركته غارقاً في دمه والسباع من حوله يَنْشَنُهُ أي: يمزقون جسده بأفواههم، ويقضمون أي: يقطعون من جسده حسن بنانه أي: أصابعه والمعصم.

وَمَشِكٌ سَابِغَةٌ هَتَكْتُ فُرُوجَهَا * ٥٩ * بِالسَّيْفِ عَنِ حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعْلِمٌ
رَبِذِ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا * ٦٠ * هَتَاكَ غَايَاتِ التَّجَارِ مُلَوِّمٌ
لَقَا رَأْيِي قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ * ٦١ * أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمٍ
فَطَعْنَتْهُ بِالرَّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ * ٦٢ * بِمُهَيَّبِ صَافِي الْحَدِيدَةِ مَخْدَمٌ

وكم قابلت في الحرب فرساناً يحمل الواحد منهم درعاً سابغةً أي: كاملة الصنع، فقامت بهتك فروج أي: فجوات مَشَكَّهَا أي: المسامير المتشابكة في الدرع بسيفي، الذي هو بمثابة الحارس والحامي للحق والعدل وهو معلومٌ مشهور، ويكون الفارس من هؤلاء رَبِذِ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ أي: سريع في حركة يديه عند استعماله القداح وهي الأسهم، وذلك إذا شتا أي: في حال اشتداد الصعوبات والنوائب، كما أنه في حال يسره مسرفٌ في هتك الخمر الذي هو بضاعة التجار فيستجلب اللوم لنفسه، وإذا قابلني الواحد منهم في ساحة القتال يبدي ويظهر لي نواجذه أي: أسنانه، ولكن

ليس بنية التبسم لي والتلطف معي وإنما ليبرز لي غضبه وكرهه وعزمه
على القضاء عَلَيَّ، فلما تقاتلنا قمت بطعنه بالرمح ثم هويت من فوقه
بسيفٍ مهندٍ صافي الحديدة أي: مجلو ليس به صدأ مخدّم أي: قاطعٌ
نافذ

عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارَ كَأَنَّمَا * ٦٣ * خُضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظَامِ
بَطَلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ * ٦٤ * يُحْذِي نِعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ

فعهدي بهذا الفارس الذي واجهته في وقت اشتداد أي: ارتفاع النهار
والذي غطت الدماء رأسه وبنانه أي: أصابعه، بالرغم من أنه كان من
أبطال الفرسان وله هيئة عظيمة، فهو فارع الطول وإذا رأيت ثيابه عليه
كأنك ترى ثياباً معلقةً على سرحةٍ أي: شجرةٍ طويلة، وهو رجلٌ لا يرتدي
من الثياب إلا أفخمها ولا يحذي أي: يرتدي أحذية إلا مثل أحذية
السبت أي: الملوك وأكابر القوم، كما أنه وُلِدَ وحيداً في بطن أمه ليس
معه توأم وهذا ادعى لكمال خلقته وتمام عافيته، وبالرغم من كل هذه
الصفات كان مصيره الموت على يدي.

يَا شَاةَ قَنْصٍ لَهْنٌ حَلَّتْ لَهُ * ٦٥ * حَرَمْتُ عَلَيَّ وَلَيْتَهُ لَمْ تَحْرُمِ

فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي فَقُلْتُ لَهَا اذْهَبِي * ٦٦ * فَتَجَسَّسِي أَخْبَارَهَا لِي وَاَعْلَمِي
قَالَتْ : رَأَيْتُ مِنْ الْأَعَادِي غِرَّةً * ٦٧ * وَالشَّاةُ مُمَكِّنَةٌ لِمَنْ هُوَ مُرْتَمٍ
وَكَأَنَّهَا التَّفَقَّتْ بِجِدِّ جَدَايَةٍ * ٦٨ * رَشَاءٌ مِنَ الْغَزْلَانِ حُرٌّ أَرْثَمٍ
فواعجباً لحال تلك المحبوبة التي يرغب في الزواج منها الكثير فكانت مثل
شاة قنصٍ أي: طريدة صيد ولكنها حرمت عليّ وليتها لم تحرم، ولما أردت
أن أعرف أخبارها أرسلت إليها جاريتي لتعرف لي أخبارها وتأتيني بها،
فأتت إليّ وأخبرتني أنها رأت حول هذه الشاة -ويعني المحبوبة- الكثير ممن
يرومون صيدها، والنيلُ منها مُمكنٌ ومُتاحٌ ولكن لمن هو مُرْتَمٍ أي: لمن
يتحلي بالقدر الكافي من الشجاعة والقوة، لينالها بها ويذود عنها غيره، أما
المحبوبة فإن من مظاهر حسنها وجمالها أن لها جيداً أي: عنقاً مثل عنقِ
جدايةٍ رشياً أي: غزالةٍ فتيةٍ حرةٍ أرثمٍ أي: في أنفها شئ من السواد أو
البياض، وذلك من صور جمالها.

نُبِّئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي * ٦٩ * وَالْكَفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعَمِ
وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى * ٧٠ * إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضْحِ الْفَمِ
فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي * ٧١ * عَمْرَاتِهَا الْأَبْطَالُ غَيْرَ تَغْفُمِ

إِذْ يَتَّقُونَ بِئِىَ الْأَسِنَّةِ لَمِ أَخْمِ *٧٢* عَنْهَا وَلَوْ أَنِّي تَضَائِقُ مُقَدَّمِي

ولقد ساءني ما نُبِّئْتُ به ووصل إلي مسامعي من أن عمرو بن مالك شقيق عبلة غير شاكر نعمتي عليه، حينما دفعت عنه الموت وأنقذته من الأعداء في ساحة الحرب، وكفر أي: إنكار النعمة أمرُّ به مَخْبَثَةٌ وَضِيقٌ لنفس صاحب النعمة، فهو كان يرجوا أن يرى عرفاناً بها، أما أنا فقد حفظت لعمي وصيته ورغبته في حماية أبناءه، ونحن في ساحة القتال التي تَقْلُصُ أي: تيبسُ فيها الشفتان من هول الضرب والطعن، وفي حلبات الموت هذه لا يستطيع الفارس البطل أن يشتكي ما به من كربٍ لمن معه، إلا تغمغماً أي: بكلامٍ منخفضٍ غير مرتب، وهؤلاء الأبطال لهول ما يرون ويعيشون يجعلونني أمامهم يتقون بي أسنة الرماح، فلم أَخْمِ أي: أترجع وأجبن حتى ضاقت مساحة قتالي ولم أملك سوى الدفاع.

وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِغَارَةٍ فِي لَيْلَةٍ *٧٣* سَوْدَاءَ حَالِكَةٍ كَلَوْنَ الْأَنْلَمِ

لَمَّا سَمِعْتُ نِدَاءَ مُرَّةٍ قَدْ عَلَا *٧٤* وَابْنِي رَبِيعَةَ فِي الْعُبَارِ الْأَقْتَمِ

وَمُحَلَّمٍ يَسْعَوْنَ تَحْتَ لَوَائِهِمْ *٧٥* وَالْمَوْتُ تَحْتَ لَوَاءِ آلِ مُحَلَّمِ

أَيَقْنْتُ أَنْ سَيَكُونُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ *٧٦* ضَرْبٌ يُطِيرُ عَنِ الْفِرَاحِ الْجُثْمِ

ولقد هممت وعقدت العزم على القيام بغارة على بني ذبيان من شدة وقعها عليهم تكون سوداء مثل لون الأدلم وهي: الحية السوداء، وما عقدت العزم على ذلك إلا عندما سمعت نداء بني مرة من ذبيان ينادون للحرب، وابني ربيعة في الغبار الأقتم أي: الشديد الذي لا يستطيع المرء أن يرى من خلاله، وقد انضم تحت لواء بني ذبيان بنو مُحَلَّم يأترون بأمرهم وما الموت إلا تحت هذا اللواء الذي اختاروه لأنفسهم، فقد أيقنت أن الضرب والطعن الذي سيكون عند لقاءنا شديداً، لدرجة أن الفِرَاحَ وهي: صغار الطيور يذهب عنها ريشها وهي جائمة أي: راكدة في مكانها.

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ * ٧٧ * يَتَذَامِرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمِّمٍ

يَدْعُونَ عُنْتَرَ وَالرَّمَاخَ كَأَنَّهَا * ٧٨ * أَشْطَانُ بِئْرِ فِي لَبَانِ الْأَنْهَمِ

مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ * ٧٩ * وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبَلِ بِاللِّمِّ

فَأَزُورَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ * ٨٠ * وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمُحِمِ

ولمَّا رأيتُ القوم من بني عبس في ساحة الحرب جاءوا بكثرة يتذامرون أي: يتصايحون في المعركة، كررت أي: هجمت أنا على الأعداء بقوة

وإقدامٍ غير مُذَمَّمٍ أي: بدون شكوى أو سبٍّ وطمعن، والقوم ينادون عليّ
يقولون يا عنتر والرماح من حولي كأنها أشطان أي: حبال بئرٍ قد أحاطت
بلبان الأدهم أي: صدر حصاني الأسود، وما زلت أنا أقاتلهم وأرميهم
بالرماح والطعنات وأنا على ظهر الخيل وهو يهجم معي بثغرة نحره أي:
مقدمة صدره، حتى تسربل أي: تَلَطَّخَ كاملاً بدمه ودم الأعداء فكان الدم
كالثوب له، وقد ازورَّ أي: خفت صوته من شدة ما ألمَّ به من وقع القنا
أي الرماح التي تخترق صدره، وكأنه يشكوا إليّ ما به بعبرة رأيتها في عينيه
وتحمحم أي: صوتٍ منخفضٍ عليل.

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى * ٨١ * وَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا * ٨٢ * قِيلَ الْفَوَارِسِ وَنَيْكَ عَنْتَرِ أَقْدِمِ
وَالْخَيْلِ تَقْتَحِمُ الْخَبَارَ عَوَابِسًا * ٨٣ * مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ
ذُلُّ رِكَابِي حَيْثُ شِنْتُ مُشَايِعِي * ٨٤ * لُبِّي وَأَحْفِزُهُ بِأَمْرِ مُبْرَمِ

ولو كان فرسي على دراية بالمحاوره أي: الرد والجواب لكان اشتكى لي ما
به من ألمٍ وشدة، ولو كان على علمٍ بالكلام ويقدرُ عليه لكان يكلمني
ويحادثني، ولقد شفى غليلي وأبرأ سقم نفسي مقولة الفرسان الأبطال

من بني عبس: ويك عنتر أي: تهيأ يا عنتره واقدم أي: تقدم الفرسان
والخيول وقاتل وجندل الأبطال، ففي هذا عزلي وفخر واعتراف من بني
عبس بمكاني ومقامي الذي أستحقه، فهم ينادون علي ويريدون مني
التقدم في مواطنٍ شديدة الوطأ حتى على الخيل، فهي تقتحم ميدان
المعركة والأرض خباراً أي: بها لينٌ وممتلئة بالصخور، وهذا صعبٌ شديدٌ
على الخيل ولكنها تقتحم هذا الميدان عوابساً، وهي ما بين شَيْظَمَةَ أي:
فرسة طويلة الجسد وأجرد شَيْظَمِ أي: فرسٌ قليل الشعر طويل الجسد
أيضاً، أما خيلي وركابي فإنها مُدَلَّلَةٌ سَهْلَةٌ تذهب بي إلي حيث أريد دون
عناء، ولبي أي: عقلي مُشايِعِي أي: مُسانِدِي وفي صَفِي بأمرٍ نافذٍ مُبرم.

إِنِّي عَدَانِي أَنْ أَزُورَكَ فَاعْلَمِي * ١٥ * مَا قَدْ عَلِمْتُ وَبَعْضُ مَا لَمْ تَعْلَمِي

حَالَتْ رِمَاحُ ابْنِي بَغِيضٍ دُونَكُمْ * ١٦ * وَرَوَتْ جَوَانِي الْحَرْبِ مَنْ لَمْ يُجْرِمِ

فيا عبلة اعلمي أن ما عداني أي: منعني وحال بيني وبين زيارتك، هو
الذي قد علمتية من أمر الحرب والقتال وهناك أموراً أخرى لم تعلمي
عنها شيئاً، فقد حالت رماح ابني بغيضٍ أي: عبسٍ وذبيان وما بينهما من

بغضٍ هو سبب هذه الحرب الشعواء، وزوت أي: أذت جواني أي: فعال
الحرب من فيها ومن ليس له فيها ذنبٌ ولم يُجرم

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَذُرْ * ١٧ * لِالْحَرْبِ دَائِرَةً عَلَى ابْنِي ضَمُضِمِ
الشَّاتِمِي عَرَضِي وَلَمْ أَشْتَفِهِمَا * ١٨ * وَالنَّانِرِينَ إِذَا لَقِيْتُهُمَا دَمِي
إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا * ١٩ * جَزَرَ السَّبَاعِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشْعَمِ

ولقد خشيت من أن تأتي منيتي وتحين ساعتى وأموت قبل أن تدور
الحرب أي: تنقلب على ابني ضمضم، وهما حصين ومُرة من بني مرة
الذبيانيين فقد قاما بشتي وسبوا عرضي وأساءوا إليَّ في غيبتى، ونذروا
على أنفسهم أن يسفكوا دمي إذا التقيا بي في الحرب، ولو كانا أمامي ما
استطاعا أن يقولوا مثل هذا القول، فإن فعلا ذلك وقاموا بشتي وسبي
في غيبتى فلقد فعلت بهما ما هو أسوأ من ذلك، فقد تركت أباهما
مقتولاً في ساحة الحرب وصار جزراً أي لحمأً مقطوعاً تنال منه سباع
الفيافي، وكل نسرقشعم أي: كبير في السن.

﴿أتاني طيف عبلة﴾

أتاني طيفُ عبلةَ في المنامِ * ١ * فقبّلتني ثلاثاً في اللثامِ

وودّعني فأودعني لهيباً * ٢ * أستترُهُ ويشعلُ في عظامي

أتاني طيف عبلة تلك التي يهواها قلبي وتحن إليها نفسي زائراً في ساعات نومي وغفوتي، فقام بتقبيلي ثلاث قبلاّت وهو مُستترٌ خلف اللثام على وجهه، ثم قام بتوديعي وذهب تاركاً في قلبي وديعةً هي نار العشق والشوق الملتهبة، التي كلما أحاول أن أستترها أي: أخفيها وأكتمها تزداد وتشتعل في لحمي وفي عظامي.

ولولا أنني أخلو بنفسي * ٣ * وأطفي بالدموع جوى غرامي

لمتُ أسىً وكم أشكو لأنني * ٤ * أغار عليك يا بدر التمام

ولولا أنني أستعين بالخلوة لأفرغ ما بي من أشواقٍ وأعهد بها إلى دموع العشق التي تسيل لتطفئ جوى أي: لهيب الغرام، الذي يملكني تجاه عبلة ابنة مالك، لولا أنني أفعل ذلك لملاً الأسي أركاني وجوانحي ولمتُ

قتيلاً بسبب ذلك، وكم اشكوا ما بي من نيرانٍ هي نيران الغيرة عليك يا
عبلة يا بدر التمام.

أيا ابنة مالك كيف التَّسَلَّى *٥* وعهدُ هواك من عهدِ الفِطام

وكيف أروم منك القُرب يوماً *٦* وحول خباك آساد الإجام

فيا ابنة مالك بن قراد قولي لي وأخبريني كيف يكون التَّسَلَّى عن عشقِك
وهواك، وهو قديمٌ في قلبي من عهد فطامي عن لبن أمي، وكيف أروم
أي: أريد النيل من قربك وأن تتمتع عيناى برؤيتك وتطيب نفسي بلقياك
ويوجد حول خباك أي: خيمتك التي تسكنين فيها من يحولون بيني
وبينك، فكانوا في قسوتهم وغلظتهم مثل آساد الأجام أي: الصحاري.

وحقّ هواك لا داوَيْتُ قلبي *٧* بغير الصبر يا بنت الكرام

إلى أن أرتقي درج المعالي *٨* بطعن الرُّمَح أو ضرب الحسام

وحق هواك الذي يسكن في فؤادي أنني لا أداوي ألم العشق والشوق
الذي في قلبي إلا بالصبر عليه وليس بغير ذلك، فاعلمي ذلك مني يا بنت
الكرام وسوف أظل أفعل ذلك إلى أن أعلو وأرتقي درج المعالي وأكون رفيع

الشأن عالي المقام، ولن يكون ذلك إلا بصنع مجدي بضرب الحسام أي:
السيف في الحروب والمعارك وطعن الرماح.

أنا العبدُ الذي حُبِرْتِ عنه * ٩ * رَعَيْتُ جِمالَ قَوْمِي مِنْ فِطامِي

أروحُ من الصَّباحِ الى مَغيبٍ * ١٠ * وأرْقُدُ بَيْنَ أَطْنابِ الخِيامِ

سأصل إلى تلك الغاية وأبلغ ما أنال حتى وإن كنت في الوقت الحالي
العبد الذي تعلمين من خبره وأحواله، فأنا أرعى جمال قومي بني عبس
مذ تركتُ لبن أُمي ومد وعيت إلى هذه الدنيا، فأنا أروح وأسوق الجِمالَ
مع باقي العبيد من أول الصبح وأظل في المرعى إلى وقت المغيب، فآتي بها
ثم آوي إلى خيمتي فأرقد بين أطناها أي: أعمدتها.

أذِلُّ لَعَبْلَةٍ مِنْ فَرطٍ وَجَدِي * ١١ * وأَجْعَلُها مِنَ الدُّنيا اهْتِمامِي

وأَمْتِثِلُ الأوامِرَ مِنْ أبايها * ١٢ * وقد مَلَكَ الهوى مَنِي زَمامِي

رَضِيْتُ بِحَبِّها طَوْعاً وَكُرهاً * ١٣ * فَهَلْ أَحْظى بِها قَبْلَ الحِمامِ

وبالرغم من أنني رجلٌ تَعَزُّ عليه كرامته ولا أرضي الذلَّ والضميم فإنني
أذِلُّ لعبلة، من فرط وجدتي أي: حبي وعشقي لها ولا أجعل من الدنيا
شيئاً أهتم به سواها، وأمتثل طائِعاً لأوامر أبيها مالك بن قراد إذا ما

أمرني بشئ، فقد تَمَلَّكَ عشقها وهوها مني وصار متحكماً بي وممسكاً
بزمامي، فقد رضيت بهذا الحب الذي أورثني كل ذلك طوعاً وكرهاً فيا
ترى هل أحظى بوصول عبلة والقرب منها من قبل أن يحين مماتي؟

وإن عابت سوادي فهو فخري * ١٤ * لأنني فارس من نسل حام

ولي قلب أشد من الرواسي * ١٥ * وذكرني مثل عرف المسك نام

أمّا إن فعلت عبلة مثل باقي بني عبس وعابت عليّ لوني وسواد جلدي
ورأت أنه عيبٌ ومَدَمَّة، فقد خاب ظنها فما هذا اللون وهذا السواد إلا
فخري الذي أفخر به، لأنني فارسٌ شديدٌ من نسل حام ابن نبي الله نوح
وهو الذي من نسله السود، كما أن لي قلباً شديداً أشد من الجبال
الرواسي وأكثر منها ثباتاً، ولي ذكرٌ بين الناس طيبٌ وحسنٌ وهو في حسنه
مثل عرف أي: رائحة المسك تنمو وتنتشر.

ومن عجبي أصيد الأسد قهراً * ١٦ * وأفترس الضواري كالهوام

وتقتصني ظبا السعدي وتسطو * ١٧ * عليّ مها الشربة والخزام

ومن الأمور التي أتعب منها ويتحير فيها عقلي كيف أني أصيد الأسود
بالقوة والقهر، ولا تستطيع معي شيئاً وأفترس كل وحشٍ ضارٍ مثل
الوحوش الهائمة ثم تقوم بقنصي واصطيادي ظباً أي: غزاةً الجبل
السعدي، وتسطو أي: تغلبُ عليّ وتقهرني مَهَا أي: بقرُ الشربةِ والخزَامِ
الوحشية وهما: موضعان في بادية نجد.

لَعَمْرُ أَبِيكَ لَا أَسْلُو هَوَاهَا * ١٨ * وَلَوْ طَحْنَتْ مَحَبَّتَهَا عِظَامِي

عَلَيْكَ أَيَا عُبَيْلَةَ كُلِّ يَوْمٍ * ١٩ * سَلَامٌ فِي سَلَامٍ فِي سَلَامٍ

فأقسم لك يا عبلة بعمر أبيك مالك بن قراد أنني لا أتسلى أبداً عن
هواك أيتها الغزاة التي اصطادتني، حتى لو تسببت محبتي لك في أذيت
وطحن عظامي، ولك من كل يومٍ وليلةٍ يا عبيلة سلامٌ يتبعه سلامٌ يتبعه
سلام.

﴿قفا يا خليلي﴾

قفا يا خليلي الغداةَ وسلماً * ١ * وعوجاً فإن لم تفعلوا اليوم تنذما
على طللٍ لو أنه كان قبله * ٢ * تكلم رسم دارسٍ لتكلمنا
أيا عزنا لا عز في الناس مثله * ٣ * على عهد ذي القرنين لن يتهدما
يُجرّدُ عنتره من نفسه رفيقين له يخاطبهما فيقول: قفا يا خليلي الآن
وقوما بإلقاء السلام على طلل الأحبة ذاك، فإن لم تفعلوا ذلك اليوم
ستندمان، وهذا الطلل لو أنه كان يوجد من قبله رسم دارسٍ أي: آثار
ديارٍ زائلة تكلمت، لتكلم ذلك الطلل وأخبرنا بأحواله وأيامه، فلهه درك يا
أيها العزُّ الذي هو لنا وليس للناس عزُّ مثله منذ أن مضى عهد الملك ذو
القرنين، ذاك الذي حكم بلاد الأرض وإن كان عزُّه قد تهدمَ وزال فإن
عزنا لن يتهدما.

إذا خطرْتُ عبسٌ ورائي بالقنا * ٤ * علوتُ بها بيتاً من المجدِ مُعلماً
تراهم يعدّون العناجيجَ والقنا * ٥ * طوال الهوادي فوق وردٍ وأدهما
إذا ما ابتدرنا النهب من بعد غارةٍ * ٦ * أثرتنا غباراً بالسَّنابكِ أقتما

فإذا ما قام بنو عبسٍ باتباعي في القتال وخطرُوا أي: تَأهبُوا واستنفروا خلفي، لعلوت وصعدت بهم بيتاً من المجد والعزم معلوماً لا يجهله أحد، فترى بني عبس عند خروجهم للحرب والقتال يعدون العناجيج أي: الإبل التي يحملون عليه السلاح والمتاع، والقنا أي: السيوف والرماح وهم طوال الهوادي أي: كثيروا الهدي والذبح جوداً وكرماً، ويركبون من الخيل ورداً وأدهما أي: أبيضاً وأسوداً.

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ قَدْ أَنْخَا بَدَارَهُمْ * ٧ * أَقِيمُ بِهِمْ سَيْفِي وَرُمَحِي الْمَقْوَمَا

وَمَا هَزَّ قَوْمٌ رَايَةً لَلْقَائِنَا * ٨ * مِنَ النَّاسِ إِلَّا دَارَهُمْ مَلَأَتْ دَمَا

فإذا خرجنا نحن بنو عبس لمحاربة قوم أنخنا أي: نزلنا بدارهم، فإن فعلنا ذلك فإني أقيم أي أُسَلِّطُ عليهم سيفي القاطع ورمحي المَقْوَم أي: الصلب المستقيم وأُعمِلُ فيهم الطعن والضرب، وما قام قومٌ برفع رايات الحرب ضدنا وساروا للقائنا إلا سرنا إليهم ونزلنا بدارهم وملئنا هذه الديار بدمائهم.

وَأَنَا أَبْذُنَا جَمْعَهُمْ بِرْمَاحِنَا * ٩ * وَإِنَّا ضَرَبْنَا كَبْشَهُمْ فَتَحَطَّمَا

بِكُلِّ رَقِيْقِ الشُّفْرَتَيْنِ مَهْنَدٍ * ١٠ * حُسَامٍ إِذَا لَاقَى الضَّرْبِيَّةَ صَمَمَا

يُفَلِّقُ هَامَ الدَّارِ عَيْنَ ذُبَابُهُ * ١١ * وَيَفْرِي مِنَ الْأَبْطَالِ كَفًّا وَمِعْصَمًا

وإنا قد قمنا بتحطيم كبشهم أي: سلاحهم الذي اتخذوه لتحطيم أبواب منازلنا وربما دروعهم القوية والمقصود غالباً سيد القوم وقائدهم، فعلنا ذلك بكل رقيق الشفرتين أي: حادّ الطرفين مُهَنَّدٍ حسام، إذا التقى بالضرب في الميدان صَمَّمَ على ملاقاته فهو سيفٌ قد فَلََّقَ أي: حَطَّمَ ذُبَابُهُ أي: طرفه القاطع، هام أي: رؤوس الفرسان المتدرعين وفري أي: ثَقَبَ كُفُوفَ الْأَبْطَالِ ومعاصمهم فله دره من سيف.

﴿سأضمرُ وجدي﴾

سَأُضْمِرُ وَجْدِي فِي فَوَادِي وَأُكْتَمُ * ١ * وَأَسْهَرُ لَيْلِي وَالْعَوَائِلُ نَوْمِ

وَأَطْمَعُ مِنْ دَهْرِي بِمَا لَا أَنَالُهُ * ٢ * وَالزُّمُّ مِنْهُ نَلٌّ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

إن من الشجاعة وكرم الأخلاق الصدق مع النفس وهذا هو حالي، يملؤني الوجد والعشق ولا أستطيع إلا أن أضمره في فؤادي وأكتم خبره عن سواي، وأسهر بسببه الليالي والعواذل أي: الحساد واللائمين نائمون لا يدرون بشئ، وإني طموحٌ أمتلك أحلاماً وغاياتاً مثل الجبال، وأطلبها من الدهر وأسعى لتحقيقها ولا أنالها من هذا الدهر اللئيم، بل يُلْزِمُنِي مَذَلَّةٌ وَمِهَانَةٌ لَا تَصْدُرُ إِلَّا مِنْ شَخْصٍ لَا يَعْرِفُ الرَّحْمَةَ.

وَأَرْجُو التَّدَانِي مِنْكِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ * ٣ * وَدُونَ التَّدَانِي نَارُ حَرْبٍ تُضَرِّمُ

فَمَنْ بَطِيفٍ مِنْ خِيَالِكِ وَإِسْأَلِي * ٤ * إِذَا عَادَ عَنِّي كَيْفَ بَاتَ الْمُتَيْمُ

وَلَا تَجْزَعِي إِنْ لَحَّ قَوْمُكَ فِي دَمِي * ٥ * فَمَا لِي بَعْدَ الْهَجْرِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ

وأرجوا دائما الوصل والقرب والتداني منك يا عبلة ابنة مالك يا من هام قلبي بعشقتها، ولكن بيني وبين هذا القرب منك نيران حربٍ تشتعل في

الأفق تكون بيني وبين أهلك، فَمَهْلًا مِنْتِ عَلَيَّ بِطِيفٍ مِنْ خِيَالِكِ يَأْتِينِي
لَأَمْتَعِ نَازِرِي بِكَ، وَإِذَا مَا عَادَ إِلَيْكَ فَاسْأَلِيهِ عَنِ حَالِ الْمَتِيمِ بِعَشْقِكَ
وَهَوَاكَ كَيْفَ يَكُونُ، وَلَا تَجْزِعِي أَوْ تَحْزِنِي أَوْ يَنْفَطِرْ قَلْبُكَ إِنْ قَامَ قَوْمُكَ
بِقَتْلِي وَلَجُّوا أَيُّ: خَاضُوا فِي دَمِي، فَلَمْ يَعِدْ فِي جَسْمِي لَحْمٌ أَوْ دَمٌ
يَخُوضُونَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ الْفِرَاقَ حَائِلًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ.

أَلَمْ تَسْمَعِي نُوْحَ الْحَمَائِمِ فِي الدَّجَى * ٦ * فَمَنْ بَعْضَ أَشْجَانِي وَنُوْحِي تَعَلَّمُوا
وَلَمْ يَبْقَ لِي يَا عِبْلَ شَخْصٌ مَعْرَفٌ * ٧ * سَوَى كَبِدٍ حَرَّى تَذُوبٌ فَأَسْقَمُ
وَتَلْكَ عِظَامٌ بِالْيَاثِ وَأَضْلَعٌ عَلَيَّ * ٨ * جَلَدَهَا جَيْشُ الصُّدُودِ مَخِيْمُ
أَلَمْ تَسْمَعِي يَا عِبْلَةَ يَوْمًا وَأَنْتِ فِي دِيَارِكِ أَوْ تَرَحَّالِكِ نُوْحَ الْحَمَائِمِ فِي وَقْتِ
الدَّجَى، أَلَمْ تَرِي لِي لَهُ وَتَأْخُذُكَ الشَّجُونُ، إِنْ فَعَلْتِ فَاعِلِي أَنْ هَذِهِ
الْحَمَائِمُ مَا تَعَلَّمْتَ النُّوحَ الَّذِي شَجَاكَ إِلَّا مِنْ نُوْحِي وَأَحْزَانِي، فَلَمْ يَعِدْ يَا
عِبْلَةَ فِي جَسْمِي وَمَلَامِحِي شَخْصٌ يُمَكِّنُكَ التَّعْرِفَ عَلَيْهِ إِلَّا كَبِدٌ حَارَّةٌ
تَذُوبُ مِنَ الْحُزْنِ وَتَمْرُضُ، أَمَّا عِظَامِي فَصَارَتْ بَارِزَةً مِنْ أَثَرِ النُّحُولِ
وَأَضْلَعِي وَيَبْرُزُ عَلَيْهَا، وَيُثْقَلُ كَاهِلِي جَيْشُ الْهَمُومِ الَّتِي تُحْبِطُ الْإِنْسَانَ
وَتَصْدُهُ عَمَّا يَرِيدُ وَهُوَ مُخَيِّمٌ أَيُّ: مُسْتَقَرٌّ.

وإن عشتُ من بعد الفراق فما أنا * ٩ * كما أدعي أني بعبلة مُغرَم
وإن نامَ جفني كانَ نومي علالة * ١٠ * أقول لعلَّ الطَّيفَ يأتي يسلم
والذي يدعي أنه عاشقٌ ومُغرَمٌ فليس أقلَّ من أن يموتَ عشقاً وغراماً في
محبوبه وهذا حالي مع محبوبتي عبلة أموت في عشقها وهواها، وإن
تسلَّيتُ عنها أو حَيَّيتُ بغير حُبِّها وبعد فراقها فلا أستحق أن أقول وأدعي
أنِّي مُغرَمٌ بعبلة، وإذا ما نمت بعد سهري بسبب التفكُّرِ فيها فليس نومي
إلا حُجَّةً وذريعةً فلعلَّ طيفَ عبلة يأتي ويزورني في المنام، ويُسلِّمُ عليَّ
فيمهونُ عليَّ بعض ما أنا فيه.

أحنُّ إلى تلك المنازلِ كلِّما * ١١ * غداً طائرٌ في أيكةٍ يترنمُ
بكيثٍ من البينِ المُشْتِ وإني * ١٢ * صبورٌ على طعن القنا لو علمتم
وفي ليلي الذي أسهر فيه أتفكُّرُ في عبلة وفي نهاري وسط الإبل والمراعي،
كلِّما سمعتُ طائراً فوق غُصنِهِ يترنمُ يُثيرُ فيَّ أشجاني وأحزاني، ويثيرُ فيَّ
الحنين إلى تلك المنازلِ وتلك الديار التي كُنْتُ أرى فيها عبلة، وقد أبكاني
وفطَّرَ قلبي هذا البينُ أي: البعدُ والفراق المُشْتِ أي: الشديد المُفَرِّقُ بين
الأحبة، ورغم كل ذلك فأنا مُداوِمٌ على الصبرِ ضدَّ طعن القنا في الحرب

والقتال ولم يؤلني هذا الطعن، بقدر ما آلمني فراق الأحبة لو علمتم يا
من تسمعون قولي ويطربكم شعري.



قافية النون

﴿سلي يا عبلة الجبلين﴾

سلي يا عبلة الجبلين عَنَّا * ١ * وما لاقَتْ بنو الأعجام مِنَّا

أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ لَمَّا أَتَوْنَا * ٢ * تموج مواكبٍ إنساً وجناً

قومي يا عبلة إن كنتِ جاهلةً بمدى قوة قومكِ بني عبس وشدة بأسهم في الحرب والقتال، وأسألي عنا الجبال الرواسي الشامخات لتخبركِ بما لاقاه الأعاجم حينما تجرأوا على محاربتنا، فقد لاقيناهم وقاتلناهم وأبدنا أي: أهلكنا جموعهم التي أتت لحربنا، حتى ماجت أي: اضطربت هذه الجموع وتشتتت الإنس منهم والجن على حدٍ سواء.

وراموا أكلنا من غير جوع * ٣ * فأشبعناهم ضرباً وطعناً

ضربناهم ببيضٍ مرهفاتٍ * ٤ * تَقْدُ جُسُومَهُمْ ظَهْرًا وَبَطْنًا

وفرقنا المواكبَ عن نساءٍ * ٥ * يَزِدْنَ عَلَى نِسَاءِ الْأَرْضِ حُسْنًا

وقد تبادر إلى العقول القاصرة التي يمتلكها هؤلاء الأعاجم أننا لقمةٌ سائغة، ولن يجدوا في أكلنا أي مشقة فبادروا إلى ذلك مبادرة من لا يشتكي ألم الجوع ولكنه الطمع، فقمنا بإشباعهم ولكن ضرباً بالسيوف

وبالخيول وطعنًا بالرماح المَقْوَمَة، وأعملنا فيهم سيوفنا البيضاء
المرهفات أي: الرقيقة الحادة فصارت تَقْدُ أي: تقطع منهم الظهور
والبطون، وفرقنا جموعهم التي جمعوها لنا وفرَّوا هاربين تاركين خلفهم
سبايا نساء يزدن في الجمال والحسن على باقي نساء الأرض.

وكم من سيدٍ أضحى بسيفي * ٦ * خضيبَ الراحتين بغير حنا

وكم بطلٍ تركتُ نساءه تبكي * ٧ * يرددن النواح عليه حزنا

وحجَّارٍ رأى طغى فنادى * ٨ * تأنى يا بنَّ شدادٍ تأنى

وكم من سيِّدٍ مُطاعٍ في قومه ذو قوةٍ وبأسٍ لما لاقاني في ساحة القتال
أرديته، وأضحى بسبب سيفي مُخَضَّبٍ أي: مُلَطَّخِ الراحتين أي: الكفين
من غير حنَّاء ولكنه الدم الذي سال منه، وكم من بطلٍ صِنْدِيدٍ شديدٍ
في الحرب والقتال، لمَّا لاقاني وقاتلني تركته والنساء من حوله يبكين
وينوحون عليه مراراً وتكراراً من شدة الحزن عليه والألم، وَحَجَّاراً -وهو
كناية عن الفارس الشديد وربما يكون شخصاً بعينه- لمَّا قاتلني ورأى من
شِدَّتِي، أدرك أن لا سبيل له ليغلبني فتوسَّلَ إِلَيَّ قائلاً: تأنى يا ابن شداد
تأنى، وقد يكون حَجَّاراً أحد فرسان عبس ولما رأى فعل عنتره بالقوم

أشفق عليهم لهول ما هم فيه، فنأدى عنتره لكي يُخَفِّفَ عنهم وطأة ما
حلَّ بهم.

خَلَقْتُ مِنَ الْجِبَالِ أَشَدَّ قَلْبًا * ٩ * وَقَدْ تَفَنَّى الْجِبَالُ وَلَسْتُ أَفْنَى

أَنَا الْحَصْنُ الْمَشِيدُ لآلِ عَبْسٍ * ١٠ * إِذَا مَا شَادَتْ الْأَبْطَالُ حَصْنَا

ومن يجهل عنتره ولا يدري مدى شدة قلبه فليعلم أني خُلِقْتُ شديداً،
ولي قلبٌ هو أكثر قُوَّةً وَشِدَّةً من الجبال الرواسي وقلوب هذه الجبال قد
تفنى وتنصدع وقلبي لا، فأنا الحصن المُشِيدُ الشديد الذي يُدافع عن
بني عبس ويحمي أعراضهم، إذا كان للأقوام أبطالٌ وفرسانٌ هم بمثابة
الحصون المنيعة لأقوامهم.

شَبِيهُ اللَّيْلِ لَوْنِي غَيْرَ أَنِّي * ١١ * بَفْعَلِي مِنْ بِيَاضِ الصُّبْحِ أَسْنَى

جَوَادِي نَسَبِي وَأَبِي وَأُمِّي * ١٢ * حُسَامِي وَالسَّنَانُ إِذَا انْتَسَبْنَا

نعم لون جلدي أسودٌ مثل لون الليل ولكن ذلك ليس عيباً أُعَابُ به ولا
مَذْمُومٌ لشخصي، غير أن أفعالي وخصالي أسنى أي: أشد ضياءً وبياضاً
من بياض وضياء الصباح، وإذا كان القوم يتفاخرون بأنسابهم ويتباهون

بها على بعضهم البعض، فإن فرسي الذي أحارب على ظهره هو نسبي
وفخري وأبي شداد فارس عبس، وأمي هما السيف والرمح اللذان أفخر
بهما ونسبي إذا انتسبت.

﴿البرق اليماني﴾

طربتُ وهاجني برق اليماني * ١ * وذكرني المنازل والمغاني

وأضرمَ في صميم القلبِ ناراً * ٢ * كضربي بالحسامِ الهندواني

لما رأيت البرق يلمع من ناحية اليمن تذكرت منازل الأحباب وطربت
وهاجني أي: أثار في داخلي الحنين إلى منازلهم وأغانهم، وكما يضرم البرق
في الأخشاب ناراً أضرمَ في قلبي نيران الشوق إلى الأحباب ومنازلهم، وهذه
النار في قوتها مثل قوة ضربي بالسيف الهندواني، فهي شديدة الوقع
والأثر في نفسي.

لَعَمْرُكَ ما رَمَاحُ بني بَغِيضٍ * ٣ * تخونُ أكفهُم يومَ الطعان

ولا أسيافُهُم في الحربِ تنبو * ٤ * إذا عرف الشجاعُ من الجبان

ولكنْ يضربون الجيشَ ضرباً * ٥ * ويَقْبُرُونَ النُّسُورَ بلا جِبانِ

ويقتحمون أهوال المنايا * ٦ * غداةَ الكَرِّ في الحربِ العوان

لعمرك يا من تسمعُ قولي ويصلك شعري أن رماح بني بغيض - أي أعداء
عنتر في الحرب، وربما المقصود الطرفين المتحاربين فليس بينهما إلا

العداوة والبغضاء- لا تخون أكفهم فتخطئ هدفها في ساعة زحام الحرب والقتال، أما سيوفهم فهي لا تختلف عن هذه الرماح فهي لا تنبو أي: تجبن وتراجع عن إصابة هدفها في ساحة الحرب واشتداد الكرب حيث يعرف الشجاع من الجبان، لذلك هم في أوقات الحرب إذا ما التقوا بجيش الأعداء يضربونهم ضرباً شديداً، وإذا كانت النسور يُعرفُ عنها قوتها وبطشها عن سائر الطيور فإنهم يصيدونها ويقبرونها أي: يقضون عليها بدون أن ترق لهم أجفان أي: عيون، وما ذلك إلا لقسوتهم وغلظتهم فهم يقتحمون غمرات الحرب التي تنتشر فيها المنايا أي: المهالك المؤدية للموت، في ساعة الكرّ أي: الهجوم في الحرب العوان أي: الشديدة الضارية.

أعبلةً لو سألتِ الرمحِ عني * ٧ * أجابك وهو منطلق اللسان

بأنّي قد طرقتُ ديارَ تيمٍ * ٨ * بكلِّ غضنفرٍ ثبتِ الجنان

وحضتُ عُبارها والخيلُ تهوي * ٩ * وسيفي والقنا فرسا رهان

فيا عبلة اعلمي أنك لو سألتِ عني الرمح الذي أقاتل به أعدائي وأطعنهم وأهلكهم به، لأجابك عن كل ما تريدين وهو منطلق اللسان أي: بدون

تلعثم أو طمطمة أو تردد، وسيخبرك بأني قد طرقت ديار القوم من تيم -
ويعني بني ذبيان- لأحارهم ومن خلفي جنودٌ الواحد منهم مثل الأسد
الغضنفر، وهو ثابتُ الجَنَانِ أي: سليم العقل والفكر والتركيز على قتال
الأعداء، وخضت غبار هذه الحرب معهم والخيل تهوي إليها وسيفي
والقنا أي: رمحي ونبلي كأنهما فرسا رهان، كلُّ منهما ينافس الآخر أيهم
يقتل في القوم أكثر.

وإن طربَ الرِّجالَ بشُرْبِ خَمْرٍ * ١٠ * وغيبَ رشدهمُ خمرُ الدنان

فرشدي لا يُغيِّبه مُدَامَ * ١١ * ولا أصغي لقهقهةِ القناني

وإذا ما كان الرجل من القوم يطرب ويفقد تركيزه ووعيه بسبب شرب
الخمر، وقد غاب رشده فلم يعد يفرق بين الصواب والخطأ لكثرة شربه
من الخمر المعبأة في الدنان أي: أوعية الخمر، فإن رشده عنتره لا يغيبه
شرب الخمر ولا يؤثر عليه ولا يطرب عنتره له، ولا أصغي لقهقهة أي:
صوت الضحك المرتفع الخاص بالقناني أي: النساء العاملات في حانات
الشرب والسهر.

وبدرٌ قد تركناه طريحاً * ١٢ * كأن عليه حلة أرجوان

شككت فؤاده لما تولى * ١٣ * بصدر مثقف ماضي السنان

فخر على صعيد الأرض ملقى * ١٤ * عفير الخد مخضوب البنان

وعدنا والفخار لنا لباس * ١٥ * نسود به على أهل الزمان

وفي حربنا مع بني ذبيان قاتلناهم وهزمتناهم شرهزيمة، أما سيدهم بدر بن عمرو الذبياني قد تركناه من خلفنا طريحاً على الأرض بين القتلى غارقاً في دماءه كأنها حلة أي: رداء لونها أرجواني، وقد قاتلته بنفسه وولّى هارباً فلجقته وشككت أي: ثقت فؤاده برمحي المثقف، الذي هو ماضي السنان أي: يخترق كل ما يعترض طريقه، فلما طعنته بهذا الرمح خرّ أي: سقط على الأرض فتعقر خدّه بالتراب وتخضبت بنانه أي: أصابعه بدماءه، ثم عدنا نحن بنو عبيس والنصر من نصيبنا والفخر والعزة لباس لنا نسود به على أهل هذا الزمان.

﴿يا أيها الملك﴾

قال عنتره هذه القصيدة يمدح فيها كسرى أنوشروان حينما قدم عليه
ضيفاً.

يا أيها الملك الذي راحته * ١ * قامت مقام الغيث في أزمانيه

يا قبلة القصاد يا تاج العلا * ٢ * يا بدر هذا العصر في كيوانه

يا مخجلاً نوء السماء بجوده * ٣ * يا منقذ المحزون من أجزانه

يا أيها الملك العالي القدر الذي يعظمه أتباعه والذي راحته أي: كفوفه
ممدودة دائماً بالعطاء للناس، فقامت مقام الغيث في هذا الزمان أي:
المطر الذي يسقي الناس به أنفسهم وزروعهم وأنعامهم، ويا من يأتي
إليه الناس قاصدين منه العطاء والمنح فكان قبلة لهم، يا من هو يضيئ
للناس في هذا الزمان ومن هو مميز فيهم ومفضل عنهم فكان كالبدر، ويا
أيها الملك الذي بجوده وكرمه الغزير الذي هو مثل الغيث قد أخجل نوء
أي: غيث السماء، ويا من هو باعث للسرور في نفوس الناس فكان منقذاً
للمحزون والمهموم من همومه وأجزانه.

يا ساكنين ديار عبسٍ إنني * ٤ * لأقيتُ من كسرى ومن إحسانه

ما ليس يوصفُ أو يُقدَّرُ أو يفِي * ٥ * أو صافهُ أحدٌ بوصفِ لسانه

فيا أهلي وقومي الذين يسكنون في ديار ومضارب بني عبس، اعلموا أنني عندما قابلت كسرى أنوشروان قد لاقيت منه إحساناً وترحيباً، لا أستطيع أن أصفه الوصف الذي يلائمه ويقدر هذا الإحسان قدره ويوافيه، لأنه لا يستطيع أحدٌ أن يفعل ذلك إذا وصفه بلسانه.

ملكٌ حوى رتبَ المعالي كلها * ٦ * بسموِّ مجدٍ حلَّ في إيوانه

مولى به شرفَ الزمانِ وأهله * ٧ * والدَّهرُ نالَ الفخرَ من تيجانه

فهذا الملك كسرى الذي حللت عنده قد حوى واشتمل على كل رتبةٍ عالية الشأن رفيعة المقام، وما ذلك إلا لسمو وارتفاع مجده وعزّه الذي تراه حالاً في إيوانه أي: مقرّ ملكه وحكمه، وتشعر به فهو ملكٌ من مكانته ومقامه كان بمثابة الفخر والشرف الذي يتشرف به الزمان وأهل الزمان، والدهر يفخر به وبتيجانه أي: ملكه وعزه.

وإذا سطا خافَ الأنامُ جميعهم * ٨ * من بأسه والليثُ عند عيانه

المظهرُ الإنصافِ في أيامه * ٩ * بخصاله والعدلُ في بلدانه

وإذا ما غضب هذا الملك فقام بالسطو أي: القهر والغلبة يخاف من قهره
وبطشه الأنام جميعهم، لأنه سطوته شديدة وبأسه شديد لدرجة أن
الليث أي: الأسد يتملكه الخوف عندما يعاين هذا الملك أثناء سطوته
فيؤثر السلامة، وبالرغم من شدة سطوة هذا الملك فهو دائماً ما يُظهرُ
الإنصاف في أيام حكمه ودولته، وذلك تراه عن طريق خصاله الكريمة
وعدله في البلدان التي هي تحت حكمه.

أَمْسَيْتُ فِي رِبْعٍ خَصِيبٍ عِنْدَهُ * ١٠ * مَتَنَزَّهَا فِيهِ وَفِي بَسْتَانِهِ

وَنظَرْتُ بَرَكَّتَهُ تَفِيضٌ وَمَاؤُهَا * ١١ * يَحْكِي مَوَاهِبَهُ وَجُودَ بِنَانِهِ

فِي مَرَبَعٍ جَمَعَ الرَّبِيعَ بِرَبْعِهِ * ١٢ * مِنْ كُلِّ فَنٍّ لَاحَ فِي أَفْنَانِهِ

وَطُيُورُهُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَنْشَدَتْ * ١٣ * جَهْرًا بَانَ الدَّهْرَ طَوْعًا عَنَانِهِ

عندما أمسيت عند هذا الملك وقضيت ليلي في رحابه قضيته في رِبْعٍ أي:
مكانٍ خصيبٍ طيبٍ يملكه كسرى، وقضيت ليلي أتزده بين طيَّاتِ هذا
الربيع والبساتين التي تملؤه، وألقيت ناظري في هذا الربيع فإذا به يقع على
بركةٍ تفيض بالماء الغزير، وهذا الماء كأنه راوي أو حاكي يحكي لمن يراه
جود كسرى وما تمتد به بنانه أي: يداه من عطاءٍ ومنح، ونحن في وسط

بقعةٍ خصيبةٍ جمعت كل صفات الربيع من بهجةٍ وخضرةٍ وزهورٍ
ورياحين، والربيع نفسه قد بعث إلى هذه البقعة كل فنٍّ أي: جمالٍ من
جمالاته المتعددة، وترى بعينك في هذه الأرض الخصيبة الطيور
بمختلف أشكالها وألوانها فتبهجك وتسرناظريك، وتسمعها بأذنيك تغرد
وتزقزق وتنشد لكل من يأتي عند كسرى، بأن الدهر له مثل الفرس
يمسك بعنانه ويتحكم فيه ويقوده إلى حيث شاء.

ملكٌ إذا ما جال في يوم اللقا * ١٤ * وقف العدو مُحَيَّرًا في شأنه

والنصر من جلسائه دون الوري * ١٥ * والسعد والإقبال من أعوانه

فلاشكرن صنيعه بين الملا * ١٦ * وأطاعن الفرسان في ميدانه

وهذا الملك إذا ما خرج للحرب والقتال وجال فيها بفرسه وسيفه وصال،
تجد العدو يقف أمامه ذاهلاً مُتَحَيَّرًا لا يعلم ماذا يفعل وكيف يتصرف
من هيبة الملك، وهذا الملك ليس النصر حليفاً له ومن نصيبه فقط بل
هو من جلسائه دوناً عن جميع الوري فلا يفارقه، وكذلك السعد
والإقبال أي: المستقبل المشرق من جلسائه وأعوانه، فوجب عليّ بعد كل
ما رأيت بين يدي الملك وحظيت من نواله وعطائه، أن أشكر صنيعه

معي بين كل المأ من الناس وأن أكون وسيفي وفرسي تحت أمره
وبكلمته، وأن أقاتل الفرسان وأطاعهم في ميدان الحرب تحت لوائه
وجيشه.

﴿ كل يوم مع زماني ﴾

قال عنتره هذه القصيدة في يوم كان بين بني عبس وبني ذبيان يسمى يوم
جَبَلَة.

أرى لي كل يوم مع زماني * ١ * عتاباً في البعاد وفي التداني

يريد مذلتني ويدور حولي * ٢ * بجيش النائبات إذا رأني

إن الزمان مُتَقَلِّبٌ وله أحوالٌ وأيامٌ ودائماً يفاجئ المرء بما لا يتصوّر وهذا
هو حالي معه، فأنا أرى لِنَفْسِي كل يومٍ مع الزمان أحوالاً مختلفة ولي كل
يومٍ عليه عتاباً سواءً في لحظات التداني أي: قربي مما أريد وأبتغي أو
البعاد، وهذا الزمن رأيتُه دوماً معادياً لي فهو دوماً يريد لي المذلة والهوان
والإنكسار ويسعى إلى ذلك، ويدور حولي بجيش النائبات أي: المصائب
والمصاعب إذا ما رأني ليحقق هذه الرغبة التي يتمناها.

كأنني قد كبرت وشاب رأسي * ٣ * وقل تجلدي ووهي جناني

ألا يا دهر يومي مثل أمسي * ٤ * وأعظم هيبة لمن التقاني

وقد أثقلت الأحزان والهموم كاهلي وأرهقت روحي فكأنني قد كبر سني
وشاب شعر رأسي ووهن عظمي، وقل تجلدي أي: صبري على الأهوال
ووهي أي: ضعف جناني أي: عقلي وفكري، لذا فاعلم أيها الدهر أن يومي
الذي أعيشه لا يختلف عن أمسي الذي مضى وفات، إلا أنني أزداد كل
يوم هيبةً وعظمةً عن اليوم الذي يمضي، ويعلم ذلك جيداً كل من
التقاني ويشعر به.

وَمَكْرُوبٍ كَشَفْتُ الْكَرْبَ عَنْهُ * ٥ * بِضَرْبَةٍ فَيَصِلُ لَمَّا دَعَانِي

دَعَانِي دَعْوَةً وَالْخَيْلُ تَرْدِي * ٦ * فَمَا أَدْرِي أَيْسَمِي أَمْ كَنَانِي

فَلَمْ أَمْسِكْ بِسَمْعِي إِذْ دَعَانِي * ٧ * وَلَكِنْ قَدْ أَبَانَ لَهُ لِسَانِي

فَفَرَّقْتُ الْمَوَاكِبَ عَنْهُ قَهْرًا * ٨ * بَطْعِنِ يَسْبِقُ الْبَرْقَ الْيَمَانِي

وفي إحدى أيام الحرب وأنا منشغلٌ في القتال والضرب والطعن والكرِّ
والفرِّ، وإذ بي أسمع دعوة امرئٍ في كربٍ يدعوني لأكشفه عنه فلبيته
وكشفت عنه كربيه، وفرقت الذين أرادوا هلاكه من حوله بضربي
لزعيمهم ضربة قاتلةً ففرقتهم من حوله وقد هربوا خوفاً، وعندما دعاني
هذا المكروب دعاني في ساعةٍ كانت الخيل فيها تردى أي: تجري بسرعةٍ

وقوّة فلم أكن واعياً هل ناداني باسمي أم كناني بكنية، وعلى كلّ فلم أمسك سمعي عنه وأتجاهل نداءه واستغاثته فليس ذلك من أخلاق الفرسان وليس من المروءة في شئ، بل لبيته بلساني أولاً وذهبت إليه ثانياً وفرقتُ المواكب التي أرادت قتله قهراً أي: بالقوة والغلبة فلم يستطيعوا معي شئ، وكيف ذلك وقد عاجلتهم بطعنٍ من رمحي بلغ من سرعته أنه يسبق البرق اليماني.

وَمَا لَبَيْتُهُ إِلَّا وَسَيْفِي * ٩ * وَرُمِحِي فِي الْوَعْيِ فَرَسًا رِهَانِ

وَكَانَ إِجَابَتِي إِيَّاهُ أَنِّي * ١٠ * عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَّارَ الْعِنَانِ

بِأَسْمَرَ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ لَدُنِّي * ١١ * وَأَبْيَضَ صَارِمٍ نَكْرٍ يَمَانِ

وما لبّيتُ هذا المكروبَ وكشفتُ عنه كربَهُ إلا وأنا في الحرب أقاتل بسيفي ورمحي، وقد صاراً من كثرة الضرب الطعن وسرعته كأنهما فرسا رهان، يسابق كل منهما الآخر أيهم يضرب أكثر، وكانت إجابتي للمكروب أنني لبيته فوراً وعطفتُ إليه بفرسي الذي هو خوّارُ العنانِ أي: طيّع سهل الانقياد لي، فقد عودتُهُ الكرّ والفرّ فلا يعصيني في أمر، وزدت عن المكروب بأسمر أي: رمحٍ من رماح منطقة الخط التي هي معروفة بالرماح

الجيدة، وهو رمحٌ لَدِينِ أَي: مَرِنٌ وسريعٌ وكذلك بأبيضٍ صارمٍ أَي: سيفٍ
قاطعٍ شديدٍ حديدُهُ ذَكَرٌ من السيوف اليمانية، التي هي جَيِّدَةُ الصُّنْعِ
والسَّبَكِ.

وَقِرْنَ قَد تَرَكْتُ لَدَى مَكْرٍ * ١٢ * عَلَيْهِ سَبَائِبَا كَالأَرْجَوَانِ

تَرَكْتُ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ * ١٣ * كَمَا تَرْدِي إِلَى العُرْسِ البَوَانِي

وَتَمْنَعُهُنَّ أَنْ يَأْكُلْنَ مِنْهُ * ١٤ * حَيَاةً يَدِ وَرَجْلٍ تَرْكُضَانِ

وفي الحرب أقاتل الفرسان والأبطال وأصرعهم وقد قاتلت قرناً أَي:
فارساً شديداً يكافئني في ساعة الكرأى: الإقدام في الحرب، ولكن قمت
بهزيمته وصرعته أرضاً فتركته وعليه سبائباً أَي: بقعاً من الدم كأنها
أرجوان، وقد تركته والطير عاكفةً من حوله يريدون أكله، وكانوا في
إقبالهم عليه مثل البواني أَي: النساء اللاتي يكن مع العروس ويحجلون
في مشيتهنَّ، وما منع هذه الطيور من أكل لحمه إلا بقيَّةُ روحٍ وفضلٍ من
حياة يحرك بهما يده ورجله، فيجعل الطير تركض منه خوفاً ولكن
يرقبون موته.

فَمَا أَوْهَى مِرَاسُ الحَرْبِ رُكْنِي * ١٥ * وَلَكِنْ مَا تَقَادَمَ مِنْ زَمَانِ

وَمَا دَانَيْتُ شَخْصَ الْمَوْتِ إِلَّا * ١٦ * كَمَا يَدْنُو الشُّجَاعُ مِنَ الْجَبَانِ

لذا فليعلم من يظن بي الجبن والخوف أنني لم تضعف قوتي من مراس الحرب والقتال، ولكنه الزمن الذي شَيَّبَ رأسي ولحيتي وأوهى قوتي وجسدي، أفلا يعلم من يظن بي الجبن أنني ما دانيت أي: اقتربت من الموت في الحرب الضروس، إلا مقدماً غير آبه ولا مُتَرَدِّدٍ، بل إقدامي على الموت مثل إقدام الشجاع واقترابه من عدوِّ جبان.

وَقَدْ عَلِمْتُ بَنُو عَبْسٍ بِأَنِّي * ١٧ * أَهْشُ إِذَا دُعِيْتُ إِلَى الطَّعَانِ

وَأَنَّ الْمَوْتَ طَوْعٌ يَدِي إِذَا مَا * ١٨ * وَصَلْتُ بِنَائِهَا بِالْهِنْدَوَانِي

وقد عَلِمْتُ بنو عبسٍ وباقي قبائل العرب من شجاعتي وإقدامي ما ينزع أيَّ شبهةٍ في خوفي وجبني من الحرب والقتال، وأني أَهْشُ أي: أفرح وأسعد إذا ما دُعِيْتُ للحرب والطَّعَانِ، وأن الموت طَيِّعٌ في يدي سهلٌ إذا ما اتصلت أصابع هذه اليد بسيفي الهندواني، الذي أهلك به كل من تجرأ على قتالي وحربي.

وَنِعَمَ فَوَارِسُ الْهَيْجَاءِ قَوْمِي * ١٩ * إِذَا عَلِقُوا الْأَعْنَءَ بِالْبَنَانِ

هُمْ قَتَلُوا لَقِيظاً وَابْنَ حُجْرٍ * ٢٠ * وَأَرَادُوا حَاجِباً وَابْنَ أَبَانَ

وَنِعَمَ فَوَارِسُ الْحَرْبِ وَالطِّعَانُ قَوْمِي بَنُو عَبَسَ، فِي قُوَّتِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ
وَإِقْدَامِهِمُ الَّذِي تَدْرِكُهُ إِذَا مَا رَأَيْتَهُمْ يُعَلِّقُونَ أَعِنَّةَ الْخَيْلِ فِي بَنَانِهِمْ،
اسْتِعْدَاداً لِلذَّهَابِ إِلَى الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ، فِي حَرْبِنَا مَعَ تَمِيمٍ هُمْ مِنْ قَتَلُوا
فَرَسَانَهُمْ وَسَادَاتِهِمْ، لَقِيَطًا وَابْنَ حَجْرٍ وَحَاجِبًا وَابْنَ أَبَانَ، أَرَدَوْهُمْ
وَأَهْلَكُوهُمْ وَتَرَكُوا تَمِيمًا فِي حَزْنٍ أَلِيمٍ وَخَوْفٍ شَدِيدٍ فَلِلَّهِ دَرْبُنِي عَبَسَ.



قافية الهاء

﴿صع إلى بيراهها﴾

قف بالديار وصح إلى بيدها * ١ * فعسى الديار تجيب من نادها
دار يفوح المسك من عرصاتها * ٢ * والعود والندّ الذكي جناها
دار لعبلة شطّ عنك مزارها * ٣ * ونأت لعفري ما أراك تراها
ما بال عينك لا تمل من البكا * ٤ * رمد بعينك أم جفاك كراها
يُجرّد عنتره من نفسه شخصاً ويخاطبه: قف أيها العاشق الذي أحرقه
لهيب العشق عند ديار الحبيب، وصح ونادي عليها في البيداء التي تقبع
فيها، واسألها عن الحبيب لعلك تسمع الديار وهي تجيبك يا من تنادها
وتشفي غليلك، والله درها من دار يفوح من بين عرصاتها أي: ساحتها ريح
المسك الذي هو من أطيب العطور التي يحب المرء أن يستنشقها، وليس
المسك فقط بل يفوح العود وكذا الندّ الزكي أي: ما نبت من ندى المطر،
وهو جنى أي: ما يُجنى من الزروع فالندّ هو جنى هذه الدار وهذه الدار هي
التي تسكن فيها عبلة التي تيمتني بحبها، وقد شطّ أي: بعد عنك مكان
زيارتها أيها العاشق ونأت أي: ابتعدت، فلا أظن بعد ذلك أنك تراها في

يوم، فما بالك أيها العاشق الحزين وما الذي ألمَّ بك، فَمَالِ عَيْنِكَ دَائِمَةً
البكاءِ لا تكلُّ منه ولا تملِّ، هل أصابك رمدٌ بعَيْنِكَ فصارت تبكي كل هذا
البكاء أم أنه الكرى أي: النوم والثبات، هو الذي جفاك وابتعد عن
عينيك.

يا صاحبي قف بالمطايا ساعة * ٥ * في دار عبلة سائلاً مغناها
أم كيف تسأل دمنةً عاديةً * ٦ * سفت الجنوب دماها وثرها
فيا صاحبي يا من أذله العشق وأرهقه قف بمطيتك أي: دابتك التي
أتيت بها قليلاً من الوقت، لا تتعجل في الذهاب وانتظر في دار عبلة سائلاً
مغناها أي: ديارها عنها، ولكن ما الذي أنصحك به؟ كيف تسأل دمنةً
أي: بقية آثار الديار عمّن كان يسكن فيها، ما هي إلا دمنةً عاديةً قد أتت
عليها رياح الجنوب فسفت أي: محت دمان أي: آثار هذه الديار، وثرها
أي: رمالها.

يا عبيل قد هام الفؤاد بذكركم * ٧ * وأرى ديوني ما يحلُّ قضاها
يا عبيل إن تبكي عليَّ بحرقاةٍ * ٨ * فلطالما بكت الرجال نساها

اعلمي يا عبلة أن الفؤاد الذي أحمله بين أضلعي قد هام وتاه بحبك
وذكرِكِ ولا يكاد ينفك عن ذلك، فَحَمَلَنِي أَثْقَالاً فوق كاهلي مثل أثقال
الديون التي يحملها الرجل على كاهله ولا يستطيع أن يقضيها، فيا عبلة
إنك إن علمت بحالي فبكيّتي على فراقنا بحرقه وأسى حُزناً وألماً، فاعلمي
أنه طالما بكت النساء على أحوال رجالها.

يا عَيْلُ إِنِّي فِي الْكَرْيْهَةِ ضَيَّعْتُ * ٩ * شَرَسْتُ إِذَا مَا الطَّعْنُ شَقَّ جِبَاهَا
وَدَنْتُ كِبَاشٌ مِنْ كِبَاشٍ تَصْطَلِي * ١٠ * نَارَ الْكَرْيْهَةِ أَوْ تَخُوضُ لَهَا
وَدَنَا الشُّجَاعُ مِنَ الشُّجَاعِ وَأُشْرَعْتُ * ١١ * سَمِرَ الرِّمَاحِ عَلَى اخْتِلَافِ قَنَاهَا
فَهَنَّاكَ أَطْعُنُ فِي الْوَعْيِ فَرَسَانَهَا * ١٢ * طَعْنًا يَشَقُّ قُلُوبَهَا وَكُلَاهَا

ولكن لا عليك يا عبلة واعلمي أني لا أياس بهذه السهولة، وكيف ذلك؟
وأنا في الكريهة أي: الحرب ضيغم شرس أي: أسد شديد على من
يقاتلني، إذا ما الطعن في الحرب شق الجباه من القوم ودنت الكباش –
وهي آلات لتدمير الأسوار والجدران وقد تستعمل لضرب الجمع من
الناس في الحرب- من بعضها لتصلي أي: لتشعل نار الكريهة والبغضاء
بين المتحاربين، أو تخوض هي في لظى أي: لهيب هذه الكراهية، وفي

الحرب يدنوا الشجاع من الشجاع ليتقاتلا، وقد أُشْرِعَت الرماحُ
السوداء من كلا الطرفين من مختلف الأنواع والأشكال، ففي هذه
الأجواء أظعن في الوغى أي: صيحات القتال فرسان الحرب من أعدائي
طعناً من شدته أنه يشق قلوب الفرسان وكُلاههم.

وسلي الفوارس يخبروكِ بهمتي * ١٣ * ومواقفي في الحرب حين أطاها

وأزيدها من نار حربي شعله * ١٤ * وأثيرها حتى تدور رحاها

واسألِي يا عبلة الفرسان كذلك يخبروكِ أنهم في الحرب قد رأوا من علُوِّ
همّتي ما لا يوصف، ومن مواقفي وإقدامي في الحرب حين أطأ ميدانها
ونارها تشتعل وترتفع، بل أزيدها من نار همتي وشجاعتي شعلهً أخرى،
وأثير هذه النار حتى تدور رحا الحرب فتفني الأعداء ولا تبقي منهم أحداً.

وأكرّ فيهم في لهيب شعاعها * ١٥ * وأكون أول وافدٍ يصلها

وأكون أول ضاربٍ بمهندٍ * ١٦ * يفري الجماجم لا يريدُ سواها

وأكون أول فارسٍ يغشى الوغى * ١٧ * فأقود أول فارسٍ يغشاها

والخيلُ تعلم والفوارسُ أنني * ١٨ * شيخ الحروب وكهلها وفتاها

وفي الحرب الشديدة التي تشتعل فيها نار الكراهية أكرُّ في لهيب هذه النيران لأحارب وأقاتل، وأكون أول من يقتحمها ويدوق لهيبها وما ذلك إلا لشجاعتي وإقدامي، وأكون أول من يضرب في هذه الحرب بسيفٍ مهندٍ من قوته أنه يفري جماجم من أضربهم لا يريد غير ذلك، وأكون أول فارسٍ من قومي يخترق صحبات الحرب ويصول ويجول وأقود كل الفرسان الذين يأتون بأمرٍ ويغشون أي: يخترقون ساحة الحرب، والخيل كذا الفرسان يعلمون علم اليقين أن عنتره شيخُ الحروب في مهارة الكرِّ والفرِّ والضرب والطعن، وكهلهما حيث أنه علم خبايا الحروب والمعارك وأسرارها، وفتاها حيث أنه أقوى فارسٍ يضربُ ويصارعُ ويغلبُ من يواجهه.

يا عبئ كم من فارس خنئته * ١٩ * في وسط رابيةٍ يعدُّ حصاهـا

يا عبئ كم من حرّةٍ خنئتها * ٢٠ * تبكي وتتعى بعلها وأخاهـا

يا عبئ كم من مُهرةٍ غادرتهـا * ٢١ * من بعد صاحبها تجرُّ خطاهـا

يا عبئ لو أني لقيتُ كتيبةً * ٢٢ * سبعين ألفاً ما رهبت لقاها

وأنا المنية وابن كل منيةٍ * ٢٣ * وسواد جلدي ثوبها ورداهـا

ويا عبلة كم من فارسٍ قد لاقاني في ساحة الحرب وأراد قتالي فغلبته
وتركته بحسرتة في وسط رابيةٍ أي: صحراء، يُعُدُّ الحصى الذي فيها من
حزنه، ويا عبلة كم من امرأة حُرَّةٍ تركتها وهي تبكي حزناً على أخٍ لها أو
زوجٍ أو أبٍ أو ولدٍ كان لها في الحرب وقد قمت بقتله، ويا عبلة كم من
مُهْرَةٍ كان يمتلكها أحد الفرسان يمتطيها ويحارب ويصول ويجول بها، قد
تركها تجر خطاها وحيدة بدون صاحبٍ لها، لذا فاعلمي يا عبلة أنني لا
أبه بمن أُلَاقِي وبعدد من أُلَاقِي، فلو أنني لاقيت في الحرب كتيبةً مكونةً
من سبعين ألفِ رجلٍ ما رهبت قتالها ومواجهتها، فما أنا إلا المنيّة أي:
الموت وأنا ابن كل مصيبةٍ تؤدي إلى الموت، وما لون جلدي الأسود هذا
إلا ثوب الموت ورداءه.

﴿كُتَيْبَةٌ شَهْبَاءُ﴾

وَكُتَيْبَةٌ لَبَسَتْهَا بِكُتَيْبَةٍ * ١ * شَهْبَاءٌ بِاسِلَّةٍ يُخَافُ رَدَاها

خَرَسَاءٌ ظَاهِرَةَ الْأَدَاةِ كَأَنَّهَا * ٢ * نَارٌ يُشَبُّ وَقُودُهَا بِلَظَاهِهَا

وفي الحرب ألتقى بكتيبةٍ من جيش الأعداء تتوجه لقتالي فألبسها أي: أقابلها، بكتيبةٍ مَمَّنْ معي من فرسان عبس شهباء أي: كثيرة السلاح والعتاد الذي يهرك بريقه ولمعانه، وهم فرسانٌ بواسل أي: شجعان فهي كتيبةٌ يَخَافُ مَنْ يَواجهها مِنْ رَدَاها أي: أذاها وبطشها، وهي كتيبةٌ تُثير الرعب في النفس لقوة جلجلة الأصوات فيها فلا تكاد تميز أي صوت فصارت كأنها خرصاء، وهي ظاهرة الأداة أي: كاملة العتاد والسلاح لا ينقصها إلا قتال الأعادي، وفي صورتها هذه كأنها نارٌ يزيد وقودها أي: ما يشعلها بلظاها أي: رغبة القتل والكراهية في نفوس الفرسان.

فِيهَا الْكُمَاءُ بَنُو الْكُمَاةِ كَأَنَّهُمْ * ٣ * وَالْخَيْلُ تَعْتُرُ فِي الْوَعْيِ بِقَنَاها

شُهْبٌ بِأَيْدِي الْقَابِسِينَ إِذَا بَدَتْ * ٤ * بِأَكْفِهِمْ بَهَرَ الظَّلَامَ سَنَاها

وهذه الكتيبة الشديدة ترى فيها الكُمة أي: الفرسان الأشداء المدججين بالسلاح وقد ورثوا شدتهم من آبائهم، وعندما تراهم في ساحة الحرب والخيول تتعثر في القنا أي: السيوف والرماح الملقاة من أيادي أصحابها الذين قتلوا أو ماتوا، فكأنهم شُهبٌ ناريةٌ بأيدي القابسين أي: الحاملين للمشاعل التي إذا بدت ظاهرة في أياديهم، بهر الظلام أي: أزاله سنا ضوء هذه الشهب.

صَبْرٌ أَعَدُّوا كُلَّ أَجْرَدٍ سَابِحٍ * ٥ * وَنَجِيَّةٍ ذَبَلَتْ وَخَفَّ حَشَاهَا

يَعْدُونَ بِالْمُسْتَلْنِمِينَ عَوَابِسًا * ٦ * قَوْدًا تَشْكِي أَيْبَهَا وَوَجَاهَهَا

يَحْمِلْنَ فِتْيَانًا مَدَاعِسَ بِالْقَنَا * ٧ * وَقُرًّا إِذَا مَا الْحَرْبُ خَفَّ لِيَوَاهَا

مِنْ كُلِّ أَرْوَعٍ مَا جِدِ نِي صَوْلَةٍ * ٨ * مَرَسٍ إِذَا لَحِقَتْ خُصَى بِجَلَاهَا

وهؤلاء الفرسان الذين أقودهم في الحرب من صفاتهم أنهم شديدا والصبر على قسوة القتال، وقد أعدوا للحرب كل أجرد سابع أي: خيلٍ سريع كما أعدوا النجائب أي: الدواب التي يحملون عليها المتاع، ومن صفات الواحدة منهن أنها ذبلت وخفَّ حشاها أي: ليست ثقيلة الخطى بسبب الشحوم والدهون بل متناسقة، أما الفرسان فهم يمتطون

المستلئمين العوابس أي: الخيول التي عَبَسَتْ الحُرُوبُ وجوهها، ويعدون أي: يسرعون بها في ميدان القتال وهي منقادةٌ لهم سريعةٌ الاستجابة، ومن قوتها وصبرها أن الأين أي: الألم والوجى أي: الجرح، قد اشتكوا من أنهم لا يؤثرونَ بهذه الخيول العوابس فهي خيولٌ شديدة، وتحمل فوق أظهرها فتياناً مداعِسَ بالقنا أي: متمرِّسينَ بالحرب والقتال، غير أنهم وقرأي: ثابتون إذا ما كانت الغلبةُ للأعداء غير خائفين ولا مترددين، فهم فتيةٌ قد اجتمعوا من كل أروع ماجدٍ أي: حسن الهيئة كريم النسب، وهو صاحب صولةٍ في الحرب متمرِّسٌ فيها ولا يهرب إذا ما لحقت خُصيُّ بكُلاها: وهو وصفٌ لشدة الجبن والخوف.

وَصَحَابَةٌ شَمُّ الْأَنْوْفِ بَعَثْتُهُمْ * ٩ * لَيْلًا وَقَدْ مَالَ الْكُرَى بِطَلَاهَا

وَسَرَيْتُ فِي وَعْثِ الظَّلَامِ أَقْوَدُهُمْ * ١٠ * حَتَّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَالَ ضُحَاهَا

ولي أصحاب من الفرسان من صفاتهم أنهم شَمُّ الأنوف أي: أصحاب عِزَّة نفس، قد قمت بقيادتهم للخروج في سرية في جُنح الليل وقد مال الكرى أي: النوم وغلب عليهم، وسرت بهم في وعث أي: صعوبة الطريق في الظلام وأنا أقودهم فلم يضلوا أو يتيهوا، وإنما تجلدوا معي وساروا إلى

أن رأيت الشمس قد زال ضحاها وأنارت الأرجاء، فَصَبَّحْنَا الْأَعَادِي
بسيوفنا ورماحنا.

وَلَقِيتُ فِي قُبَلِ الْهَجِيرِ كَتِيبَةً * ١١ * فَطَعَنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ أَوْلَاهَا
وَصَرَبْتُ قَرْنِي كِبْشَهَا فَتَجَدَّلُوا * ١٢ * وَحَمَلْتُ مُهْرِي وَسَطَهَا فَمَضَاهَا

وفي قِبَلِ وقت الهجير أي: قرب وقت الظهر قد التقينا بكتيبة الأعداء
فاشتبكنا معهم، وقمتُ بطعن أول فارس لقيته من هذه الكتيبة وعملت
فيهم الضرب والطعن حتى، ضرب قرني كبشها أي: قائدها وكبيرها
فتجدَّلوا أي: تخبَّطوا واحتاروا، فمضيت بمُهْرِي فيهم أُعْمِلُ فيهم الضرب
والتقتيل.

حَتَّى رَأَيْتُ الْخَيْلَ بَعْدَ سَوَادِهَا * ١٣ * حُمَرَ الْجُلُودِ خُضِبْنَ مِنْ جِرَاحِهَا
يَعْتَرْنَ فِي نَقَعِ النَّجِيعِ جَوَافِلًا * ١٤ * وَيَطَّأْنَ مِنْ حَمِيٍّ الْوَعْيِ صَرَاعِهَا
فَرَجَعْتُ مَحْمُودًا بِرَأْسِ عَظِيمِهَا * ١٥ * وَتَرَكْتُهَا جَزْرًا لِمَنْ نَاوَاهَا

وظللنا على هذه الحال حتى رأيت الخيل التي دخلت للمعركة وهي سوداء
اللون، خارجةً وقد تخضَّبَ جلدها باللون الأحمر بسبب دماء الجروح
والجرحي، ورأيت الخيل وهي تتعَثَّرُ في نَقَعِ النجيع أي: الدم المنقوع في

الأرض، والخييل جوافِلُ أي: مسرعاتٌ، ويطأون في سيرهم وهم لا يشعرون صرعى الحرب وكل ذلك بسبب حُمِّي الوغى أي: شدة الحرب وقسوتها، أما أنا فقد رجعت بفرساني منتصراً وقد ظفرت برأس عظيم أي: كبير هذه الكتيبة، ثم تركتها مع بقية القتلى جَزْراً أي: طعاماً لمن ناواها أي: تصارع عليها من السباع والطيور.

مَا اسْتَمْتُ أَنْثَى نَفْسَهَا فِي مَوْطِنِي * ١٦ * حَتَّى أُوفِي مَهْرَهَا مَوْلَاهَا

وَلَمَّا رَزَأْتُ أَخَا حِفَاظِ سِلْعَةٍ * ١٧ * إِلَّا لَهُ عِنْدِي بِهَا مِثْلَاهَا

ومن كان مثلي فارساً شديداً لأبدٍ له من مكارم الأخلاق، ومن أخلاقي أنني ما استممت أنثى يوماً أي: راودتها عن نفسها وأنا أقدر على ذلك، ولكن أن أردتُ وصالها أُوفي مولاها أي: ولي أمرها مهرها، فأخذها من طريق مشروع وعن طيب خاطر، وما ضاقت بي الأيام واحتجتُ إلى معونةٍ من امرئٍ من صفاته أنه حريصٌ على عرضه وماله، إلا رددت له ما أخذت منه ضعفيه كرماً مني ونبلاً.

أَغْشَى فِتَاةَ الْحَيِّ عِنْدَ حَلِيلِهَا * ١٨ * وَإِذَا غَزَا فِي الْجَيْشِ لَا أَغْشَاهَا

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي * ١٩ * حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا

إِنِّي امْرُؤٌ سَمَّحٌ الْخَلِيقَةَ مَاجِدٌ * ٢٠ * لَا أُتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

ومن أخلاقي أنني أغشى فتاة الحي أي: أزورها واصلاً للرحم الذي بيني وبينها، وذلك عندما تكون في صحبة حليلها أي: زوجها، أما إن غاب عنها زوجها بسبب غزو في الجيش أو لسببٍ آخر فلا أزورها حفاظاً على عرضي وعرضها، وإذا ما رأيت جارةً لي خارجةً من خبائها فإنني أغضُّ عنها بصري حتى تتواري في خبائها مرةً أخرى، وما ذلك إلا لأنني رجل سمح الخليقة ماجدٌ أي: أخلاقي عاليةً رفيعة، ذو حلمٍ وشرف ولا أصغي لما تأمرني به نفسي التي من صفاتها أنها لجوج، تأمر بالسوء والشرف فلا أتبعها هواها الذي تطلبه.

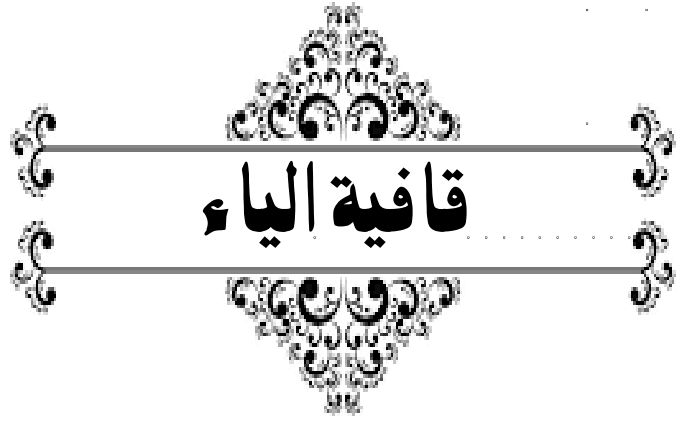
وَلَئِن سَأَلْتِ بِذَلِكَ عِبْلَةَ خَبَّرْتِ * ٢١ * أَنْ لَا أُرِيدُ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهَا

وَأُجِيبُهَا إِذَا دَعَتْ لِعَظِيمَةٍ * ٢٢ * وَأُغِيثُهَا وَأَعِفُّ عَمَّا سَاهَا

وإن لم يكن إخباري إياك عن أخلاقي وأفعالي كافياً فدونك عبله إن سألتها، أخبرتك أنني لا أريد من النساء امرأةً سواها ولا أبغي غيرها، وإذا ما كانت في كربٍ أو همٍّ عظيمٍ أجيبُ دعوتها وألبسها وأكونُ في عونها حتى

يزول عنها ما بها من كربٍ وهم، وأَعْفُ وَأَبْتَعُدُ عن كلِّ شيءٍ يسيئها ولا

ترضاها.



قافية الياء

﴿الطول البواليا﴾

قال عنتره هذه القصيدة عندما كان عائداً مع قومه من معركة مع بني ذبيان، فذهبوا إلى بني سعد فتحالفوا معهم وكان مع بني عبس خيولٌ وأنعامٌ أعجبت بني سعد فأرادوا أن يسلبوها منهم، فلما أحسَّ قيس بن زهير سيد بني عبس بذلك احتال بحيلةٍ وذهب مع قومه بالليل، فلما أدرك بنو سعد ذلك قاموا باللحاق بهم على الخيول فأدركوهم في منطقة تسمى بالفُرُوق، فقاتلهم بنو عبس وهزموهم شرهزيمة.

*ألا قاتل الله الطول البواليا * ١ * وقاتل ذكراك السنين الخواليا*

*وقولك للشيء الذي لا تناله * ٢ * إذا ما هو احطولى ألا ليت ذاليا*

يبدأ عنتره مطلع قصيدته بالدعاء على الأطلال البالية أي: القديمة التي دوما ما تذكره بأحبابه، فيأخذه الشوق والحزن على فراقهم فيدعوا على الطول ويدعوا كذلك على نفسه عندما يتذكر، فيقول: وقاتل الله يا عنتره مجرد تذكركَ للسنين الخوالي فتُصابُ بالغمِّ والألم، وقاتل الله يا

عنتره مجرد قولك لشيءٍ ازداد حلاوةً وجمالاً ولا تستطيع أن تناله ليت
ذاك الشيء لي وملكلي.

ونحن منعنا بالفروق نساءنا * ٣ * نظرف عنها مشعلات غواشيا
حلفنا لهم والخيل تردي بنا معا * ٤ * نزايلكم حتى تهروا العواليا
عوالي زرقا من رماح ردينة * ٥ * هريرا الكلاب يتقين الأفاعيا
ونحن القوم والفرسان من بني عبس قد منعنا نساءنا أي: زُدنَا عنهم كل
معتدي، ودافعنا عن أعراضهم فكنا نُظَرِّفُ أي: نُبعدُ عنهم مُشعلاتٍ
غواشياً أي: مهاجمون يأتون إلينا مسرعين، وقد حلفنا أي: أقسمنا لهم
ونحن وهم على ظهور الخيول وهي تردي بنا أي: تسرع بنا، أننا نزايلكم
أي: نحاوركم ونواجهكم ونقاتلكم حتى تهروا أي: تصرخوا خوفاً وكرهاً
من العوالي أي: الرماح العالية، فهي رماحُ زُرُقُ أي: شديدة السواد
وشديدة الجودة، فهي رماحُ رُدَيْنِيَّةٌ تجعلكم يا بني سعد تصرخون منها
خوفاً مثل صراخ الكلاب، التي تتقى أي: تتفادى خوفاً من الأفاعي
السامة.

تفاديتم أستاه نيب تجمعت * ٦ * على رمة من العظام تفاديا

ألم تعلموا أن الأسننة أحرزت *٧* بقيتنا لو أن الدهر باقيا
أبيننا أبينا أن تضب لثاتكم *٨* على مرشقات كالظباء عواطيا
وها أنتم تحاولون أن تتفادوا رماحنا إلا أن محاولاتكم بدون طائل،
فكنت مثل النيب أي: الإبل التي كبر سنها وهي تجتمع حول العظام
البالية فتأكلها، وهذا مما لا يعود عليها بنفع فيبدوا أنكم لم تعلموا أن
الأسننة أي: الرماح التي نقاتلكم بها، ونقاتل بها غيركم قد أحرزتنا أي:
منعتنا ودافعت عنا، ولو أن الدهر كان يُبقي أحداً لكُنَّا من الباقين
لشدة بأسنا وقوة رماحنا، وقد أبينا أي: رفضنا بشدة أن يسيل اللعاب
من لثاتكم أي: أفواهكم وذلك من شدة حرصكم على إبلنا وأنعامنا
ونسائنا، اللاتي بلغن من الجمال أنهم مثل الظباء رشيقه القد والقوام،
عواطياً أي: في أعناقهن ظهورٌ وبروزٌ قد زادهن جمالا.

وقلت لمن قد أخطر الموت نفسه *٩* ألا من لأمر حازم قد بدا ليا
وقلت لهم ردوا المغيرة عن هوى *١٠* سوابغها وأقبلوها النواصيا
فما وجدونا بالفروق أشابة *١١* ولا كشفنا ولا دعينا مواليا

وقد قلت لمن أخطر الموت نفسه أي: رهن نفسه للموت في سبيل الدفاع عن قومه وعرضه، من ذا يأتي إليّ ويلتفّ حولي لأمرٍ حازمٍ أي: خطرٍ شديدٍ قد بدا أي: ظهر لي، فنزُدُهُ معاً وهذا الأمر أن القوم قد أتوا للإغارة علينا وسلبنا ونهبنا، فرُدُّوا معي المُغِيرَةَ أي: الإغارة عن هواهم الذي يريدونه، وقاتلوا سوابغها أي: أوائل الخيول التي تأتي إليكم حتى يرتدَّ معها أوأخرها، وأقبلوها أي: أقبلوا أنتم نحوها بنواصي أي: رؤوس خيولكم وهم يفرُّون هاربين من أمامكم، أمّا القوم من بني سعد لما واجهونا فلم يجدونا أشابةً أي: يختلط بنا غيرنا وذلك أننا من قوتنا لا نحتاج لحليفٍ يحارب معنا، ولم يجدونا كشافاً أي: نفرُّ عند صدام السيوف ولا ندعوا موالياً أي: حلفاءً يساندونا.

وإنا نقود الخيل حتى رؤوسها * ١٢ * رؤوس نساء لا يجدن فواليا

تعالوا إلى ما تعلمون فإني * ١٣ * أرى الدهر لا ينجي من الموت ناجيا

وإنا نحن القوم والفرسان من بني عبس نقود خيولنا للحرب فترى

رؤوسها شعثناء من كثرة الخروج للحرب، فصارت مثل رؤوس النساء

المغتربات اللاتي لا يجدن ما يمتشطون به ويُفلُّون به شعر رؤوسهن، لذا

فتعالوا إلى ما تعلمون منا من صعوبة حربنا وشدة قتالنا وقوة بأسنا،
واعلموا أننا لا نرهب الموت أو نخافه فهو آتٍ لا محالة، فقد رأيت الدهر
لا ينجي أي أحدٍ من الموت إذا ما جاء أجله.

﴿لَقِينَا يَوْمَ صَهْبَاءِ﴾

لَقِينَا يَوْمَ صَهْبَاءِ سَرِيَّةِ * ١ * حَنَاظَلَّةً لَهُمْ فِي الْحَرْبِ نِيَّةِ

لَقِينَاهُمْ بِأَسْيَافٍ حَادِدٍ * ٢ * وَأَسَدٍ لَا تَفِرُّ مِنَ الْمَنِيَّةِ

لَقِينَا نَحْنُ فَرَسَانَ بَنِي عَبْسٍ فِي يَوْمِ الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ بِمَنْطِقَةِ صَهْبَاءِ سَرِيَّةً مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَحَارِبُونَنَا، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ حَنَاظَلَّةً أَي: أَشَدَّاءَ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ مَرَأْسٌ وَخَبْرَةٌ، وَتَبَدَّوْا نِيَّةَ الْإِقْدَامِ وَعَدَمَ الرَّجُوعِ بَادِيَةً عَلَيْهِمْ، لَذَا لَقِينَاهُمْ بِأَسْيَافٍ حَادِدَةٍ شَدِيدَةِ الْقَطْعِ وَلَا يَحْمِلُ هَذِهِ السِّيُوفُ إِلَّا رِجَالٌ أَشَدَّاءَ كَالْأَسَدِ، لَا يَفِرُّونَ وَلَا يَهْرَبُونَ مِنَ الْمَنِيَّةِ.

وَكَانَ زَعِيمُهُمْ إِذْ ذَاكَ لَيْثًا * ٣ * هَزْبِرًا لَا يُبَالِي بِالرِّزِيَّةِ

فَخَافَنَاهُ وَسَطَ الْقَاعِ مُلْقَى * ٤ * وَهِيَ أَنَا طَالِبٌ قَتَلَ النَّبِيَّةِ

وَرُحْنَا بِالسِّيُوفِ نَسُوقُ فِيهِمْ * ٥ * إِلَى رَبَوَاتٍ مُعْضَلَةٍ خَفِيَّةِ

وَكَمَّ مِنْ فَارِسٍ مِنْهُمْ تَرَكَنَا * ٦ * عَلَيْهِ مِنْ صَوَارِمِنَا قَضِيَّةِ

وَكَانَ زَعِيمُ هَذِهِ السَّرِيَّةِ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ نَحَارِبُهُمْ قَوِيًّا شَجَاعًا فَكَانَ مِثْلَ اللَّيْثِ الْهَزْبِرِيِّ أَي: الْأَسَدِ الشَّدِيدِ الْبَاسِ، لَا يُبَالِي بِالرِّزِيَّةِ أَي: مَا يَجْلِبُ

الهم والحزن والندم وذلك أدعى لشجاعته وقوته، وبالرغم من ذلك قد خَلَّفناه أي: تركناه في منتصف القاع أي: ساحة الحرب مُلقى صريعاً، وها أنا ذا أطلب قتال البقية منهم وهزيمتهم وقد غلبنا هؤلاء القوم، فكنا ندفعهم بسيوفنا دفعاً إلى ربوات أي: ساحات الهم والكرب مما يلاقوه منا، فكنا معهم مثل الرعاة الذين يسوقون الأنعام بالعِصِيّ، وكم من فارسٍ من هؤلاء القوم قد قاتلناه وتركناه وقد قضت عليه صوارمنا أي: سيوفنا وأردته قتيلاً.

فَوَارِسْنَا بَنُو عَبْسٍ وَإِنَّا * ٧ * لِيُوْثُ الْحَرْبِ مَا بَيْنَ الْبَرِّيَّةِ
نُجَيْدُ الطَّعْنِ بِالسُّمْرِ الْعَوَالِي * ٨ * وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ الْمَشْرِفِيَّةِ
وَنُنْعِلُ خَيْلَنَا فِي كُلِّ حَرْبٍ * ٩ * مِنْ السَّادَاتِ أَقْحَافاً دَمِيَّةِ

فوارسنا هم الأبطال والشجعان من بني عبس وهم فرسانٌ أقوياء أشداء ذوي جرأة وإقدام، فهم ليوثٌ أي: أسودُ الحروب من بين الفوارس، فنحن فرسان بني عبس نجيد الطعن بالرماح العالية الشديدة ونضرب أعدائنا بالسيوف المشرفية التي هي من أجود أنواع السيوف، وإنا لا

نُنعِلُ أي: نلبسُ أرجل خيولنا في الحروب إلا أقحاف أي: القطع المتكسرة، من جماجم أعدائنا الذين كانوا أسياداً في أقومهم.

وَيَوْمَ النَّبْلِ نُعْطِي مَا مَلَكْنَا * ١٠ * مِنْ الْأَمْوَالِ وَالنِّعَمِ الْبَهِيَّةِ

وَنَحْنُ الْعَادِلُونَ إِذَا حَكَمْنَا * ١١ * وَنَحْنُ الْمَشْفِقُونَ عَلَى الرَّعِيَّةِ

وَنَحْنُ الْمُنْصِفُونَ إِذَا دُعِينَا * ١٢ * إِلَى طَعْنِ الرِّمَاحِ السَّمْهَرِيَّةِ

وعندما نعود ظافرين منتصرين من الحرب مُحمّلين بالغنائم والأسلاب والنِّعم، يأتي يوم توزيع هذه النعم فنعطي القاصي والداني كما أننا نعطي من أملاكنا الأموال والنعم الهية، ونحن القوم الذين يعدلون إذا ما حكموا ويشفقون على الرعية فلا يظلموهم أو يهضموا حقوقهم، ونحن القوم الذين إذا ما دُعوا إلى حربٍ وقتالٍ بالرماح السمهرية كانوا أشدَّاء شجعان، ولكن يُنصِفُونَ مَنْ عاداهم ولا يَجورُونَ ويَبغون.

وَنَحْنُ الْغَالِبُونَ إِذَا حَمَلْنَا * ١٣ * عَلَى الْخَيْلِ الْجِيَادِ الْأَعْوَجِيَّةِ

وَنَحْنُ الْمَوْقِدُونَ لِكُلِّ حَرْبٍ * ١٤ * وَنَصْلَاهَا بِأَفْنِدَةٍ جَرِيَّةِ

مَلَأْنَا الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ سَطَانَا * ١٥ * وَهَابَتْنَا الْمُلُوكُ الْكِسْرَوِيَّةِ

سَلَّوْا عَنَّا دِيَارَ الشَّامِ طُرًّا * ١٦ * وَفُرْسَانَ الْمُلُوكِ الْقَيْصَرِيَّةِ

ونحن القوم الذين إن أرادوا الحرب حملنا أنفسنا وأسلحتنا على الجياد
أي: الخيول الأعوجية -وهو وصف للكرام من الخيل- وتكون الغلبة لنا لا
محالة فنحن الذين نوقد النيران لكل حربٍ شديدةٍ ضارية، ونصلى أي:
نقتحِمُ هذه النيران بأنفسنا فقلوبنا قوية وجريئة، لذا فقد ملأنا الأرض
خوفاً من فرسان بني عبس ومن سطوتهم أي: قوتهم وغلبتهم فصار أهل
الأرض يهابوننا، حتى الملوك الكسروية الذين هم قوةٌ عظيمةٌ في الأرض،
وإن لم تعلموا ذلك فاسألوا عن فرسان بني عبس ديار الشام ومن فيها،
ينبيكم عن أخبارنا فرسان الملوك القيصرية الذين هم إحدى القوى
العظيمة في الأرض أيضاً.

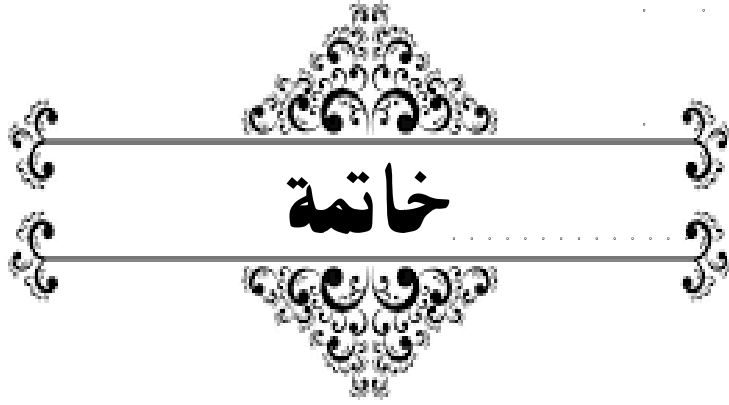
أنا العبدُ الذي بديارِ عبسٍ * ١٧ * ربيثُ بعزةِ النفسِ الأبيِّه

سلوا النعمانَ عني يومَ جاءت * ١٨ * فوارسُ عصابةِ النارِ الحميِّه

أقمتُ بصارمي سوقَ المنايا * ١٩ * ونلتُ بذابلي الرتبَ العليِّه

واعلموا أنني انا الذي تنادونه بالعبد في ديارِ عبس، قد ربيثُ وكبرتُ
ونشأتُ على عزّةِ النفس والكرامة التي تأبى كلَّ ذلٍّ وظلمٍ وإهانة، وإن لم
تعلموا ذلك فلکم أن تسألوا عني الملك النعمان الذي قاتلت في جيشه،

كيف كان بلائي يوم جاءت الفرسان الذين كانوا مثل عُصْبَةٍ أَي:
مجموعَةٍ من النيران الحامية الملتهبة وكيف واجهتهم، فأنا الفارس عنتره
أقمت أَي: نصبت ووضعت بصارمي أَي: سيفي سوق المنايا أَي: المهالك
التي تؤدي إلى الموت فمن شاء اتباع من عندي، وقد نلت بذايلي أَي:
رمحي رتب المعالي والشرف بين العرب والعجم.



استمتعنا بمراحل وأيام ومغامرات عنبرة وأفدنا من عبقريته اللغوية
وبلاغته وها قد انتهت هذه الرحلة الطيبة مع عنبرة وأيامه التي أمتعتنا
وملأتنا بالحماس والإثارة ولا يملك من يقرأ لعنبرة إلا أن يعجب به
وبفروسيته وحسبنا فيه ما قد روي عن سيدنا رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) أنه قال: "ماؤصِفَ لي أحدٌ من الأعراب قط وأحبت أن
ألقاه إلا عنبرة".

تم بحمد الله

الخميس
الموافق ٣/ربيع الأول/١٤٤١هـ
والموافق ٣١/١٠/٢٠١٩م

المصادر والمراجع

- شرح ديوان عنتره للخطيب التبريزي طبعة دارالكتاب العربي
- شرح مكتبة القاهرة التجارية الكبرى على ديوان عنتره
- المعجم الوسيط
- معجم المعاني الجامع
- معجم لسان العرب
- ترجمة عنتره بن شداد من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

الفهرس

٥.....	إهداء عام
٧.....	إهداء خاص
٩.....	مُقَدِّمَة
١٣.....	تمهيد
١٧.....	قافية الهمزة
١٩.....	(مَا زِلْتُ مُرْتَقِيًا)
٢٥.....	قافية الباء
٢٧.....	(تُرَى هَذِهِ الرِّيحَ)
٣٣.....	(لِغَيْرِ العُلَا)
٤٠.....	(سَلَا القَلْبُ)
٤٥.....	(حسِنَاتِي عِنْدَ الزَّمَانِ)
٥٣.....	(أُعَاتِبُ دَهْرًا)

- ٥٨ قافية التاء
- ٦٠ (إذا قنع الفتى بدميم عيش)
- ٦٦ قافية الحاء
- ٦٨ (دهراً لا يلين لناصح)
- ٧٢ (الظباء السوانح)
- ٨١ قافية الدال
- ٨٣ (إذا جحد الجميل)
- ٨٩ (صحا فؤادي)
- ٩٤ (أُعادي صرف دهر)
- ١٠٠ (لأي حبيب)
- ١٠٨ (إذا فاض دمعي)
- ١١٦ (فخر الرجال)
- ١٢١ قافية الراء
- ١٢٣ (فيافي الفلا)
- ١٢٨ (إذا لعب الغرام)
- ١٣١ (إذا كان أمر الله)
- ١٣٥ (قول المفتري)
- ١٤١ قافية السين

- ١٤٣ (شَرِبْتُ الْقَنَا)
- ١٤٧ قافية العين
- ١٤٩ (جفون العذارى)
- ١٥٥ (قف بالمنازل)
- ١٥٩ (إذا كَشَفَ الزمانُ)
- ١٦٤ قافية الفاء
- ١٦٦ (أَمِنَ سُمَيَّةٌ؟؟؟)
- ١٦٩ (يا عبلُ قَرِي)
- ١٧٢ قافية القاف
- ١٧٤ (لقد وجدنا زبيداً)
- ١٧٧ (تُرَى عَلِمَتِ عُبَيْلَةٌ؟)
- ١٨٢ (صحا من سُكره قلبي)
- ١٨٧ قافية الكاف
- ١٨٩ (يا عبلُ إن كان)
- ١٩١ (ريحُ الحجاز)
- ١٩٦ قافية اللام
- ١٩٨ (طال الثَّوَاءُ)
- ٢٠٤ (دموعٌ في الخدود)

- ٢٠٦ (حَكِّمَ سَيُوفَكَ)
- ٢١٣ قافية الميم
- ٢١٥ (هل غادر الشعراء (المُعَلِّقَةَ))
- ٢٣٩ (أتاني طيف عبلة)
- ٢٤٤ (قفا يا خليلي)
- ٢٤٧ (سأُضْمِرُ وَجدي)
- ٢٥٢ قافية النون
- ٢٥٤ (سَلِي يا عبلة الجبلين)
- ٢٥٨ (البرق اليماني)
- ٢٦٢ (يا أيها الملك)
- ٢٦٧ (كل يوم مع زماني)
- ٢٧٤ قافية الهاء
- ٢٧٦ (صَح إلى بيداها)
- ٢٨٢ (كُتِيبَةٌ شَهْبَاء)
- ٢٩٠ قافية الياء
- ٢٩٢ (الطلول البواليا)
- ٢٩٧ (لقينا يوم صهباء)
- ٣٠٣ خاتمة

٣٠٥ المصادر والمراجع

٣٠٧ الفهرس